

أنوار الجندی

شیخ الصفا الأملا

۱

المنار - محمد رشید رضا

۱۳۱۵ هـ - ۱۸۹۸ م

۱۳۵۲ هـ - ۱۹۳۵ م

توزیع
دار الانصار
۸۱ شارع البستان خاصية شارع الجمهورية
عابدين ۹۳۶۰۸۱

موسم ————— وعة

تاريخ الصحافة الإسلامية

(خلال القرن الرابع عشر الهجرى)

(١٣٠١ — ١٨٨٤) الى (١٤٠٠ — ١٩٨٠)

١ — مجلة المنار — رشيد رضا

٢ — مجلة الفتح — محب الدين الخطيب

٣ — صحف الاخوان — حسن البنا

٤ — مجلة الازهر (فريد وجدى — محب الدين الخطيب — الزيات)

٥ — الصحف الاسلامية (بعد الحرب الثانية الى نهاية القرن الرابع عشر)

(١٩٤٠ — ١٩٨٠)

تصدر تباعا باذن الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل إلى تاريخ الصحافة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن دعا بدعوته الى يوم الدين . تباركت ربنا وتعاليت وحمدا على فضلك وعطائك ان هديتنا الى هذا العمل النافع : تاريخ الصحافة الإسلامية بهذا نشأتها الى اليوم ونسالك الهداية والتوفيق الى تمام الامر وحسن العرض وكمال الاداء .

المرحلة الأولى : حتى نهاية الحرب العالمية الأولى :

ويعد فالصحافة الإسلامية هي قطاع من الصحافة العربية التي عرفها العالم الإسلامي في العصر الحديث ، توصف بالإسلامية لتمييزها بدراسة شلون المسلمين وقضاياهم ، وقد صدرت الصحف في تركيا ومصر ولبنان في هذه الفترة البكرة (يومية واسبوعية وشهرية) وأبرز الصحف التي عرفت بالاهتمامات الإسلامية هي (ثمرات الفنون) التي عاشت فترة طويلة في لبنان (١٨٨٥ — ١٩٠٨) عبد القادر قباي (وهي تحتاج الى دراسة مستفيضة) .

أما في مصر فإن أبرز الصحف اليومية التي عنيت بقضايا المسالم الإسلامي فهي المزيّد (على يوسف) التي صدرت ١٨٨٩/١٢/١ ثم اللواء (مصطفى كامل) وصدرت ١٩٠٠/١/٢ وفي هذه الفترة صدرت مجلّتان شهريتان إسلاميتان هما :

النسار (محمد رشيد رضا) ١٨٩٨

الحياة (محمد فريد وجدي) ١٨٩٩ .

ولم تلبث (الحياة) أن توقفت بينما استمرت (النصار) حتى توفي صاحبها ١٩٢٥ .

أما أبرز المجلات الشهرية الإسلامية فهي (العروة الوثقى) التي أصدرها الأفغانى ومحمد عبده في باريس ١٨٨٤ (ولم يصدر منها الا ١٦ عددا ثم توقفت) .

ويرى السيد رشيد رضا أن (المؤيد) هي الصحيفة الإسلامية اليومية الأولى ويرتبط بها في كثير من المواقف والأحوال والواقع أن جريدة اللواء (مصطفى كامل) كانت تعنى بقضايا العالم الإسلامي وتعالج القضية الوطنية من مدخل إسلامي أساسي .

وقد أصدر مصطفى كامل (الحزب الوطني) فيما بعد مجلة المسالم الإسلامي (١٩٠٥ - ١٩٠٧) .

ثم أصدر الشيخ عبد العزيز جلوبش مجلة (الهداية) .

ولما أن هاجر إلى تركيا أصدر مجلة العالم الإسلامي (١٩١٦ - ١٩١٧) .

وفي هذه المرحلة التي تنتهي بالحرب العالمية الأولى نجد عددا من المجلات العربية والإسلامية خاصة تلك المجلات التي صدرت عن الجمعيات الإسلامية :

مجلة جمعية الملاحيين ١٩٠٦ خليل حمدي حمادة .

مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية ١٩٠٠ (١٣١٧ هـ)

وكانت قد صدرت (مجلة مكارم الأخلاق) ١٨٨٧ (أحمد الشريف)

كما صدرت مجلة الأزهر (حسن رفقي وإبراهيم مصطفى) ١٨٨٩ .
(وهي المجلة التي أسسها وليم ولكوكس فيما بعد لنشر دعوته إلى العامية) .

مجلة الملاحيين العباسية ١٩٠٦ .

وهناك صحف صدرت في هذه الفترة لها طابع إسلامي ولكنها ليست إسلامية خالصة :

مرآة الشرق ١٨٨٢

مصبح الشرق ١٨٩٨

الموسوعات ١٨٩٨

مجلة المجلات العربية ١٩٠٨

ويربط السيد رشيد رضا مجلته بالعروة الوثقى ويرى أنه امتداد لها إلا في مسائل السياسة فقد كانت العروة الوثقى قذيفة نارية على الاستعمار

البريطاني بينما يتجنب الشيخ رشيد رضا معارضة النفوذ البريطاني الذي كان جاثما على البلاد . وبين صدور العروة الوثقى (١٣٠١ - ١٨٨٤) وصدر المنار ١٣١٥ (١٨٩٨) أربعة عشر عاما لم تصدر فيها مجلات اسلامية سوى مجلة (الاسلام) ١٨٩٤ (١٩١٢) احمد على الشاذلي الازهرى وهى مجلة ذات طابع خطابي ونمطى (والاستاذ الشاذلي هو الذى سافر من بعد الى اليابان وادخل الاسلام الى ربوعه) .

والواقع ان مجلة المنار هى التى ادخلت اسلوب المعالجة الحديث وقضايا المسلمين الى الصحافة الاسلامية .

مجلة الاسلام (اقدم مجلة اسلامية تحمل اسم الاسلام)

بدات ١٨٩٤ وتوقفت ١٩١٤ ولم يسبقها الا مجلة الازهر (حسن رفقى وابراهيم مصطفى)

يقول احمد على الشاذلي - الازهر - فى التعريف بالصحافة الاسلامية :

ان الجرائد لها من فضل ما يضيق عن حصر نطاقه بيان كاتب وقلم شاعر اذ هى مصباح النهى ، ورائد الأمة ، ومראה ذوى الأمور ، بها يعرضون ما انطوى عليه العالم شرقا وغربا ويهتدون الى حجة الصواب بلا معاناة سفر او معاناة حركة فكم حملت مخترعات ووضعت اساسا وربت بنين وبنات وهذبت رجالا وشيوخا وهى السبب الاكبر الذى نهض بالغربيين الى هذا الحد الذى نراه حين اعتاضوا بحرب الاقلام عن حرب المدافع ، واستغنوا بالطروس عن الدينايت وبالحبر عن التوربين ، لم يزل بين اظهرنا معشر المشرقيين المسلمين من يلتفت لهذا الامر الجليل (الصحف الاسلامية) بلادهم يلاى بالجرائد الدينية التى تهتز لدعاة الملة وغيرهم سبيل الدعوة منشأ الطفل وقد عرف اباه وامه والمعبود الذى يدين بالتقرب اليه .

وان الشرق مفعم برجال الدين الثقافة وفرسان الكتابة المجيدين الذين عرفوا الامر معرفة خبير وسسبروا الغرب والشرق ان لم اقل بالرؤية فيمطالعة الجرائد وما يلحق شهابنا ابناء المدارس الذين يتربون

في مدارس الأجانب وينشؤون على غير معرفة بدينهم وقلوبهم خالية من حب الاسلام فاذا صانفتهم شبهة او سمعوا نكرة من آخر طاروا اليها فرحا . وهذا ما اثار في قلبي حمية العمل والاجتهاد في بث تلك المبادئ في قلوب الشباب والعامه من الناس الذين لا يعرفون العلم الا بالأذان ولا يرون الا يفرون بفهمهم ويذلون بذلهم وسميت بها الاسلام تسمية لها باثرف مبحث تحرير جريدة عربية العبارة اسلامية المشرب مصرية الهداية تكفل لإخواننا المسلمين بيان امور دينهم وتدلهم على طرق النصح لهم ولاخوانهم الذين يفرون بفهمهم ويذلون بذلهم وسميتها الاسلام تسمية لها باثرف مبحث ينشر فيها » .

وقد حفلت المجلة بأبواب مختلفة منها :

أبيات — امثال وحكم ، آداب الاسلام ، العقائد التوحيدية ، قواعد الاسلام ، كتاب صحيح البخارى ، صلاة الجماعة ، اجتناب المعاصي ، الخمر ومضارها ، الحشيش ومضاره . . الخ الخ .
هذه هي طلائع الصحافة الاسلامية التي اعطاها اصالتها فريد وجدى ورثسيد رضيا .

مجلة الحياة (١٣١٧ — ١٨٩٩)

يقول الأستاذ فريد وجدى : ان مقصد (الحياة) المجلة — هو الحيلولة بين مكاريث الالحاد واذهان أبناء المشرق ولذلك فهي سستجعل مطمح نظرها جملة نقط مهمة :

اولاها : اقامة اقوى الأدلة العلمية على ان الديانة الاسلامية هي روح العمران وقوام سعادة الانسان بطرق لا تجعل للشكوك مجالا في الأذهان وستسلك لهذا العرض المسالك العصرية في تلييد اقاويلها بالحجج الفلسفية الحسية .

ثانيا : تثبيت الأحوال الدينية في العقول الطموحة . كاثبات وجود الله تعالى والروح والآخرة بالأدلة الدامغة . وستعتمد في ذلك على تحقيقات العلماء المصريين جريا مع سنة الزمان اعتقادا منا بان نشأتنا الحديثة أحوج الى الخدمة منها الى سواها وايقانا من لدنا بان نقش اصول العقائد

في اذهانتنا بالطرق المصرية انفع لها وللبلاد من تعليمهم الطبيعة والكيمياء
وليس بعد المشاهدة حجة لمرتاب .

وليس قصدنا الا خدمة الاقطار العمومية من هذه الوجهة الرئيسية :
التمدن والتدين — تنفيذ الجنان بيدائع الكوان — اثبات وجود الله
تعالى — ما وراء المادة .

واننا وان كنا لا نود فائدة مادية ، من هذه المجلة ، الا اننا لا نود
ايضا ان نخسر فيها كثيرا واننا لم نتشجع على تحمل هذه الخسائر المادية
الا لما نعلمه من شغف الخاصة والعامة بمطالعة ما نكتبه (وأشار الكاتب
الى آثاره السابقة على انشاء المجلة وخاصة كتاب الحقيقة الفكرية في
اثبات وجود الحضرة الالهية بالأدلة الطبيعية) .

يقول : وقد اسسنا هذه المجلة ومطمح نظرنا فرضان مهمان :

وهما تثبت اصول الدين الاسلامي الحنيف في عقول أبنائه بنتائج
العلم المصري واقامة الأدلة العلمية والفلسفية على ان هذا الدين الكريم
هو منتهى ما يصل اليه الانسان من حقيقة الدين وغاية ما تدفعه اليه
استعداداته الفطرية المنزوية في طي مواهبه الطبيعية .

وقد اعتضدنا في سائر أبحاثنا يبراهين الفلسفة الغربية ، واستخدمنا
نتائج افكار قادتها وثمرات كدهم وكدهم في تلييد اصولنا الاسلامية ، مراعاة
لحطوب العصر الحاضر ومجاعة الأذيال العامة راينا ان اندفاق مدينة
الغرب على الشرق ستجر معها ما يلبسها من سموم قاتلة ومكاريت هائلة
فوجدنا ان أجل خدمة تؤدي للاسلام هي وقوف بعض بنيها على مآرب ذلك
التيار المتدفق بمصفاة من العلم لتحجز ما تحمله من قذر وتترك السبيل
لسلسيله الصافي ليرده من بعد الورود بلا خوف ولا تخرج . وقد تبين العالم
أجمع ان ترك ذلك التيار على ما هو عليه من كدر ورجل قد جر بعضا منا
الى ما لا يحمد من الخروج عن دائرة الحكمة حتى قال قائلنا اذا كانت هذه
نتائج المدنية فاللهم حوالينا ولا علينا .

وقد مضى فريد وجدى في منهجه هذا الذي اطلق عليه :

« الشبهات المصرية على الأديان ونفيها عن الاسلام »

وهو مدخل حقيقى لما اطلق عليه من بعد علم مقارنات الانبياء . وهذا المنهج الذى سار عليه فريد وجدى وحيدى كلها يختلف اختلافا واضحا عميقا عن منهج رشيد رضا وان كان هذا المنهج قد بدا فى طريقة التسيخ محمد عبده ، فان فريد وجدى يعتبر نفسه تلميذا لهذه المدرسة السلفية ولكنه يتفرد بالجنوح الى دراسات الفلسفة والطب الحديث واجراء مقارنات بينها وبين الاسلام ، وقد مضى فريد وجدى فى مجلته للمسيح سرورا لم تنل فقد توقفت المجلة ولكنه ولى عام ١٩٢٥ رئاسته تحرير مجلته الازهر وساد فيها هذا الأسلوب الى نهاية حياته ١٩٥٢ سريريا . وقد وضع فى شأن هذا المنهج خلاف واسع وعميق بينه من ناحية وبين رشيد رضا ومحب الدين الخطيب من ناحية اخرى كما يظهر فى مسليات مجلته الفتوح (الحلقة الثانية : مجلة الفتوح) .

اما منهج المنار فهو يختلف اختلافا واضحا عن هذا الأسلوب الذى اتخذه فريد وجدى ، اذ انه يعتمد على أسلوب اهل السنة والجماعة وهو اصح المذاهب وهو المنهج الطبيعى للأسلوب الذى بداه جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده (وكانا يسميان المعتزلة الجند) وصولا الى منهج اهل السنة ومفهوم القرآن الاصيل على النحو الذى سار عليه رشيد رضا واتسع بعد وعمق فى كتابات الأستاذ حسن البنا (الحلقة الثالثة : صحف الاخوان) .

وفى هذه المرحلة نجد ان هناك عددا من المجلات الاسلامية فى البلاد العربية والاسلامية :

المنصف — تونس — محمد الشريف التيجانى — ١٩٠٧

القبلة — مكة المكرمة — محب الدين الخطيب — ١٩١٦ .

ولا ننسى فى هذا المجال ان نذكر ان مجلة الأستاذ لصاحبها (عبد الله نديم) صدرت فى عام ١٨٩٢ ولكنها لم تلبث ان توقفت وهى ليست مجلة اسلامية بقدر ما هى مجلة وطنية اجتماعية .

اما مجلة الهداية التى انتسبها الشيخ عبد العزيز جاويز (١٩١٠ — ١٣٢٨) فقد عنيت بنفسه القرآن (اسرار القرآن ، النسخ فى القرآن ، نزول القرآن) .

وقد أولت اهتماما كبيرا لأحوال المسلمين في العالم فتحدثت عن مسلمي بلغاريا وروسيا والبوسنة والهرسك وانتشار الاسلام في افريقيا وبين روسيا وفارس والاسلام في الهند وعن وفد مسلمي الصين الى السلطان ، كما أولت اهتماما للغة العربية وانشاء نادى دار العلوم للغة العربية واهتمت باحياء التراث الاسلامي ، والكلام عن الشريعة الاسلامية ، وموقف العرب من مذهب دارون وهذه عبارتها :

(تزود عن الدين الحنيف وتزيل الشكوك التي يروجها المشككون وتحض مزاعم الطاعنين من القساوسة والراهبين وتدعو الى التمسك بتعاليم دينهم وبالأخلاق الكريمة :

يقول الأستاذ عبد العزيز جايوش : كان حقا على كل مسلم نور قلبه الايمان أن يهيب بالمسلمين داعيا اياهم الى السبيل القويم ناصحا لهم أن يعضوا على دينهم بالتواجز مستمسكين منه بالعروة التي لا تنفصم ، مستفصمين منه بالحبوة التي تؤمن كل معتصم مفندا ما يأتى به الطاعنون فيه من الشبه التي تقوى ضعف اليقين فقد طمى سيلها وسكت عن تفنيدها الذين من اخص خصائصهم أن يفندوها ويدحضوها حتى كثر سواد الطاعنين من القساوسة والرهبان ولم يعذر السفيه الا أن يؤتى دواه وقلما ، رأينا وسمعنا ذلك فعن لنا أن ننشئ مجلة تفرغ بعضها لاذاعة (اسرار القرآن) الذي هو دستور السعادت . . ولرد تلك الشبه وإحاض ما يكيلونه جزافا من الأكاذيب وبيان أن الاسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وتفرغ من بعضها قسما لانتعاش لغة العرب من عثارها مما ناتى به من التحقيقات اللغوية والاشارات الأدبية فقد أصبحت الالسننة ترتضح عجمه لبست الأصل والدخيل ونودع ما بقى من فراغ المجلة إباحاا أخرى » .

وقد مضى الشيخ عبد العزيز جايوش وهو تلميذ الشيخ محمد عبده أيضا الى اصدار مجلته ولكنه توقف بعد قليل — وان كانت له مثل فريد وجدى مؤلفات مشهورة — اما الذى صمد فى الحقيقة من تلاميذ الامام الثلاثة فهو رشيد رضا .

المرحلة الثانية : من الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية

(١٩١٩ — ١٩٣٩)

وهذه هي أدق مراحل العمل الصحفي الاسلامى فقد صدرت فيها
مجالات اسلامية كثيرة أبرزها :

- ١ — مجلة الفتح : محب الدين الخطيب ١٩٢٦
- ٢ — مجلة الأزمير : ١٩٢٠ صدرت تحت اسم نور الاسلام ثم عدلت
- ٣ — صحف الاخوان المسلمين : [١٩٢٣ أسبوعية (الاخوان)
النذير ١٩٢٨ المتكود ١٩٢٨]
- ٤ — الشبان المسلمون ١٩٢٩ (جماعة النشبان)
- ٥ — مجلة الشهاب (عبد الحميد بن بائيس) قسنطينة ١٩٣١ .
- ٦ — التمدن الاسلامى : دمشق ١٩٢٥ / ١٩٥٤ — أحمد مظهر العظمه
(وما تزال مستمرة الى اليوم) وهى من أعدل المجلات التى يجب
دراسستها

- ٧ — الاعتصام (أحمد عيسى عاشور) ١٩٣٩
- ٨ — الهداية الاسلامية (محمد الخضر حسين) ١٩٢٨ .
- ٩ — الهدى النبوى — ١٩٣٧ — محمد حامد الفقى
وفى أنحاء العالم الاسلامى صدر عدد من المجلات الاسلامية منها :
الهدى — ماليزيا — عبد الواحد الجيلانى العلوى ١٩٣١
مرآة المحمدية — جاكارتا — محمد على قدس ١٩٢٧
المرشد — بغداد — محمد الحسنى / صالح الشهرستانى ١٩٢٥
الاصلاح (مكة المكرمة) محمد حامد الفقى ١٩٣٠
الاعتصام (حلب) عبد الله المعتز ، عون الله الاصلاحى ١٩٢٩ .
أم القرى (يوسف ياسين) ١٩٢٥
شمس الاسلام (تونس) محمد الصالح بن مراد — ١٩٣٧
القضايا التى عالجتها الصحافة الاسلامية :
وقد تناولت هذه المجلات مختلف القضايا الاسلامية المثارة فى هذه
المرحلة :

قضية الدعوة الاسلامية : صحف الاخوان

قضية الخلافة (المنار)

قضية التفريب : طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق (المنار

والفتح)

قضية الفلسفة : الأزهر (فريد وجدي)

قضية العقائد : مصطفى صبرى — فريد وجدي — محب الدين
الخطيب (الفتح)

قضية فلسطين : صحف الاخوان والفتح .

قضايا التحرر السياسى الاسلامى ، قضايا المغرب الباكستان ،
فلسطين (الفتح وصحف الاخوان)

قضايا الاقتصاد الوطنى : (صحف الاخوان)

قضايا الشريعة الاسلامية : (صحف الاخوان والفتح)

قضايا بناء المجتمع الاسلامى بالتربية (صحف الاخوان) .

كما تناولت الصحف الاسلامية فى هذه الفترة قضايا النفوذ الاجنبى
وقضايا الدعوة الاسلامية ، واللغة العربية والتاريخ وتركزت تراثا ضخما
واسعا فى حاجة الى عرض وتقييم واسعين نرجو ان نتمكن من القيام بجانب
منه فى دراستنا للصحف الاسلامية .

[المنار — الفتح — صحف الاخوان — الأزهر]

تتميز هذه المرحلة بالجرأة فى معالجة قضايا التبشير والاستشراق
والتعريب ويزور عدد كبير من اعلام الفكر الاسلامى

٣ — المرحلة الثالثة : من الحرب العالمية الثالثة الى اليوم :

فى هذه المرحلة صدرت صحف اسلامية عديدة ابرزها :

الدعوة — مصر — صالح عثماوى — ١٩٥١ (ثم توقفت ١٩٥٦)
وعادت الى الصدور ١٩٧٤

المجتمع — الكويت — جمعية الاصلاح ١٩٧١

جوهر الاسلام (تونس) .

دعوة الحق (المغرب) .

الأصالة (الجزائر) .

اللواء الاسلامى : احمد حجة .

- البصائر — الجزائر — محمد البشير الإبراهيمي ١٩٤٧
الثهاب — مصر — حسن البنا ١٩٤٧
جريدة الإخوان المسلمين (اليومية) ١٩٤٦
المسلمون : سعيد رمضان ١٩٥١
الوعى الاسلامي : الكويت
الرابطة الاسلامية : محمد شاهين حمزة ١٩٤٤
منار الاسلام : ابو ظبي
منبر الاسلام : (وزارة الاوقاف) ١٩٤٨
البريد الاسلامي : محمد توفيق احمد ١٩٤٣
الامة : قطر
حضارة الاسلام : سوريا (مصطفى السباعي) .
صوت الاسلام : محمد عطية خميس ١٩٥٤
رابطة العالم الاسلامي : محمد سعيد العامودي (رابطة العالم
الاسلامي) مكة
وواصلت الشبان المسلمين ، الاعتصام ، الازهر ، الفتح صدورها .
البلاغ : الكويت (عبد الرحمن الولايتي) ...
الدعوة : المملكة السعودية ..
المسلم : محمد زكي ابراهيم ١٩٥١

هذه عجالة لاستعراض رعوس موضوعات واسماء الصحف ، نقدمها
بين يدي الدراسة الاولى عن (العروة الوثقى والمنار) على ان نعد في نهاية
المطاف بحثا مستفيضا مفصلا عن نتائج دراسة الصحافة الاسلامية وتحليل
لواقعها وآثارها على ان تبدأ من اليوم فنضع هذه الخطوط العامة :

اولا : هناك صحافة دعوة وصحافة فكر :
اما صحافة الدعوة فهي التي تتحدث عن التربية والتكوين الخلقي

والاجتماعى للشباب المسلم ولا تقدم له الا الأبحاث الناضجة البعيدة عن الخلافات والتيارات الفلسفية ، رغبة في اعداده اعدادا سليما .

اما صحافة الفكر فهى التى تعنى بالدراسات الفلسفية والمنطقية وغيرها على النحو الذى نراه واضحا فى المرحلة الاولى من مجلة الأزهر خلال تولى فريد وجدى رئاسة تحريرها (١٩٣٥ — ١٩٥٦) حتى وفاته .
اما مجلة الفتح وصحف الاخوان ومجلة الدعوة فهى صحافة دعوة .
وهناك صحف جمعت بين الدعوة والفكر .

ثانيا : هناك صحف لمعت فى المراحل التالية لها واخذت وضعا اشد قوة وحيوية مما كانت فى أول أمرها ، كما أن هناك صحف توقفت تحت ضغط الظروف السياسية أو وفاة منشئها .

ثالثا : هناك صحافة شعبية وصحافة حكومية :

الصحافة الأولى التى يقوم بها أفراد أو جمعيات اسلامية وهى اكثر حرية واكثر تعمقا فى معالجة المشاكل والقضايا وابرار وجهة نظر الاسلام اكثر من الصحافة الاسلامية الحكومية التى ترتبط بمواقف الحكومات من هذه القضايا أو بمواقف بعض الاقطار بالاقطار الأخرى .

رابعا : ولم تتوقف الكتابات الاسلامية على كتاب الاسلام العرب ولكن ظهرت أسماء كثيرة من الكتاب الاسلاميين من الهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا وايران وتركيا .

خامسا : غطت الصحافة الاسلامية جميع القضايا الاسلامية المثارة فى العصر والبيئة معا ووصلت بعض الصحف الاسلامية الحرة الى القدرة على الكشف عن وجوه النقص والقصور فى تلك القضايا .

سادسا : أبرز القضايا التى عولجت هى قضية فلسطين ثم قضية فلسطين والقدس وقضايا الربا والتعليم الغربى ومختلف قضايا المجتمع الاسلامى والاقتصاد والسياسة والتربية وقد قدمت فيها دراسات خصبة واوراق عمل نافعة .

صدرت فى السنوات الأخيرة مجلات اسلامية أخرى خاصة فى القاهرة :
اللواء الاسلامى والنور والتصوف الاسلامى .

كتاب الصحافة الإسلامية

كتبت هذه الصحافة الإسلامية عن عدد كبير من الكتاب الذين اشتغلوا بالصحافة والدعوة الإسلامية في مقدمتهم :

أحمد حمزة : لواء الإسلام	محب الدين الخطيب :
أحمد عارف الزين : العرفان	الزهراء ، الفتح ، القبلة
أحمد مظهر العظمة :	محمد الهياوي :
التمدن الإسلامي	محمد أبو زيد عثمان : النذير
أحمد عيسى عاشور : الاعتصام	محمد شاهين حمزة :
أحمد الشاذلي الأزهرى :	الرابطة الإسلامية
الاسلام	محمد البشير الأبراهيمي : البصائر
أمين الرافعي : الأخبار	محمد حامد الفقي : الهدى النبوي
أمين عبد الرحمن : الإسلام	محمد الخضر حسين :
أحمد أنس الحجاجي :	الهدى الإسلامي
منزل الوحي	محمد عطية خميس : صوت الإسلام
حسن البنا :	محمد زكي إبراهيم : المسلم
(صحف الأخوان) و (الشهاب)	محمد رشيد رضا : المنار
حسن عبد المقصود : الانتصار	محمد محمد علوان :
سميد رمضان : المسلمون	الإسلام والتصوف
صالح عثماوي : الدعوة	محمود أبو الفيض المتوفى :
علي الفاياتي : منبر الشرق	العالم الإسلامي ، لواء الإسلام
عمر التامساني : الدعوة	محمد سعيد العامودي :
عبد الحميد الزهراوي : الحضارة	الرابطة الإسلامية
عبد الحميد بن باديس : الشهاب	محمد توفيق أحمد :
عبد العزيز جاويش :	البريد الإسلامي
العالم الإسلامي والهداية	مصطفى السباعي :
فريد وجدي : الحياة	حضارة الإسلام
لبيبة أحمد : النهضة النسائية	

(ولقد أفرزت الصحافة الإسلامية خلال هذه المراحل الثلاث هذا ضخما من كتاب المدرسة الإسلامية هم جديرون بدراسة خاصة مستقلة عنهم)

وبعد فهذا استعراض سريع هو بمثابة إطار للتحرك من داخله في إصدار هذه الموسوعة عن تاريخ الصحافة الإسلامية ، هذا وبالله التوفيق .
أنور الجندي

البَابُ الْأَوَّلُ

العُرْوَةُ الْوَثْقَى

الفصل الأول : اثر العروة الوثقى في منهج الصحافة الإسلامية

الفصل الثاني : من العروة الوثقى الى المنار

الفصل الأول

اثر (العروة الوثقى) في منهج الصحافة الاسلامية (بين العمق التاريخى والأثر المستقبلى)

صدر العروة الوثقى في باريس (٥ جمادى الأولى ١٣٠١) الموافق ١٣ مارس ١٨٨٤ وتوقفت في ١٦ أكتوبر ١٨٨٤ (وصدرة ثمانية عشر عددا) فكانت هذه الاضمانة بمثابة دستور جامع شامل للعمل الصحفى الاسلامى لم يلبث أن نما واتسع بعد خمسة عشر عاما بصدر مجلة المنار عام ١٨٨٩ حيث امتدت ستة وثلاثين عاما ، وقد كانت المنار بمثابة منار حقيقى للصحافة الاسلامية التى حملت لواء الفكرة السلفية بكل نقائها وايمانها وقد امتدت الى المغرب غربا والى أندونيسيا وأرخبيل الملايو شرقا عبر جميع الاقطار الاسلامية من الجزيرة العربية الى الشام الى العراق الى الهند الاسلامية والباكستان وأفغانستان .

ولقد كانت هناك صحافة سياسية قبل العروة الوثقى تتحدث عن قضايا العالم الاسلامى من أبرزها مجلة الجوائب التى كان يصدرها أحمد فارس الشدياق منذ ١٨٥٠ ميلادية (١٣٠٤ هـ) حتى وفاته ١٢٧٧ هـ (١٨٨٧ م) فعاشت ثلاثة وعشرين عاما ولكنها لم تقدم منها اسلاميا للصحافة على النحو الذى عرفناه في العروة الوثقى .

لقد صدرت العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ (وبعد الاحتلال الفرنسى للجزائر ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١) ، وكانت خلقية العروة الوثقى ممثلة في أمرين :

اولا : كان أمام محمد عبده وجمال الدين تجربة الامام ابن تيمية في الحروب الصليبية ومواجهة الغزو الخارجى .

ثانيا : حركة التوحيد في الجزيرة العربية بقيادة الامام محمد بن عبد الوهاب .

وكانت هذه المرحلة قد تجاوزت الوقوف عند قضية تحرير الفكر الاسلامى من قيد التقليد التى قامت بها حركة التوحيد ، الى العمل لمواجهة الغزو الاستعمارى للعالم الاسلامى ، هذه القضية التى بدأت باحتلال

الجزائر بعد جهاد الامام عبد القادر خلال سبعة عشر عاما ، وهى المعركة التى واجهت الامام محمد بن على السنوسى فطاف البلاد العربية والاسلامية للبحث عن مواجهة الخطر ، وكان جمال الدين الافغانى قد قدم من ارض افغانستان وايران والهند حيث كان النفوذ الاجنبى (الانجليزى) يتحرك هناك بقوة ، وقد واجه هو شخصا فى بلاط امبراطور فارس هذه التجربة وحاول التصدى لاصدار الدستور الايرانى ، ومن ثم واجهه النفوذ الاستعمارى بالاضطهاد فقدم الى مصر « قلب العالم الاسلامى » ليوافقه هذه الغزوة الاستعمارية ، وكانت كلمته المعروفة دائما :

هى « تنكيس اعلام بريطانيا فى العالم الاسلامى » .

وكانت بريطانيا قد سيطرت على الهند عام ١٨٥٧ وامتد نفوذها الى ايران وافغانستان عام ١٨٦٨ .



ومن هذا فقد جاء صدور العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر مضيفا مبدءا جديدا للعمل الصحفى الاسلامى وهو قضية الوحدة الاسلامية التى كان يحمل لواءها السلطان عبد الحميد حاكما ، والسيد جمال الدين الافغانى داعيا ، وقضية تحرير الاوطان الاسلامية من النفوذ الاجنبى .

وهكذا انشأت « العروة الوثقى » ذلك المنهج الجامع الصحيح الذى سارت عليه الصحافة الاسلامية منذ ذلك اليوم والى اليوم من خلال اهداف واضحة محددة اهمها :

اولا : ايقاظ الروح الكامنه فى النفس الشرقية ومحاربة اليأس ومواجهة النفوذ الاجنبى الزاحف .

ثانيا : التماس منهج القرآن فى بناء الافراد والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين .

ثالثا : تنبيه الامة الى ذاتيتها الاصيلية التى انشأت الحضارة الاسلامية الزاهرة وقدمت صفحات التاريخ الوضئى والتذكير بعظمة التراث الاسلامى .

رابعا : محاربة الاستعمار بكل ما تملك الامة من وسائل بمفهوم الجهاد الاسلامى .

خامستا : الدعوة الى امتلاك اسباب القوة والتقدم والعلم والتمدن

دون التخلّى عن الجذور في دائرة مفهوم الاسلام القائم على العدل والرحمة والاخاء البشرى .

سادسا : مقاومة التبعية والحيلولة دون الذوبان في الأمية أو الفكر العالمى .

وبذلك دخلت الصحافة الاسلامية الى اطار الاسلام السياسى والحضارى والاجتماعى وكانت قبل ذلك تقف عند كتابات حول العقائد والعبادات .

ومن قبل صدور العروة الوثقى ومنذ وصول جمال الدين الى القاهرة عام ١٨٧٩ ، فقد كان له دوره الواضح الخطير في الصحافة المصرية والاداء الصحفى بالتحول عن أسلوب السجع والمحسنات اللفظية والمقدمات المستطردة الى أسلوب جديد أقرب الى الاداء العلمى المبسط ، وهذا ما ظهر في كتابات تلاميذه والصحف التى صدرت في عهده وفي كتابات محمد عبده وابراهيم اللقانى وسعد زغلول .

ولقد كان اثر العروة الوثقى واضحا على مستويات متعددة :
في بيان الزعماء والمصلحين وكتابات الكتاب وفي الحركات الاسلامية وفى الصحف التى صدرت منذ ذلك الحين .

وقد كان أكبر مظاهر هذا الأثر في مصر عن طريق المنار التى تعتبر الامتداد الطبيعى للعروة الوثقى من حيث أن الشيخ محمد عبده الذى كان المحرر الأول للعروة هو بمثابة المشرف على المنار (مع ملاحظة تغيرات العصر والمسائل المتجددة) حتى وفاته ١٩٠٥ .

وفي هذه المرحلة صدرت صحيفتى المؤيد (الشيخ على يوسف) اللواء ، والعلم (الحزب الوطنى وبرز محرريها الشيخ عبد العزيز جاويش) ، وذلك حنى اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ثم صدرت صحف سياسية تقدم صفحة اسلامية تحت عنوان العالم الاسلامى أو العربى ، وذلك في صحف كوكب الشرق (أحمد حافظ عوض) ، البلاغ (عبد القادر حمزة) ، والجهاد (توفيق دياب) ، وجريدة الأخبار (أمين الرافعى) .

ثم صدرت بعد الحرب مجلات : الأزهر (١٩٣٢) تحت اسم « نوره

الاسلام « أولا ، ومجلة الفتح ١٩٢٧ (محب الدين الخطيب) ، ومجلات الجمعيات الاسلامية : الشبان المسلمين ، والاخوان ، والهداية الاسلامية وغيرها عشرات المجلات الاسلامية الاخرى التى لم تخرج على هذا النسق الذى رسمته العروة الوثقى وطبقه المنار .

وفى اوربا (فى جنيف) صدرت مجلة الأمة العربية (شكيب أرسلان واحسان الجابرى) ، وصدرت منبر الشرق (على الغياتى) لمعالجة قضايا الأقطار الاسلامية .

أما فى المشرق الاسلامى فقد صدرت المجلات الاسلامية الآتية :
تونس : شمس الاسلام ١٩٣٧ ، مجلة المعارف ١٩٠٧ (محمد صادق المحمودى) .

الحجاز : مجلة مكة المكرمة (هاشم يوسف الزواوى) ، الاصلاح ،
أم القرى ١٩٢٥ ، القبلة .

حلب : الاعتصام

دمشق : التمدن الاسلامى .

قسيطينة : الشهاب ١٩٣١ (عبد الحميد بن باديس) .

ماليزيا : الهدى ١٩٣١ (عبد الواحد الجبلانى العلوى) .

الجزائر : البصائر (محمد البشير الابراهيمى) .

وصحف أخرى كثيرة يخطئها الحصر .

أما عشرات الأعلام الذين تعلموا على « العروة الوثقى » والمنار ،
فهم كثيرون ، فى مقدمتهم عبد العزيز الثعالبى والطاهر بن عاشور فى تونس ،
وعبد الحميد بن باديس فى الجزائر ، وعلال الفاسى فى المغرب وفى دمشق ،
الشيخ حسين الجسر ، وظاهر الجزائرى ، والكواكبي ، وجمال الدين
القاسمى ، وعبد الرازق البيطار ، وفى العراق محمود شكرى الألوسى .

فهذه المدرسة السلفية التى أنشأتها العروة والمنار امتدت الى كل هذه
المناطق ، وكان محمد عبده قد أقام فى بيروت فكون بذرة صالحة هناك لاذاعة
مفاهيم التوحيد الخالص ، كما أنه زار تونس والجزائر وترك فيها بذرة العمل
السلفى الذى انبثقت منها الحركة الوطنية فى الجزائر والمغرب وتونس

في سبيل مقاومة النفوذ الأجنبي ونشأ على ذلك جيل قاوم هذا النفوذ مقاومة صامدة حتى تحقق له النصر .

وأيما تطلعت في أقطار الاسلام الى المجاهدين في سبيل تحرير الأوطان تجدهم من تلاميذ العروة الوثقى والمنار ، وقد امتد هذا النفوذ الى أرخبيل الملايو حيث يقول المستشرق ك . ك . برج . (في كتاب وجهة الاسلام) تأليف هاملتون جب وترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريذة ما يلي :

« ولم يشرق منار القاهرة على المسريين وحدهم ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وخارجها وعلى مسلمي أرخبيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الأزهرية وعلى الأندونيسى المنعزل الذى ظل محافظا على علاقته بقلب العالم الاسلامى بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الاسلام : هؤلاء جميعا رأوا الاسلام على نور جديد لم يرو فيه مثالا للتشدد والجمود ورأوه الدين المختار بين الأديان ، وحامل المثل الأعلى لكل زمان مضى ، المثل الجديدة لكل زمان آت ، وهو شباب متجدد الشباب حامل لواء كل تقدم ، شديد في التسامح ، وقد أصبح الذين اقتبسوا من نور المنار منارات صغرى في أندونيسيا بعد أن عادوا اليها » .

وقد أشار مؤلف كتاب « الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا » الى اثر الشيخ محمد عبده والمنار في الحركة السلفية في تونس والجزائر والمغرب على اثر زيارته لتونس عام ١٨٨٣ ثم زيارته للجزائر عام ١٩٠٤ ثم كانت المنار التى تصل الى كل مكان في العالم الاسلامى وقد تأثر بها الدعاة المسلمون هناك وكان خطها واضحا في مجلة الشهاب التى أصدرها الامام عبد الحميد بن باديس عام ١٩٣٠ على نفس النهج ، ولقد حدثنى الأستاذ أحمد توفيق المدنى الذى هو أحد ثمار ما سمى في الجزائر وتونس جماعة العروة الوثقى أن الجماعة أصدرت عام ١٩١٥ أول صحيفة اسلامية في الجزائر تحت اسم الفاروق بقيادة السيد عمر بن قدور الجزائرى وانها تصدت للاستعمار الفرنسى بمقال كتبه المدنى كان من نتيجته أن حكم عليه بالسجن هو ومؤسس مجلة الفاروق من ١٩١٥ الى ١٩١٨ في زنزانة ضيقة .

وفي الجزيرة العربية كانت العروة ثم المنار موضع تأثير كبير في مجالس العلم ، ويتحدث الأستاذ مبارك الخاطر في كتابه عن القاضى الرئيس قاسم ابن مهزوع حيث يصور الحركة الفكرية في البحرين فيقول : ان شباب البحرين الذين درسوا في الأزهر بمصر وكلية عليكرة في الهند وعادوا قد اعتنقوا آراء

السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وأحزابهم في مصر والشام والعراق الذين وجدت آراؤهم صدق لها هنا بين الشباب إذ ذاك عبر ما يقرأونه هنا من صحف هؤلاء المصلحين المجددين أمثال العروة الوثقى للأفغانى ومحمد عبده ، والمؤيد لعلى يوسف ، والمنار لرشيد رضا ، واللواء لمصطفى كامل ، وقد كانت هذه الصحف تحمل آراء هؤلاء الى كل أبناء المسلمين في كل الأرض وكانت عناوين مقالات تلك الصحف من مثل (أخبار الجاويين) أى مسلمى أندونيسيا وجمعيات المسلمين في الهند ، والمسألة الشرقية ، فقد كتب التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ، الجامعة الاسلامية ، المسلمون الروس في مجلس الدوما السوفياتى ، الاستثمار في جزيرة العرب ، الغارة على العالم الاسلامى .

وكان من ظهور هذه الصحف العربية الاسلامية وآخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كردة فعل جاءت بالفكر الاسلامى الاصلاحى الجديد وكسلاح فكرى اسلامى لوقف الاخطبوط الماسونى التبشيري الذي غزا الأمة الاسلامية على حين غرة مهدين السبيل للهجمة الصليبية الاستعمارية الجديدة التي استهدفت عقيدة هذه الأمة وتراثها ليسهل أمر استعبادها فكريا وبالتالي ليستمر استعبادها جسديا ، وقد كان .

وكان الشيخ قاسم بن مهزح زعيم الفكر الاسلامى في البحرين يقرأ مجلة المنار ويقول انها تعبر عن الأقوال الفاصلة بالحق .

ولقد امتدت المنار حتى عام ١٩٣٦ حيث توفي السيد رشيد رضا ولكن مجلة الفتوح التي أنشأها السيد محب الدين الخطيب الذي يعتبر خليفة السيد رشيد رضا في هذا المجال امتدت حتى عام ١٩٤٨ ، كذلك فان السيد فريد وجدى تلميذ الأستاذ الامام قد أشرف على مجلة الأزهر (١٩٣٤ — ١٩٥٢) ثم تولاها السيد محب الدين الخطيب ثم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

وقد امتدت جماعة العروة والمنار من تلاميذ الأستاذ الامام في مجموعة أخرى ، منها الشيخ سرور الزنكونى والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبد المجيد سليم ، ثم في مجموعة تالية أو طبقة تالية ، منها الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الجليل عيسى .

وفي الهند الاسلامية امتدت هذه المدرسة في الشاعر محمد اقبال والسيد المودودي وأبو الحسن الندوي ، وفي أفغانستان وايران لا نعدم الكثيرين من تلاميذ المدرسة السلفية التي كونتها العروة والمنار .

وقد أحصى المغفور له الدكتور أحمد الشرباصي في كتابه (مدرسة الأستاذ الامام وأثرها في اللغة والأدب) عددا كثيرا ممن تأثروا في أسلوبه ومنهجه وهم تلاميذ العروة والمنار على الأصح ، سعد زغلول ، حفنى ناصف ، محمد المهدي ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، على يوسف ، رشيد رضا ، شكيب أرسلان ، عبد القادر المغربي ، عبد الرحمن البرقوقي ، أحمد لطفى السيد ، مصطفى عبد الرازق ، أحمد تيمور ، محمد مصطفى المراغى ، أحمد فتحي زغلول ، ابراهيم اللقاني ، عبد الكريم سلمان ، ابراهيم الهلباوى ، عبد العزيز جاويش ، حافظ ابراهيم ، اسماعيل صبرى ، رفيق العظم ، أحمد ابراهيم ، حسن منصور ، عبد الوهاب الفجار ، مصطفى العناني وغيرهم .

أما في الحاضر فان مدرسة العروة والمنار فما تزال ذلك اثر واضح في الصحافة الاسلامية القائمة الآن التي لم تخرج عن نفس الاصول العمامة التي وضعتها العروة قبل مائة سنة بل ان القضايا التي ظهرت في سنوات ما بين الحربين وما بعدها كسقوط الخلافة الاسلامية وانشاء اسرائيل ، وظهور حركات التبشير والتفريب والغزو الثقافي فائها كلها تدخل تحت تلك الاصول وقد كانت مؤامرة النفوذ الأجنبي واضحة تماما لصاحبى العروة وكاتبها رحمهما الله رحمة واسعة وأجزل مثوبتهم جزاء ما قدما ويمكن لكل العاملين على طريق الصحافة الاسلامية الأصيل .

مراجع البحث :

- تاريخ الأستاذ الامام (الجزء الثالث) : محمد رشيد رضا .
- اليقظة الاسلامية في مواجهة الاستعمار : أنور الجندى .
- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا : أنور الجندى .
- المنار والأزهر : محمد رشيد رضا .
- الشيخ طاهر الجزائري : الدكتور عدنان الخطيب .
- مدرسة الأستاذ الامام وأثرها : الدكتور أحمد الشرباصي .
- القاضى الرئيس قاسم بن مهزح : مبارك الخاطر .
- وجهة الاسلام : هاملتون جب وآخرون .

الفصل الثاني

من العروة الوثقى الى المنار

تحدث السيد رشيد رضا في (المنار) عن (العروة الوثقى) وكيف كان لها اثرها في تكوينه الثقافي والاجتماعي وفي منهج المنار ، في أكثر من موضع وعلى مر السنوات الطوال . فإشار الى الدور الذي قامت به في توجيه الرأي العام الاسلامي ، كما نقل فصولا متعددة من العروة الوثقى في مناسبات متوالية وأعلن أنه وجريدته امتداد لهذه الحركة التي أطلق عليها « حركة الإصلاح الاسلامي » كما قارن بين العروة الوثقى والمنار فقال : كل ما صدر من « العروة الوثقى » (١٨ عددا) هزت القلوب وأيقظت العقول وكان الغرض من انشائها : اثارة العالم الاسلامي وجمع كلمته لدفع عبودية الاستعمار الأوربي وتجديد دولة اسلامية عزيزة تتولى في ظل حريتها ما يجب من الإصلاح الديني والدنيوي وكان من رأى السيد جمال الدين أن الثورة اقرب الوسائل لتجديد الملة بالعلم الصحيح والعمل المفيد في ظل الاستقلال والقوة . أما عرض (المنار) فهو اعداد الأمة لهذا التجديد وأول وسائله بيان أمراض الأمة وأسبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون في المعالجة المطلوبة وكان الأستاذ الامام أول من ناط أمله به في الإصلاح المطلوب كله وكان يصرح به في مجالسه لمن يراهم أهلا لفهمه واستعداد لطلبه وهو الذي أغناه عن كتابة وصيته للأمة ، اذ الوصية لا تكون الا كلاما مجملا ، لما أنشئ « المنار » لبيان مفصلا والناس لا يفهمون من الكلام الا بقدر ما استعدوا لفهمه والاعتبار به ولا يكون ذلك الا بالتدريج .

وقد مضى « المنار » لطيته وما زال بتوفيق الله وحوله وقوته يرتقى في كل معراج من معارج عمله ، ودون كسبه نظام معيشته فممنشؤه قد نشأ وشب وشاب على الزهد في الدنيا وجدانا وعملا لا رأيا وعقلا ، فهو يرى أن الزهد لا يجوز أن يتجاوز شعور القلب الى التقصير في الكسب ، لكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق الله » متفق عليه ، وروى بزيادة (اعملوا) في أوله ، وبهذا الزهد يسر الله له أن يتصرف بكل قواه الى الإصلاح والتجديد الاسلامي علما وبحثا ودعوة وحجة ودفاعا

واقناعا حتى صار موضع ثقة خواص المسلمين غير الجغرافيين في العالم الاسلامي كله في اصلاحهم كما قال الأستاذ المراءى شيخ الاسلام وخليفة الأستاذ الامام على اصلاح الازهر لمولوى مشير قدوائى من كبراء مسلمى الهند وقد سألته ان يروى عنه لمسلمى الهند كله فيما يجب عليهم من اصلاح فقال ما خلاصته : « ان المسلمين لا يرجى لهم صلاح الا بالقرآن على الوجه الذى يفسره به المنار » تلك فائدة زهد منشئ المنار في دنياه له وللناس وهى علمية خالصة ، اما مضرة هذا الزهد له فهى مالية خالصة به ، ذلك انها أوصدت امامه باب طلب الرزق وفتحت عليه باب الدين ، حتى كادت تقضى على المنار الذى كان مفتاح كل خير فانى لم أستطع ان أعنى بنظام ادارته وضبط حساباتها ولا مراقبته بنفسى ، وانما تركت مطالبة قراء المنار بما له عليهم من حق النفقة لأجل أن أوفيههم حقهم وحق الأمة كاملا بقدر استطاعتي .

(٢)

وفي موضع آخر عرض للعروة الوثقى وأثرها في المنار فقال :

أنشأ (الأفغانى ومحمد عبده) جريدة العروة الوثقى لدعوة المسلمين الى الوحدة الصحفية ، وان يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » أرشدت هذه الجريدة العلماء الى اامة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين في المذاهب (كأهل السنة والشيعة) الى الاتحاد والاتفاق ، وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعى في الدين من أسباب التفرق والانقسام الذى يقضى على الجميع فاهتز لها العالم الاسلامى هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا لو طال الأمد على جريدة « العروة الوثقى » لحدث في العالم الاسلامى انقلاب مهم ، ولهيب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجد آبائهم وأجدادهم ، ولقد بلغ من غرام نبهاء المسلمين بهذه الجريدة أن حفظها بعضهم عن ظهر قلب . كانت العروة الوثقى قبسامن نور القرآن ونعمة من روحه ، وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ، لم تذكر فيها الثنئون الاسلامية العامة في الجرائد الا ما يجيء في عرض القول ، حتى أنشأ نابغة الكتاب عبد الله نديم مجلة الأستاذ ١٣١٠ وكتب فيها المقالات الطنانة الربانية في تنبيه المسلمين الى الأخطار المحقة بهم ويسائر الشرقيين متر بعدها الكلام عن (الجامعة الاسلامية) حتى وفقتنى الله لانشاء المنار لاحياء تعاليم العروة

الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها ، وأضأنا قمة نبراسها الا ما كان فيها من السياسة التى تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز فهذا امر ذهب بذهاب وقته .

قلنا أن (المنار) وافق (العروة الوثقى) فى تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التى وضعتها للوحدة الاسلامية وخالطها فى وجهيها السياسية المصرية . ونقول أيضا : انه زاد عليها البحث فى حرفيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المقيدة ونحو ذلك .

ولهذا يقول قراء المنار أنه لم توجد قبله جريدة فى موضوعه وقال صاحب الأهرام ان فى طريق هذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى عن وجهة الدين (ناقشه صاحب المؤيد وصاحب المنار) وفى هذه السنة (١) كثرت الكتابة فى شأن المسلمين غنر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين فى الشرق والغرب منهم الفقير منئى هذه المجلة : جريدة زمان التركية فى قبرص ، جريدة محمدان الهندية ، جريدة معلومات العربية فى الأستانة ، ثمرات الفنون ، جريدة انحاضر التونسية ، وفى هذين الأسبوعين كتب الأهرام بعنوان الجامعة الاسلامية ثم كتب المقطم ، وناقشهما المؤيد وكتب اسماعيل عصبرنسكى فى جريدة ترجمان فى القريم ، الأهرام والمقطم متفقان على ان الدعوة الى الجامعة الاسلامية باسم الدين مضره وغير موصلة الى الغاية وانه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسلامية الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان (المسلمون ثلاثمائة مليون) اما المؤيد فقد اقترح عقد مؤتمر اسلامى ودعا الى الأخذ بالفنون والصنائع الأوروبية ومن الآراء تعميم التربية والتعليم وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات العلمية والأدبية وتكثير الجرائد التى ينطق بها المسلمون والعناية بأمر القوة الحربية وتعليم النساء .

واقترح المنار تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون مقرها مكة المكرمة ولها شعب فى سائر البلاد وجريدة مخصوصة وتقوم الأصول على التوحيد فى العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والتربية والتعليم وتلافى البدع والتعاليم الفاسدة واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين .
والنتائج هى اتحاد الحكومات الاسلامية ، ان سبب النهضة التى

تجمع الاسباب كلها هو تعميم التربية العملية والتعليم الصحيح من الوجهة الدينية الجامعة لمصالح المعاش والمعاد . وأكبر عقبة في سبيل ذلك هو ندرة الرجال القادرين على التعليم الذى نريده والتربية التى نبتغيها .

(٣)

كذلك فقد نقل السيد رشيد رضا كلمات كثيرة من العروة الوثقى الى المنار في مناسبات مختلفة مجددا هذه الدعوات الحارة ومن ذلك ما نقله في المجلد الثانى من فهم صاحبى العروة للاسلام وذلك قوله :

الديانة الاسلامية وضع أساسها على طلب الغلب والشوكة ، ورفض كل قانون يخالف شريعته ونفذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها ، فالناظر في أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكما لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لابد أن يكونوا أول ملة حربية في العالم وأن يسبقوا جميع الملل الى اختراع آلات المقاتلة واتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجبر الأثقال والهندسة وغيرها ومن تأمل في آية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أيقن أن من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلب وطلب كل وسيلة الى ما يسهل لها مسيلها والسعى اليها بقدر الطاقة البشرية فضلا عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه ومن لاحظ ان الشرع الاسلامى حرم المراهنة الا في السباق والرمية انكشف له مقدار رغبة الشارع في معرفة الفنون العسكرية والتمرن عليها . ولكن مع كل ذلك تأخذ الدهشة من أحوال المسلمين المتمسكين بهذا الدين لهذه الأوقات اذ يراهم يتهاونون بالقوة ويتساهلون في طلب لوازمها وليست لهم عناية في فنون القتال ولا في اختراع الآلات حتى ناقتهم الأمم سواهم فما كان أول واجب عليهم واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك الفنون والآلات .

(مقدمة الجزء الثانى من العروة الوثقى)

البَابُ الثَّانِي

مجلة المنار : محمد رشيد رضا

- مدخل : عرض عام لخطة المنار وأهدافها
- الفصل الأول : من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام
- الفصل الأول : من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام
- الفصل الثالث : الى سقوط الخلافة الاسلامية
- الفصل الرابع : المنار الى وفاة الشيخ رشيد

مدخل

عرض عام لخطة المنار واهدافها

صدرت من ٢٢ شوال ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م واستمرت الى ٣٠ محرم ١٩٥٤ الموافق مايو ١٩٣٥ (٣٤ مجلدا) خلال ثلاثة وثلاثين عاما ، اصدرها السيد محمد رشيد رضا في القاهرة وظل يصدرها الى حين وفاته (في نفس العام) وقد نوه على صدر صفحتها الاولى أنها « مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وثئون الاجتماع والعمران » .

وقد كشفت منذ عددها الاول عن هدفها الذي يتمثل في العناصر الآتية :

- الاصلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الاسلامية .
- اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لمصالح البشر في كل قطر وكل عصر .
- ابطال ما يورد من الشبهات عليه وتنفيذ ما يعزى من الخرافات اليه .

— الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي البدء طبع ألف وخمسمائة نسخة من كل عدد أرسلت الى البلاد المصرية والسودانية وكانت لا تلقى رواجاً في أول الأمر ، حتى كانت السنة الخامسة للمنار ١٩٠٢/١٣٢٠ م بدأ رواجه وسعة انتشاره ، وقد بدأ على هيئة جريدة أسبوعية ذات ثمان صفحات كبيرة كانت تحمل برقيات الأسبوع وبعض الأخبار ثم وضع في شكله المجلد (الحجم ٧٠ في مائة المعروف الآن) في السنة الثانية وأعيد طبع السنة الأولى وفق هذا الحجم الذي استمرت عليه المجلة الى نهايتها .

يقول : وما زاد المشتركون عن ١/٣ الالف الا قليلا ، وما كان انتقاص عملى منتقضا شيئا من أمالى ولا زهد آلامه في المنار باعثا على جعله طعاما للنار بل كنت أحرص عليه حاسسا أن الناس سيعودون اليه ، وقد هام الناس متعلا وبدعوا يطلبون مجموعات السنين الماضية .

قال السيد رشيد رضا في افتتاحية العدد الأول :

فأنشأت هذه الجريدة اجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لاصلاح الخل ومشايعه للساعين في مداواة العلل ، الذين ارشدتهم تعاليم الدين وهداهم النظر في الآيات الكونية . فتكون الجريدة وصل بينهم وبين الأمة تبعث بارشادهم روح الهمة في أفرادها ، وتحى ميت العبرة في نفوس احادهم . ان غرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين والترغيب في تحصيل العلوم والفنون واصلاح كتب العلم وطريقة التعلم والتنشيط في مجارة الامم المتقدمة في الاعمال النافعة ، وشرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة والتي افسدت الكثير من عوائدها والتعاليم الخادعة التى الهست النفى بالرشاد والتاويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل حتى صار الجبر توحيدا وأنظار الاسباب ايمانا وترك الاعمال المقيدة توكلًا ، ومعرفة الحقائق كفرا والحادا .

ويقول : اقتبسنا أسلوب الاجمال قبل التفصيل ، وقرع الاذهان بالخطابات الصادرة عن القرآن الكريم . فافتتاحيات المنار زواجر منبهة وبينات في الاصلاح مجلة ترشد المسلمين الى النظر في سوء حالهم وتندرهم الخطر المهدد لهم في اشتغالهم وتذكركم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين وما أضاعوا من مجد آبائهم الاولين » .

« صاحب المنار »

ولابد لمعرفة آفاق مجلة المنار من التعرف على صاحبها السيد محمد رشيد رضا : ذلك الشاب الذى ولد في بلدة القلمون (طرابلس الشام) الذى تعرف على الدعوة الاسلامية من خلال المدرسة السلفية المبثوثة في الشام من امثال الشيخ حسين الجسر ، هذه المدرسة التى تعرفت الى جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والى كتاباتهما في مجلة العروة الوثقى التى كانا يصدرانها في باريس في مطلع القرن الثالث عشر الهجرى وقد قرأ رشيد رضا فصول (العروة الوثقى) وتأثر بها وحاول الاتصال بالسيد جمال الدين الافغانى خلال اقامته في استانبول ، فلما سبق القدر بوفاته اتجه الى الاتصال بالشيخ محمد عبده في نفس العام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م في القاهرة ولم يلبث أن عرض وجهة نظره في اصدار مجلة اسلامية على الشيخ الامام مؤيددها متوجهة في العتام الثانى في شوال ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م .

وبذلك ارتبطت الدعوة الإسلامية بين (الشام ومصر) على هدف واحد ، ومن خلال هذه المدرسة ظهر عديد من الدعاة أمثال عبد الرحمن الكواكبي ، والقاسمي ، والرافعي ، و (الزهراوى) صاحب مجلة الحضارة وظاهر الجزائرى .

وقد امتدت حياة الشيخ رشيد رضا مع مجلة المنار الى نهاية المطاف خضبة عامرة بالعمل الإسلامى ، عن طريق الصحافة الإسلامية ونشأت في خلال هذه المرحلة المجلات الإسلامية التى سارت على نفس الطريق ،

ريادة المنار للصحافة الإسلامية

وكانت المنار رائدة حقاً في رسم الطريق الصحيح للصحافة الإسلامية من حيث عنايتها بالجوانب المختلفة :

أولاً : دراسة العقيدة الإسلامية : في مجال تفسير القرآن والسنة والفقه والفتاوى .

ثانياً : دراسة أحوال المسلمين في العالم الإسلامى كله وخاصة البلاد الإسلامية في معركتها المواجهة للاستعمار .

ثالثاً : ظهور حزب الإصلاح الإسلامى الذى قاده الشيخ محمد عبده ومضى فيه رشيد رضا وتلاميذ الامام ، وتبلور مفهوم واضح للإسلام من خلال الفهم المنبعث من منابع الأصيلة .

رابعاً : متابعة أحوال ونشاط الجمعيات الإسلامية في مصر وتونس والعالم الإسلامى .

خامساً : دراسة المجتمع الإسلامى وأحوال المرأة وإصلاح المحاكم الشرعية ومختلف ما يتصل بالقمار والخمر والزنا والترف والفساد الاجتماعى جملة .

سادساً : التربية الإسلامية وإصلاح التعليم والجامع الأزهر وشئونونه

سابعاً : مواجهة التحديات والأخطار المنبعثة من الدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والرد على كتابات الغربيين من خصوم الإسلام .

ثامناً : المؤلفات الإسلامية والتراث المجدد . وقد عنيت المنار بتقديم عرض للمؤلفات الإسلامية الحديثة وما يتجدد من كتب التراث التى كان للمنار وللشيخ محمد عبده دور كبير في احياؤها .

تاسعا : (الاهتمام باللغة العربية) التعرض للأدب والشعر والبلاغة وفنون الأدب المختلفة ونشر قصائد الشعر الجيد .

عاشرا : التعرض لوجهة نظر الصحافة الإسلامية من المجالات والصحف اليومية وخاصة ما يتصل بصحف الحزب الوطنى وغيرها .

رسالة المنار

ولم تتوقف المنار عن التعريف برسالتها فأشار محررها الى ما امتازت به جريدة المنار بالتنويه المتواصل [بأن الاسلام جاء بتعاليم كامية لعروج الأمم الى سماء السيادة العليا وبلوغها مراتب السعادة القصوى لأنها أبطلت جميع الاعتقادات التى تحول بين الانسان وبين كماله ، ان أمة هذه قواعد دينها لا يصلح حالها الا بالتمسك بها وما كنا ممن يسند الى الاسلام ما ليس فيه فان الدين نفسه يحظر علينا هذا ، كيف وقد اعترف للاسلام بمزاياه الشريفة جميع الناظرين فى التاريخ والباحثين فى الملل والشرائع بالانصاف من غير المسامحين حتى ان ذلك ليفيض من أنابيب أقلامهم فيما يكتبون] م ١ /

ويقول : أنشأنا المنار من أجل الإصلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الإسلامية وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لصالح البشر فى كل قطر وإبطال ما يورد من الشبهات عليه وتقنيده ما يعزى من الخرافات اليه .

ويقول : « اننى لم أنشئ المنار ابتغاء ثروة أتأملها ولا رتبة من أمير أو سلطان أعمل بها ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهى بها الأقران بل لأية فرض من الفروض ، يرجى النفع من اقامته ونائمه الأمة كلها بتركه فلم أدن أبالى بشئ الا قول الحق والدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكنت اذا أصبت هذا بحسن عملى واجتهادى فسيان رضى الناس أم سخطوا ، قبلوا المنار أم رفضوا » .

الفصل الاول

من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام

المجلد الأول (١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م)

تمثل المنار في هذه المرحلة نموذجا من الصحافة الاسلامية المرتبطة بملهج الأستاذ الامام وتحركاته وصدقاته ووجهة نظره في مختلف القضايا وخاصة بالنسبة للحركة الوطنية والقصر والنفوذ الانجليزى وخطته في العمل في سبيل انشاء حزب الاصلاح الاسلامى ، وقد اشار السيد رشيد رضا الى اهداف المنار في العدد الاول على هذا النحو :

- ١ - الحث على تربية البنات والبنين .
 - ٢ - الرغبة في تحصيل العلوم والفنون .
 - ٣ - التنشيط في مجارة الأمم المتمدنة في العلوم النافعة .
 - ٤ - طروق أبواب الكسب والاقتصاد .
 - ٥ - شرح الدخائل التى مازجت عقائد الامة والأخلاق الرديئة أنتى أفسدت كثيرا من عوائدها والتعاليم الخادعة التى ليست ألفى بالرشد والتاويلات الباطلة التى شبّهت الحق بالباطل .
- وكان رشيد رضا يكرر دائما عبارته : ان الصحيفة الناجحة لا تكون كذلك الا « اذا جاءت بمشرب جديد » ، وقد اعترف صاحب هذا الرأى بأنه جاء ببيان الأمراض الاجتماعية التى طرأت على الامة الاسلامية والشرق كله والبحث فى أسبابها وعلاجها ، والأخطار التى تتهدد الشرق كله والمسلمين فيه والاعتصام بالدين القويم ، والاعتصام بحبل الخلافة ، وعلم العلماء ، وتأليف الشركات المالية ، وتعميم المدارس للبنين والبنات وطبع المؤلفات النافعة وانشاء المنتديات العلمية ، كما اشار الى مضرة مذهب التصوف ، من الافراط فى الزهادة وترك العمل للدنيا ، وان شدة زهادتهم فى الدنيا كانت سببا لزهادة المسلمين فى الدنيا والآخرة .
- وكان سببا فى تزايد النزعات الوثنية فى المسلمين بسببهم (م ١ - ١٨٩٨) .

المجلد الثانى (١٣١٦ - ١٨٩٩)

وفى العام الثانى تابع الشيخ رشيد رضا دعوته على نفس الأهداف التى رسمها فى العام الاول .

وكان أبرز أحداث العام مظالم هولندا فى جاوه والحديث عن الاسلام فى البرازيل واليابان ومستقبل الاسلام فى الصين ومراكش والهند ، ومقدونيا والمسلمون فى روسيا .

وكان من أهم ما أولته اهتمامها ثورة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى اصلاح المحاكم الشرعية ، وتأيد كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين ، والحديث عن الجامعة الاسلامية وتاريخها .

وقد اشار صاحب المنار الى أهداف المنار مجددا وعرضها فى أربعة عناصر :

١ - تبين البدع التى مازجت العقائد والمفاسد التى عرضت للسجاي والعوائد .

٢ - وتهدى لعلاج هذه الامراض الروحية والادواء الاجتماعية بكشف الحجاب عن وجوه التربية النافعة وتسهيل سبل التعاليم الناجمة .

٣ - وتختار من الآثار العلمية والادبية والنوادر الفكاهية ما تروح له النفوس وتنجلي على نزاهة الهموم والبؤوس .

٤ - اما جوانب الأخبار وحوادث الاقطار والأمصار فنذكر منها أهم ما يعين ، سائقين منهج المؤرخ العادل من غير طعن ولا تحامل .

فالخدمة الصحيحة للدولة والامة انما تكون بتبين الرشيد من الغى وتمييز الخطأ من الصواب والتزييل من النافع والضار .

المجلد الثالث (١٣١٧ - ١٩٠٠)

واصلت المنار مهمتها بحماس وايمان شديدين ، فى مختلف المجالات وأولت اهتمامها للتربية فأفردت لها باب واسعا تحدثت فيه عن تربية الاستقلال ومضار القهر والالزام ، ونحدثت عن التربية وعلم الاخلاق وعن التعليم فى الأزهر وعن الجمعيات الاسلامية التى بدأت تنمو فى مصر وخاصة الجمعية الخيرية الاسلامية ، وقد بدأت المنار مواجهة الدعوات

الهدامة وخاصة البهائية ، كما جاء رد الشيخ محمد عبده على اتهامات هانوتو .

وفي هذا العام جرى العفو عن محمود سامي البارودي ، وتوفي عثمان باشا الغازي وظهرت الدعوة السنوسية وتحديثت عنها المنار .

وقد وضعت المنار على صدرها رمزا متمثلا في الحديث الشريف :
« ان للاسلام صدوى ومنارا كمنار الطريق » .

وفي مجال الاصلاح الاسلامي تحدثت المنار عن دعوة الشيخ محمد عبده ومطالبه بوضع تقرير يشخص من امراض الامة الاسلامية كلها ويصف دواءه ، وقد وعد الأستاذ بتأليف كتاب خاص في هذا الغرض يسميه « الاسلام والمسلمون » ونم تزل عوائد الزمان وصوارف البيئة والمكان تحول دون الشروع فيه ، كما اقترح السيد رشيد رضا عليه تأليف تفسير على الوجه الذي يقراه في الازهر يبين فيه امراض الامم الروحية والاجتماعية ويرشده الى علاجها .

ومن ابرز معالم هذا العام بدأ نشر تفسير الشيخ محمد عبده الذي كان يقرأه في الرواق العباسي بالازهر مع مقدمة تمهيدية له .

وقد كان من ابرز أبحاثها في هذا المجلد ما كتبه تحت عنوان : إعادة مجد الاسلام : تساءلت فيه كيف يعود للاسلام مجده .

المجلد الرابع (١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م)

في العام الرابع للمنار واصلت المجلة رسالتها على النحو الذي رسمته منذ اعدادها الاولى وكان الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في هذا العام بارز الأثر في حركة الاصلاح الاسلامي ومضى رشيد رضا على اهتمامه بالدولة العثمانية ونقدها نقدا خفيفا متصلا دون أن يكشف خصومته لها أو ولائه للاتحاديين الذين كان لهم في القاهرة تجمع يرأسه السيد رفيق العظم ، ومضى في مهادنته للنورد كرومر وفي نشر دروس التفسير التي يلقيها الامام في الرواق العباسي ، وفي متابعة تامة للبدع والخرافات والتقاليد ومهاجمتها وفي العناية بالجماعات الاسلامية ، وقد اهتم المنار بالرد على مشروع التعليم باللغة العامية الى عرضه القاضي ويلمور والذي شغل الصحافة طويلا .

وفي هذا العام بدأت الحديث عن الصهيونية (يناير ١٩٠٢) حيث
تكشفت بعض الوثائق عن الجمعية الصهيونية في أوروبا ومساعدتها في إعادة
السلطة والملك الى شعب اسرائيل وعرف ان هذه الجمعية بدأت منذ
عام ١٨٩٧ حيث عقد مؤتمر بال ، كما نشرت في هذا العام فصول الكواكبي
التي هاجم فيها السلطان عبد الحميد ، والتي لم تلبث أن توقفت عندها أجرى
الخديوى الصلح مع السلطان في سبتمبر عام ١٩٠١ ، وفي هذا العام
أيضا توالى مؤلفات محمد طلعت حرب ومحمد فريد وجدى في الرد على
قاسم أمين ووقف المنار في صف قاسم أمين وأنشأ الزهراوى كتابه عن الفقه
والتصوف ، وفي هذا العام أيضا نشرت رسالة القس اسحق طيلر الضامية
عن الاسلام في إنجلترا ، وكان قد كتبها في إنجلترا (ابريل ١٨٨٨) .

وقال السيد رشيد رضا في ختام العام : قبة المنار الاصلاح اندى
واقامة القرآن ومذهب السنة وسيرة السلف الصالحين والأئمة المجتهدين
وهو خصم الد لجميع البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي التصقت
بالدين وفي يقينه أن الشرق لا يصلح الا بصلاح المسلمين وان المسلمين
لا يصلحون الا بالرجوع الى سيرة السلف الصالح في دينهم من غير زيادة
أو نقصان ومجاعة الأمم الحية في دنياهم واخذهم بجميع فنونها وعلومها
وصنائعها ، فالاصلاح الدينى هو الذى ينفخ منهم روح الاتحاد الاجتماعى .

وركز على « فريضة الدعوة الى الحق والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر » وان يوفق أمراءنا وحكامنا للبذل والامداد واصلاح حال البلاد
وعلمائنا للهدى والرشاد وأغنيائنا للبذل والامداد وأن يوفق الوالدين لتربية
الأولاد وتنفع في الجميع روح الاجتماع والاتحاد .

المجلد الخامس (١٣٢٠ هـ — ١٩٠٢ م)

واصلت المنار رسالتها في عزم وقوة فوالى كتاباتها عن قضية
المسلمين الكبرى : قضية ضعف المسلمين وأسبابه ، والاصلاح الاسلامى
وعرضت لأمراء المسلمين واهمالهم الدين وأولت اهتمامها بالتربية الاسلامية
وكشفت عيوب التعليم العصرى وفساده وحاولت أن تتحدث عن بديل له
تقدمه الجمعية الخيرية الاسلامية ، ولم تتوقف عن الحديث عن اصلاح
التعليم في الأزهر ، وعارضت أفكار الصوفية وما يتعلق بالجن والخوارق
والشفاعة والقطب والكرامات ، وهاجمت الفلسفة الالهية والمفاهيم

العقلية المنحرفة التي جاء بها الاعتزال والكلام ، ودافعت عن مفهوم السنة الجامعة الصحيحة ، كما عرضت لمقارنات الأديان في باب متصل عن شبهات المسيحيين وحجج الاسلام ، كما تناولت الرد على الكتاب الغربيين الذين يهاجمون الاسلام وكشفت في فصول متعددة فضل المسلمين على الحضارة .

وكان أبرز موضوعاتها الرد على الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على محمد على باشا فنشرت فصلا مطولا (بدون توقيع وان عرف ان كاتبه هو الشيخ محمد عبده) قال : محمد على لم يؤسس دينا ولم يكن امام مذهب في دين ، وانما أسس ملكا عضودا بسفك الدماء والقوة والحروب . ان تأسيس محمد على حكومة في بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالها اياها . فان محاربة الدولة العثمانية كانت مصدرا لظهار ضعفها للبرية ، ومحاربة الوهابيين وخضد شوكتها وابطال امتداد دعوتهم . كانت دولة محمد على دولة ظالمة منذ أسست الى أن تولى الأوروبيون السيطرة عليها فكان الظلم مصدرا لزوالها وقد زالت دولة المماليك الظالمة الغاشمة . هذا النظام كان مقدمة وتمهيدا لدخول مدنية أوربا الى أوربا ونشر مدنيتهم والقضاء سيطرتهم عليها بالاحتلال الانجليزي والخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واطهار ضعفها . والخواص يعلمون ان الوهابيين كانوا قائلين باصلاح اسلامى لو تم لعاد للاسلام مجده الاول والذين وسوسوا لمحمد على بمحاربتهم هم الأوروبيون الذين ينظرون الى غايات الامور وعواقبها ، أما ما شاع في بلاد الشام والحجاز أن الوهابيين خارجون عن السنة وملحقون بأهل البدعة فسبب بعض المصنفات التي لفقها العلماء الرسميون المضانون للحكام ، وقد كتب أربعة من الاعلام مقالات في أول العام الهجرى ١٣٢٠ عن مستقبل الاسلام : فريد وجدى ، رشيد رضا ، محمد عبده ، أحمد توفيق البكرى . ودخلت المنار في هذا العام في مساجلات مع صاحب الجامعة ، مع الكاتب الفرنسى رينسان ، مع هانوتو .

وفي هذا المجلد تناول صاحب المنار الترجمة للكواكبي ومحمد على

الكبير .

المجلد السادس (١٣٢١ هـ — ١٩٠٣ م)

وفي العام السادس كانت أبرز الأحداث زيارة الشيخ محمد عبده لأوروبا والجزائر وتونس ونصيحته لأهلها كما توغلت الأبحاث في كشف حلقات التغريب والغزو الثقافي في ميادين ثلاثة :

أولا : دراسات عن بولس وتغييره دين المسيحية نقلا عن كتاب الأنجيل للفيلسوف تولستوى ، وعن النصرانية وزلازلها في أوروبا .

ثانيا : بحوث في نقد التوراة .

ثالثا : بحوث عن البهائية والبابية بفارس .

رابعا : الماسونية واليهود .

كما اتسعت الأبحاث حول صلة العرب بالدولة العثمانية : والعرب والخلافة وسلك حديد الحجاز والخلافة والسلطان والعرب والدولة .

كما بدأ رشيد رضا في التنبيه الى ما في روايات جرجى زيدان من أخطار ونقد روايتي فتاة غسان وفتح الاندلس .

وقد أشار السيد رشيد رضا في افتتاحية العام الى ما أسماه : انتقال من طور الحذر والسببات الى طور الحيرة والثقتات . والحيرة والثقتات خير من خدر الحواس وفقد الاحساس لأنها من علامات الحياة . فقد ذهب قوم الى أن وقاية المسلمين من الخطر إنما تكون بالاعتماد على الأمراء والسلاطين والاستماتة في الخضوع لهم وتقديس سلطتهم وملوكنا وان جاروا هم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التي تطامح بها تلك القوى . وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة بدون مشاورتها قرونا طويلة ، فما كان منهم الا أن أوقعوها في هذا الضعف والهوان والفقر والخزلان والجهل بامر الدنيا والدين . وواجب على الأمة مقاومة استبدادهم ، ومقاومة استعبادهم والزامهم المشاورة في الأمر وتقيد السلطة في الحكم (والمعتقد أن هذا الكلام موجه الى الدولة العثمانية) .

يقول وقد أنشئ المنار لمساعدة العقلاء على السعى في تكوين الأمة عن طريق التربية المالية والتعليم النافع وقد ركزنا الحث على التربية والتعليم ويجب على العلماء والكتاب أن يوجهوا عنايتهم الى تكوين الأمة ويجتهدوا

في ذلك قولاً وعملاً . لهذا كان الإصلاح الدينى شرطاً في الإصلاح المدنى
أو شرطاً منه في وضع الاسلام ، ومن مقدمات الإصلاح احياء اللغة
اذ لا امة بدون لغة حية ومنها ازالة حجب الغرور عن حقائق الامور ،
ويقول : ان المنار قد جاء بمشرب جديد يستعذبه الأقلون ويمجه الكثيرون ،
أولئك هم أسرى التقليد .

المجلد السابع (١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م)

والى المنار اهتمامه بأخبار العالم الاسلامى واتسع بريده في عرض
قضايا المسلمين في اجزاء كثيرة من العالم فضلاً عن أخبار بلاد العرب
ونجد والسودان والدولة العثمانية ، فان هناك رسائل متصلة عن مراكش
وسيراليون وفارس وزنجبار والهند وفارس والعراق والحرب الروسية
اليابانية والقوقاز واليمن .

والت اهتمامها بالدعوات الهدامة فقدمت أبحاثاً مطولة عن البابية
في فارس وكشفت شبهات التبشير فعرضت لكتاب (تنوير الاذهان في مصادر
الاسلام) وتحدثت عن الإصلاح في فارس . وعن الامتيازات الأجنبية
والأسطول الثانى وعن الدروز وعقيدتهم وعن شريف مكة وعن فرنسا
والأزهر حيث نقلت مقالا كتبه أحد الفرنسيين وردت عليه وأولت اهتمامها
بالدولة العثمانية كما ركزت على الإصلاح الاسلامى وخاصة في مصر
وفي شأن التعليم والتربية الاسلامية وشئون الأزهر والقضاء الشرعى .
ولم تتوقف عن معارضة مفاهيم الطرق الصوفية ، ومفاهيم أهل الكلام
في نفس الوثقت في محاولة لتقديم مفهوم أهل السنة والجماعة صحيحاً .

وتحدثت المنار عن علماء العصر ، والدين والسياسة .

وتحدثت عن أحداث نجد وانتصار ابن السعود على ابن الرشيد ،
واعلان عبد العزيز آل سعود الولاء لدولة السلطان عبد الحميد الثانى ،
ودعوته لاقرارته على اماره نجد الموروثة له والاقبل الدولة العلية في بلاد
العرب ما يزعم ثقتهم فيها واذا ونق بها أهل نجد سهل عليها حل عقدة
اليمن كذا عقدة الكويت ، وقد وضع اهتمام المنار بانتصار ابن سعود
وتأييده له ودعوة الخليفة لقبول ولايته ، كما أولت اهتمامها بالفتاوى ،
فقدمت الردود التى كتبها الشيخ محمد عبده عن الأسئلة الباريسية
والزنجبارية والهندية ، وكانت الفتوى الترنسغالية في حل ذبيحة النصارى

في تلك البلاد ، وحل لبس القلنسوة الافرنجية لحاجة أو ضرورة ، وكيف تحل صلاة الشافعي خلف الحنفي ، وعرض لتراجم المتوفين في هذه الفترة والقضايا المثارة حول الشخصيات البارزة أمثال قضية علي يوسف ، واستعراض عباس لجيش الاحتلال والى جواره كرومر ، واقتراض سلطان مراکش من فرنسا واقامة جوقة من المطربين والمطربات ، كما أشار الى الوفاق الودى الذى عقد بين بريطانيا وفرنسا وقال ان الوفاق قضى فيه على مصر بسوء سياسة الأمراء الحاكمين الذين استبدوا في الأمة وأذلوها حتى فقدت الاستقلال الشخصى والقومى ثم سلطوا عليها أوربا وأعطوها من الامتيازات . وعرض المنار لعدد من الكتب الاسلامية الجديدة وكتب التراث والصحف وكشف أخطاء جرجى زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الاسلامى) وكشف عن اهتمام شاهين مكاريوس بكتابه تاريخ اليهود وتاريخ الماسونية العميلة ، ومما يذكر أن جرجى زيدان لم يلبث أن كتب عن الماسونية ايضا . وتحدثت المنار عن نمو الجمسية الخيرية حيث بلغت إيراداتها ١٣٣١ جنيها بالإضافة الى ١٢٢٣ جنيها من ريع الاطيان (٢٨٠ فدانا) وأنفق على التعليم ٢٤٥٩ جنيها ، واعانة الفقراء ٣٧٣ جنيها .

وفي فاتحة المنار أشار السيد رشيد رضا أنه أنشئ لخدمة الأمة والدفاع عن الملة . وقال : انتشر المنار في جميع الأقطار ولا يزال انتشاره في نمو مستمر من غير سعى ولا دعوة تذكر وبدا لنا من الناس ما علمنا به علم تجربة واختيار أنه لا ينبغى أن يوثق بكلام أحد في أمور الجد والأعمال العامة التى لاحظ فيها أهواء الأفراد الا من شهدت له الأعمال والأخلاق بالاختيار الصحيح وقليل ما هم . وقال : ان من يريد أن يحترم دين الله وعياله الله أن لا يعتمد في نجاح عمله الا على تحرى الحق والخير والعلم بحاجة الأمة الى خدمته .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لثلاثة : على يوسف ، ومحمد شاكر ، وحسين الجبر .

المجلد الثامن (١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م)

واصل المنار رسالته في تحرير العقيدة الاسلامية من التحريف وذلك بكشف الفرق المنحرفة أمثال البابية والبهائية ومعارضة البدع التى تقوم بها الطرق الصوفية وخاصة فيما يتعلق بالتأويل والخرافات

وتحدث عن مشايخ الطرق ، وعلماء الرسوم ومذهب السلف ، كما تحدث عن ذم الخوض في علم الكلام ، كما أولى اهتمامه بالتعليم الاسلامى ، وتعليم اللغات .

وكتب عددا من الفصول عن كشف زيف دعاوى التبشير المسيحى فى مواجهة مفاهيم الاسلام وتصدى الدكتور محمد توفيق صدقى لمقارنات الأديان فى فصول تحت عنوان (الدين فى نظر العقل الصحيح) وتداول ٤٠ شاهدا من الكتاب المقدس على تناقضه واختلافه (ص ٧٤٣) كما عرض للشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية بمناسبة كتاب على بك أبو الفتوح الذى قال ما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكبر مناسبة للزمان والمكان وأشار الى كتاب الخراج للإمام أبى يوسف المتوفى عام ١٨٢ ، ومن أكبر أحداث هذا العام وفاة الشيخ محمد عبده (مايو ١٩٠٥) وكان هذا الحدث هاما بالنسبة للنار التى قدمت أبحاث متعددة عن الشيخ المفتى الذى كان قد استقال قبل وقت قريب من المجلس الأعلى للأزهر بعد (يأسه من الإصلاح وادخال العلوم الحديثة) ، وذكرت الصحف أن النفوذيين الفرنسى والانجليزى يعاديان الامام فى الإصلاح ، وكان الشيخ محمد عبده قد حاول اصلاح التعليم فى الأزهر وقد قرأ فيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز كما قرأ شرح التلخيص للشيخ البرقوقي . وقد أشار المنار الى :

- ١ — التفسير والاستاذ الامام .
- ٢ — الامام والثورة العربية .
- ٣ — جمعية احياء العلوم العربية التى أنشأها الشيخ محمد عبده .
- ٤ — الانجليز والشيخ محمد عبده .

واهتم المنار فى هذا العام بانتشار الدعوة الاسلامية فى العالم وخاصة فى الصين واليابان .

واهتم بمذهب السلف ورد على أخطاء الفرق وتحدث عن علم الكلام ، وتحدث عن أعداء الامام فى الأزهر كالشيخ عليش ، وغيرهم ممن أسبأهم المنار علماء الرسوم ، كما عرضت لعدد من المؤلفات الجديدة .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد للشيخ محمد عبده ، وعلى أبو الفتوح .

وفى افتتاحية المجلد الثامن يتحدث الشيخ رشيد رضا حيث قال :

انه ما وقع تغير الا بدعوة ، وان دعاة الخير والاصلاح فى كل أمة كانوا ممقوتين من أصحاب السلطة مضطهدين من رؤساء الأمة ، أولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام أبى حنيفة حتى مات فى السجن وجلدوا الامام مالكا وألزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة واضطروا الامام الشافعى الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه ووطئوا الامام أحمد بالنعال وما زالوا من تلك انعمور يفتنون أهل العلم والتقوى حتى تم لهم بطول الزمان افساد الدين والدنيا .

وقال : ان انتقال الأمم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين ولا يأتى باختيار الأمراء والسلطين ، وانما يكون بتغير افراد الأمة ما بأنفسهم من الأفكار والعقائد والأخلاق والسجايا .

فاذا غير المسلمون ما بأنفسهم بالتدريج يغير الله ما كان بهم من عرة العلم والقوة وسيادة العدل والفضيلة ولن يغير ما هم الآن فيه الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه وشرطه قلع جراثيم التقليد واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب وأساسه جمع كلمة الأمة وتحقيق معنى الوحدة ، ولا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها كما قال الامام مالك بن أنس صلح أول هذه الأمة بهدى كتاب الله وسنة نبيه ، وهداهم ذلك الى كل اصلاح صورى ومعنوى .

قطع الآمال من السياسة والسياسيين وترك الاتصال بالرؤساء والحاكمين والانخداع لأنصارهم وأشياهم لئلا يصرفوكم عن الجدى باصلاح النفس الى الهزل بارضاء الحس فانهم طلاب مال وجاه وطلاب رتبة ووسام وأصحاب أوهام .

أدعوكم الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين .

وأشار الى ما كان قبل صدور المنار من حيث كانت الصحف تطعن فى القرآن وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة اسلامية ترد شبهات الطاعنين وتؤيد العقائد بالحجج وتبين حكم الأحكام وانطباقها على مصالح البشر فى كل زمان ومكان حتى اذا أنشئ المنار نقم منه المتجرون بالدين ونقده المبتدعون وهاج عليه أصحاب المذاهب المفضون لانه يقول اب الوهابية السلفية والأشاعرة والماتريدين والشيعة والاباضية كلهم

مسلمون وانه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيما هم فيه مختلفون
ان الدين من حاجات البشر الطبيعية وقوة من اعظم قواهم المعنوية .
ان الاعتقاد في الأمة قوة لا تغالب .

وأشار الى ما ذكرته المؤيد عن المنار : أمضى سنوات هذه المجلة
مناظرة على الخدمة المالية الصحيحة محاربا البدع المضللة ، يبارز المبتدعين
غير هياب ويعتمد في أبحاثه غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة
والكتاب ، ولذلك كان كلامه مرا على انواق الذين يخلطون الدين بغيره
ويظنون أو يزعمون أنهم أئمة أهله .

الفصل الثاني

المنار : الى الحرب العالمية الاولى

بعد وفاة الاستاذ الامام مضى المنار في طريقه حاملا لواء رسالة الإصلاح كما بدأها الشيخ محمد عبده وعلى هدى من الخطة الجامعة بينه وبين جمال الدين الأنغاني ، وقد صمد السيد رشيد في هذا المجال صمودا قويا وواصل اتمام التفسير والفتوى ومواجهة أحداث العالم الاسلامي وقضاياها والكشف عن سموم التبشير والتغريب والغزو الثقافي على نحو قوى ، وحاول الاستفادة من الدولة العثمانية لتحقيق هدفه في بناء مدرسة الارشاد وتخريج الدعاة بعد سقوط السلطان عبد الحميد وقيام الاتحاديين ولكنه ما لبث أن اكتشف عداة الاتحاديين للاسلام فهاجمهم هجوما عنيفا وقصر عمله على مصر وان ظلت أجنحته ممتدة بالدعوة والارشاد من جاوة الى المغرب في قوة واتصال .

المجلد التاسع (١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م)

توسع اهتمام المنار بتصحيح العقيدة وبيان مذهب أهل السنة والجماعة بمراجعات واسعة مع كل الفرق والآراء ومهاجمة الطرق وتقاليدها ، والكشف عن الفوارق بين المقلدين والمصلحين في تصحيح العقيدة ومناقشة الشيخ محمد بخيت عن نظرياته في الفونغراف والسكورتاه .

ومتابعة تاريخ الاستاذ الامام ونشر ما ذكره كرومر في تقريره عام ١٩٠٥ عن حزب الشيخ محمد عبده والأمل المعقود عليه .

ويواصل رسالته في التربية الاسلامية والعناية باللغة العربية ومهاجمة الفكر الوافد والاستشراق والتبشير ، ويدع المتصوفة وفرق البابية والبهاية ويطلق عليها اسم (الباطنية) كما يتعرض للكتب القديمة ناقدا اياها . ويتحدث عن الاسلام في العالم وانتشاره في اليابان والصين وموقف الغرب من العالم الاسلامي ومن الدولة العثمانية ، وقد عرض لكتاب مرجليوت عن النبي صلى الله عليه وسلم وينقد ما جاء في هذا الكتاب ويعنى باتباع حزب الإصلاح فيهتم بتولى سعد زغلول وزيرا للمعارف

كما نقد ادريس راغب من سروات المصريين الذى اعترض على تعليم الدين فى المدارس ، والمعروف أن ادريس راغب هو رئيس المحفل الماسونى فى القاهرة .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : للشيخ محمد بخيت ، سعد زغلول ، أحمد خان الهندى .

وقد تحدثت افتتاحية السنة التاسعة من المنار عن أحوال المسلمين فقال :

ان المسلمين أمسوا كالأريش فى مهيب الحوادث وكالغثاء فى مجرى سيول الكوارث لا رأى لخواصهم فيما يراد منهم ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب فى تصرف حكائنا فى سياستنا ويد فى تصريف أموالنا فى مصلحتهم دون مصلحتنا ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافى آداب ملتنا وتوقع فى العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأى شئ بقى فى أيدينا من شؤون أمتنا ، اللهم انه يقل فينا من بقى له أذن تسمع وعين تبصر وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل فى هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة وثبات فيما تحاول من كشف الغمة . انه لم تستيقظ أمة من نومها ولم تبعث دولة من موتها الا بصيحة نفر من أولى الالباب وتستغنى العقول والآداب الذين يغير الله ما فى نفوس أقوامهم بما يلقى من الحكمة فى ذلقة سنتهم ونفثات أقلامهم فيستبدلون الاعتصام بالانفصام والاتفاق بالشقاق والوحدة بالفرقة ، وبذلك يشعر الأفراد بمعنى الأمة ويعملون بالتعاون فيكونوا أمة : « سنة الله التى قد خلت من قبل وخسر هنالك الكافرون » وما (المنار) الا صحيفة أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها سواء منهم من دعا الى الإصلاح معها ومن يدعو اليه معها ولتكنير سواد الدعاة الذين يتعلمون للأمة ويعملون للأمة ، ويحيون للأمة ويموتون فى سبيل الأمة ، مهتدين بهدى كتاب الله المتين وسنة خاتم النبيين والمرسلين الذين هما ينبوع الهداية واتباعهما عنوان السعادة .

ويقول : القرآن حجة على شعوب المسلمين فى هذا العصر بما أصابهم وأصاب دولهم من الخسر الذى جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، ويأخذ الأمم والدول إياهم أخذا وببلا «ولئن جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» .

نعم : ان المؤمن يبطل ويفتن ، ولكنه لا يهن ولا يحزن ، بل يصبر حتى تكون العقوبة للمتقين « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » .

نعق ناعقون بأنه لا نجاة لكم الا بفناء ارادكم في ارادة حكامهم ، ولا يتغير ما في انفسكم من اوهام وخرافات ، وصاح خطيب فقيه الوطنية انه لا حياة لكم بالرابطة الملية لانها ممقوتة في نظر اهل المدنية الغربية الذين سادوا بترك العصبية الدينية . انهم لا بغون بدعوة الوطنية الا العصبية الجاهلية والهوى : اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا واخذنا الاجانب من ناحية سلطتهم اخذا وبيلا فما اغنت عنا ذلة العبودية لهم مثيلا . لا سبيل اليه الا باتباع هدايته والسير على سنته في خليفته ، عليكم ان تجيبوا داعى الله وتكونوا من حزب من اعطى العفو من ماله لاعلاء كلمة الله ومواساة عياله واتقى اسباب الفتن والمحن والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

واستطرد صاحب المنار يقول : هداية القرآن : الذى دعا الى جميع الاصول التى فيها سعادة الانسان فجعل البرهان العقلى اساس العقائد امام بناء الاداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وارشد الى ما لشئون البشر الاجتماعية من السنن الثابتة او النواميس الطبيعية ، واثبت ان الدين القيم الذى جاء به الاسلام هو اقامة سنن فطرته التى فطر عليها الانام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية واصلاح النفوس بالاخلاق المرضية .

اما حزب الشيطان واصفار الظلم والعدوان فسيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن هى اجتهاد اقلل بابه فى هذا الزمان والداعى انيها عدو مبين لاهل الايمان . ومن هؤلاء من يلقى تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام على عواتق اهل السلطة المستغلين على الاحكام ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ومن ورائهم قوم آخرون مرقوا من الدين وانكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين . يقولون لا رجاء للمسلمين بحياة ملية ولا امل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيوا حياة وطنية فلا حياة لهم . واذا لم يعتنقوا خطوات أوربا فلا مدنية لهم . ولم نر دعوة انكرها الرؤساء

الرسميون والأمراء المستبدون الا دعوة هذه الأمة الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار وآزوا الأهل والآنصار .

المجلد العاشر (١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م)

يتميز هذا العام العاشر من عمر مجلة منار الاسلام بأحداث هامة منها استقالة اللورد كرومر وتوسع في عرض صفحات مجهولة من تاريخ حزب الاصلاح وخاصة ما يتعلق بتاريخ الجامعة الاسلامية ودور جمال الدين ومحمد عبده فيها وكتاب التاريخ السرى للاحتلال الذى ألفه بلنت .

وواضح الاهتمام بأصدقاء الشيخ محمد عبده : حافظ ، وسعد زغلول ، ومعارضة مصطفى كامل واللواء ، والخلاف بين المنار واللواء والاهتمام باللغة العربية ونادى دار العلوم حيث ظهرت دعوة العامة وقاومها اندرعميون والقيت أبحاث هامة لأحمد السكندرى ، والشيخ محمد الخضرى وقصيدة حافظ ابراهيم : رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ، كما تناول قضية التعريب والترجمة ، كما أولى اهتمامه بمقارنات الأديان ، وقد ترجم هذا العام أنجيل برنابا الذى طبعه المنار وقدم له السيد رشيد رضا وتحدث عن قضايا أهل الكتاب ، وتناول الحديث قضايا اجتماعية على جانب كبير من الأهمية ، منها الربا وودائع البنوك ، وقد توسع فيها ، والاصلاح الاجتماعى والبغاء ، وقدم المنار كتابا عن البغاء فى مصر ألفه الدكتور بورفالييس باللغة الفرنسية وترجمه داود بركات وحديث عن مراقبة العاهرات وعدد المصابين) . وأولى اهتمامه بالسلطان عبد الحميد والشاه ناصر الدين شاه الفرس ، هذا فى الجانب السياسى ، أما فى جانب العقيدة الاسلامية فقد مضى فى طريقه الى تأصيلها والى الدعوة لمذهب أهل السنة والجماعة فكتب فصولا مطولة عن الامام الغزالى ، والخلاف بين معاوية وعلى ، وتناول مذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية .

وتناول الاصلاح الدينى واصلاح الأزهر وتاريخ أول مصحف طبع ، وتناول التربية الدينية فى مصر وزيارة اسماعيل صبرنسكى لمصر ودعوته الى الجامعة الاسلامية وقدم شهادات لكتاب الغرب عن عظمة الاسلام منها شهادة مسيو وامبرى ، وقد احتفل فى هذا العام بمرور عقد (عشر سنوات) على ظهور المنار وما لاقاه رشيد رضا من الصعوبات فى نصرته الحق .

وقد افنتج المجلد العاشر بامنتاحية اأشار فيها الى عمل المنار وخططه :

١ — تربية البنات والبنين .

٢ — اصلاح كتب العلم وطريقة التعلم .

٣ — شرح الفضائل التى مازجت عقائد الأمة وشبهت الحق بالباطل حتى صار افكار الاسباب ايماننا وترك الأعمال المفيدة توكلًا ومعرفة الحقائق كفرا والتعلق بالخرافات صلاحًا واختبال العقل ولاية والخنوع والذل تواضعا والتقليد الأعمى علما واتقانًا .

٤ — درء الشبهات الواردة عن الشريعة الإسلامية ودحض مزاعم من زعم أنها حجاب بين العاملين بها وبين المدنية .

٥ — اقناع ارباب النحل المتباينة بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان .

وقد استهل حديثه بهذه العبارات :

أيها الشرقى المستغرق فى منامة قد تجاوزت حد الراحة فتنبه من سباتك وانظر الى العالم انجديد فقد بدلت الأرض غير الأرض واستولى أخوك الغربى المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار وأوقدهما البخار واستخرج الكهرباء والنور واخترق الجبال واختبر أعماق البحار . ويقول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضتان فى الدين حافظتان لجميع الفرائض ومرغبتان فى جميع الفضائل وتركهما معصيتان كبيرتان مسهلان للنسوق والعصيان .

وواضح من خطوات المنار :

١ — خلاف حزب الشيخ محمد عبده والمنار مع الحزب الوطنى ومصطفى كامل .

٢ — مدحه لكرومر وللطفى السيد وسعد زغلول باعتبارهما من مدرسة سعد زغلول .

٣ — متابعة رشيد رضا لنقد الانجيل ونشر لباب الانجيل للفيلسوف تولستوى ونشر فصول من انجيل برنابا .

٤ — اولى اهتماما كبيرا للوقوف دار العلوم من اللغة العربية والحرب السنونة عليها عام ١٩٠٧ وقد تبين بعد انشاء نادى دار العلوم أن المهمة

الأولى هي خدمة اللغة العربية ، ومراجعة مسألة أسماء الأجناس الأعجمية التي يراد ادخالها في اللغة العربية ، هل تعرب تعريبا أم تؤخذ بالترجمة وقد نشر خطابين للشيخ محمد الخضري (الذي طالب بإنشاء مجمع اللغة العربية) وخطاب للأستاذ أحمد السكندري .

٥ — الانتقاد على فريد وجدى في كتابه (كنز العلوم واللغة) .

٦ — وجه عناية الى قضايا المجتمع في ضوء الاسلام وخاصة بالنسبة لعمل المرأة في التمثيل .

ترجم صاحب النار في هذا العدد للشخصيات الآتية :

حسين عبد الرازق ، كرومر ، سعد زغلول ، بلنت .

المجلد الحادي عشر (١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م)

في هذا العام من النار بدأ الشيخ رشيد رضا يتألق بقوة ، فقد استطاع أن يتخلص من المواصفات الخاصة التي كانت تحدد من صراحته وجرائه وعلان كلمة الحق بعد أن توفى الشيخ محمد عبده وأخرج كرومر ومزّل السلطان عبد الحميد ، فقد بدأت أوراق كثيرة كانت مذكورة ، تتكشف عن حقائق كثيرة مرت في السنوات الماضية ولكنها عرضت في تحفظ شديد ، وأهم ما في ذلك موقفه من مفهوم أهل السنة والجماعة الذي حرره بعيدا عن الفلسفة والكلام والاعتزال والمنطق ورجع به الى أصوله الحقيقية التي عرفها الأئمة الغزالي وابن تيمية وابن القيم ومن تابعوا طريقهم .

وقد أولى اهتمامه بخمس قضايا أساسية :

الأولى : الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من كتاب العرب وفي مقدمتهم كانياتي وجرجي زيدان الذي واصلت النار الرد على أخطائه وتجاوزاته في مختلف كتبه عن التمدن الاسلامي والأدب العربي .

الثانية : الرد على شبلي شميل ومناهيم المادية .

الثالثة : عرض أعمال حركة الاتحاديين في الدولة العثمانية وآماله .

في الالتقاء بين العرب والترك واهتمامه بصدور الدستور العثماني .

الرابعة : الرد على كرومر في كتابه الذي نشره بعد سفره من مصر تحت اسم مغبر الحديثة وقد عاود الشيخ رشيد رضا مراجعة مختلفة النقشها

الخاصة بموقف النفوذ البريطاني وكرومر من الاسلام وخاصة فيما سبق النظر فيه على نحو من التحفظ لوجوده في مصر اذ ذاك مهثلا للسلطة البريطانية التي كانوا يطلقون عليها السلطة الفعلية .

الخامسة : متابعة أبحاثه في كشف الباطنية (البهائية والبابية) كما يتابع دراسته حول أخطاء الطرق الصوفية (النقشبندية والرفاعية) .
السادسة : اهتمامه باللغة العربية والدراسات المتصلة التي قدمها فتحى زغلول وحفنى ناصف في مواجهة الحملة المركزة التي قام بها خصوم الاسلام ، كما تناول في أبحاث أخرى العربية وانتشارها .

السابعة : عرض ما كتبه بعض علماء الغرب عن الاسلام ، وقد عرض بحث مسيو رينيه مبلية الذي القاه في مؤتمر أفريقية الشمالية عن الاسلام والمدنية .

الثامنة : عرض قضايا الاسلام المتصلة بالمجتمع والحياة العامة وخاصة ما يتعلق بالربا والترفان والعلم ، ومبادئ الاقتصاد السياسى والدعوة الى علم تدبير الثروة ، كما عرض الدكتور محمد توفيق صدقى للآليات العلمية في القرآن (الرياح والجبال والثمرات والليل والنهار) .

التاسعة : واصل دراسة آثار الشيخ محمد عبده وتلاميذه ومواقفه وصلته بجمال الدين الأفغانى .

العاشرة : متابعة نقد الشبهات المثارة حول الكتب القديمة المقدسة ، كما كتب مقدمة لانجيل برنابا الذى اكتشفه وأعاد طبعه بالعربية ، وفي هذا العام تحدث عن المسلمون والقبط بمناسبة مؤتمر الأقباط ومؤتمر المصريين ورد الشبهات التي يرددنها الافرنج على بعض آيات القرآن والعلم ، وقد قدم الدكتور محمد توفيق صدقى فصولا متوالية عن قضايا مثارة في القرآن والكتب المقدسة ، منها : ذو القرنين ، والسامري والعجل ، وميراث بنى اسرائيل ، وموت سليمان ، ويفسر آيات عدم صلب المسيح ، وهامان وزير فرعون ، وأموال قارون ، والبعث الجسماني .

ويعد العام الحادى عشر أخطر سنوات المنار فقد برز فيه مفهوم حزب الإصلاح في مهاجمته السياسة للحزب الوطنى ، وللاتحاديين في تركيا ، ومهاجمة الخرافات والدجاجلة والمقلدون والانطلاق تحت لواء السسنة والتزييل على هذا تعبير رشيد رضا :

« لا خوف على الحق الا مع الاستبداد ، يمنع حرية العلم والارشاد »

وقال لا تخاف على دعوة الاصلاح في هذه البلاد — يقصد مصر .

وقال : ان للاسلام ثلاث مراتب او مظاهر (١) التقليد : وعليه اكثر المسلمين المعتقدين (٢) البصيرة : وعليها نفر من العلماء المتخصصين (٣) والجنسية : التي تشمل المارقين من المتفرجين ، ويقول : ان المتفرجين يفتنون العامة عن تقاليدهم باسم المدنية وشبه العلوم والفنون العصرية ويحلون جنسهم الاسلام بدعوتهم الى الجنسية الوطنية ، وقال ان مصارعة الجنسية الوطنية للجنسية الاسلامية : مجهولة العواقب ويقول : لا تغرنكم حوامل المدنية ولا تفتنكم سلطة الامم الاوربية وان الفسساد قد ظرا على جسم هذه الامة منذ زمن بعيد فهو يحتاج الى تكوين جديد « ومن المبشرات ان نرى المسلمين قد تنبهوا الى الحاجة الى هذا التكوين ولكن اختلفت فيه الآراء وعبثت به الأهواء . الى أن ينهض زعيم من الامة يدعو المنار الى اقامة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر « وفتح باب المناظرة التي تعلم كل واحد من المناظرين ما لم يكن يعلم ، وقطع السنة اهل الدعوى والمعتنقين للهوى من غير بيئة فيما يقولون ، ودعا الى انتقاد المنار بتحري الحق والارشاد في كل ما يكتب ، ويعتقد اننا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد في تحري الاصابة ، وغرضنا من الانتقاد تكميل انفسنا ومساعدتنا على ما نتوخاه من الارشاد .

وقد توفي الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى في هذا العام ونعاه رشيد رضا وحياء بتقدير بالغ بالرغم من خلافهما السياسى والثقافى وأشار الى « أن دعوته كانت موجهة لجعل الوطنية جنسية للمسلمين فانكرتها في المنار بالبرهان البين واكثرت من الكتابة فيها ، وقال كما انتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب أن في مصر من يسعى لها سعيها وبينت وجه الضرر فكبر ذلك عليه وقطع المبادلة الصحفية » .

وفي خاتمة المنار عرض السيد رشيد رضا الى خطة العمل خلال العام الحادى عشر من المنار فقال . انها خير سنة مرت بنا نعوها فاتحة حياة جديدة لنا ولامتنا ، كيف لا وهى سنة حكومة الشورى والدستور ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ويعلق على الدعوة الماثرة الى اقامة تمثال للزعيم مصطفى كامل فيقول : المقلدون للفقهاء وهم التسواد الاعظم وفتهاهم

المذاهب الأربعة وهؤلاء يحرّمون نصب التماثيل والثاني المتبعون للدليل :
ان نصب تماثيل لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثني الذي يعترفه المنتقد
بأنه على خط نصب التماثيل ، ويقول : ان كثيرا من الأصنام التي عبدت
كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عبدت
وصار يتوسل بها الى الله ، وتطلب منها الحاجات ففسد الدين هذا الباب
سدا محكما .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، خير الدين
التونسي ، فتحى زغلول ، حفيى ناصف ، سليم البشرى ، قاسم أمين .

م ١٢ (١٣٢٧ هـ — ١٩٠٩ م)

في هذا العام يقع أعظم حدث في تاريخ المنطقة وهو اسقاط السلطان
عبد الحميد ، ويولى المنار الاهتمام البالغ لهذا الأمر ويظهر فرحته الشديدة ،
ويكشف عن تاريخ طويل كان بداية في السنوات الماضية حينما كان يتحدث
عن الاستبداد وسلطان الملوك والحكام وكان يقصد به السلطان عبد الحميد،
وتتابع المنار وقائع الأحداث بتوسع كبير فالمعروف أن السيد رشيد رضا
من اقليم الشمام الذى كان له خلاف عميق مع الدولة العثمانية لن ينتهى
بسقوط عبد الحميد بل ربما يكون قد بدا في عهد الاتحاديين الذين خدعوا
صاحب المنار كما خدعوا كثيرين بمظهرهم في أول الأمر ، ولذلك فقد سارع
السيد رشيد رضا بالسفر الى الأستانة لبحث أمور الدعوة الإسلامية
والتعرف على وجهة الاتحاديين وكان هدفه من ذلك التقريب بين العرب
والترك وانشاء مدرسة الارشاد الإسلامية العليا لتخريج دعاة اسلاميين
ليبشرون في البلاد الإسلامية وقد جامله الاتحاديون دون أن يحققوا به أى
هدف ولم يكشفوا عن أوراقهم ولا أهدافهم التي تكشفها الأيام من بعد .

وفي هذا المجلد دراسات وافرة عن الاتحاد والترقى ، والعرب
والترك ، وعن السلطان عبد الحميد ، وعن آل عثمان وملكهم ، والولايات
العثمانية واستقلالها والانقلاب العثماني وصداه في الصحف الهندية وغيرها،
وعشرات الموضوعات حول هذا الشأن وعن السلطان محمد رشاد خليفة
المسلمين الجديد وشريف مكة وشيخ الاسلام ، والعرب والعثمانيون والنفع
العربية مما ينتفع به أى دارس لهذه المرحلة .

ولم يمنع هذا من استمرار المنار في أبوابها العامة وموضوعاتها التي سبق أن طرقتها وواصلت دراستها وخاصة ما يتعلق بمقارنات الأديان وأهل الكتاب ، وما يتعلق بالباطنية والمتصوفة ، وبالتعصب الدينى عند الافرنج وعن أوربا والاسلام وعن الدعوة الى الاصلاح الاسلامى وما يتصل بالقرآن واللغة العربية والتعليم والتربية الاسلامية وأدب المرأة وكتابات باحثة البادية ، وعرض بعض كتب التراث الاسلامى المجدد وخاصة ما يتعلق بالتوحيد وتحرير المفهوم الاسلامى على النحو الذى يؤمن به أهل السنة والجماعة ، كما عرض للتبشير ومدارسه وللمدرسة الكلية الأمريكية في بيروت ومدارس النصارى ،

وواصل دراسته للإمام الغزالى وكتب عن ابن تيمية والشافعى ، وقضية النسخ فى القرآن ، وفتاوى ابن تيمية ، كما عرض لسندات البنوك وموقف الاسلام منها ، وموقف الاسلام عن نظرية دارون وقدم دراسات عن شخصيات مختلفة منها حسين الجبر بهناسبة وفاته ، والاستاذ الامام وسليم البشرى شيخ الازهر وشيلى شميل ومحمود شوكت قائد الانقلاب .

وأصبح المنار يولى اهتماما بموقف اليهود من البلاد الاسلامية والقضايا التاريخية وقد كتب عن رحلة القسطنطينية فصولا اضافية اشار فيها الى أن رحلته كانت « من أجل أمرين عظيمين أحدهما وهو إجلها خدمة الدين الاسلامى وتجميع المسلمين ، وتانيهما خدمة للدولة العلية من حيث هى حكومة الدستور القائم على العدل والمساواة ولعنصرى الأمة العثمانيين الكبارين : أما الأول فهو انشاء معهد دينى علمى فى العاصمة العثمانية للتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الاسلام العالية والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامى ومن منافع المعهد الاسلامى تعزيز دولة الخلافة وتأييدها بجعل عاصمتها منبعاً للاسلام وكعبة معنوية لطلاب علومه وآدابه وتخريج العلماء الذين يقفرون على الدفاع عن الدين على النحو الذى كان يدفع به محمد عبده مثل رنان وهانوتو وتخريج الدعاة الى الخير والمرشدين للأمة . ليس الغرض ان تكون الحكومة العثمانية هى التى تنشئ المعهد الاسلامى فان الحكومات تعجز ، وانما الغرض أن يقوم بهذا العمل جمعية من محبى الاصلاح العلماء الصالحاء . عرضت المشروع على رئيس حكومتها الصدر الأعظم حسن حلمى ، ومنهم محمود شوكت وأعضاء

مجلس الأمة وأشهر رجال جمعية الاتحاد والترقى فكلهم اظهروا الاعجاب به والاعتراف بفوائده .

اما الأمر الآخر « فهو ازالة سوء التفاهم بين عنصرى الدولة ، الاكبرين : العرب والترك . وقد شرحت هذا فى مقال مطول نشرته جريدة اقسدام فصادف استحسانا والمشهور عندنا عن سياسة الترك أنهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة عربية او خلافة عربية فى جزيرتهم وان هذا الخوف قديم وقد قدمت الأدلة على كذب هذا الادعاء .

« ان جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معى على وجوب تدارك ما قوى الان من سوء التفاهم ولما جيئت الأستانة رأيت كثيرا من عقلاء انترك يميلون الى هذا . وبلغ من سوء ظن بعض ساسة الترك بالعرب ما اثرتنا اليه ولاسيما مساله الشام ، بلغ من سوء ظن العرب بالترك ان قال لى أكثر من واحد من اذكيائهم ، واهل الراى منهم بمصر والأستانة ان وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقى لا يقدرون مشروعيك الاصلاحيين حق قدرهما ولا يعرفون فيه اخلاصك لانك عربى » .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : رفيق العظم ، حسين أبجسر ، جمال الدين القاسمى ، سليم البشيرى .

م ١٣ (١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م)

تابع السيد رشيد رضا فى هذا المجلد خطته الاصلاحية فى مجالانها المختلفان ، فأولى اهتمامه للقضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية فى الوطن الاسلامى كله وسافر خلال هذا العام الى القسطنطينية ليكتشف الحكومة الانحادية التى تولت شئون السلطة بعد عزل السلطان عبد الحميد وكان من المؤيدين لها فى حماس شديدة غير انه لم يلبث ان غير رأيه بعد ان اكتشف حقيقة موقفهم من الاسلام وتابع قضية الدولة العثمانية كقضية أساسية (باعتباره سوريا فى الأصل) وباعتبار ان الدولة العثمانية هى مفتاح السياسة الاسلامية كنها لوجود دولة الخلافة بها ولارتباط البلاد العربية معها كما عرض لموفى انكلترا من الاسلام .

وتابع انتشار الاسلام فى افريقية وأمريكا وأوربا وكشف صفحات عن تعصب أوربا عن الاسلام كما عرض لبعض شهادات المنصفين وعن مهدي

السودان ومسلمو جياوه وروسيا والنمسا والهند ، كما عرض لقضية
الاصلاح الاسلامى ، وتحدث من الشريعة الاسلامية والحكومة الاسلامية
والاقتصاد ،

كما اولى اللغة العربية اهتماما بالغا وقدم عددا من الأبحاث وما يتصل
بالترقية الاسلامية والأزهر ودعاوى اصلاح نظم التعليم فى المدارس الدينية
وتابع مقارنات الاديان بالرد على المبشرين من خلال نشراتهم وكتبهم
المهاجمة للإسلام وتعرض لما قدمه علماء الغرب من حقائق جديدة حول
الكتب المقدسة (التوراه والانجيل) وما يتصل بأهل الكتاب وما يتصل
بجريدة الوطن القبطية وموقفها من العرب ومن التراث الاسلامى وتنول
ما يتصل بتحريف التوراه وضياعها .

وتناول الزنادقة أمثال جميل الزهاوى فى حملته على الشريعة
الاسلامية ودعوته الى سفور المرأة كما تناول صلتها بشبلى شميل .
كما تناول البابية والبهائية والباطنية وتحدث عن المجوس ونبوءة
زرادشت .

ومن ناحية أخرى واجه المتصوفة وأفكارهم وحجج المعتزلة أيضا فى
محاولة للكشف عن جوهر مفهوم أهل السنة والجماعة وتناول التأويل
ومعناه فى القرآن ، والمذاهب واختلافها ودعا الى توحيد المذاهب الاسلامية .
وعرض لأحوال المجتمع الاسلامى فى مصر وحرية الفتيات والبعاء
وتحدث عن المقرنجون والنساء النواشر .
كما تحدث عن المرأة المصرية ويأحثة البادية .

ومن ناحية أخرى فقد قدم عرضا لكل كتب التراث الجديدة والمؤلفات
الاسلامية التى ازدادت واتسع نطاقها على مدى الأيام ومن هذه الكتب :
الاسلام ومسترسكوت والفرق بين الفرق ، والحصون المنيعه ومبسادىء
الفلسفة القديمة وميزان العمل .

كما قدم محاضرة المستشرق مونقيه عن الاسلام ودراسات عن ابن
تيمية وابن حجر الهيئى وابن خلدون .

وكانت دعوة النار فى افتتاحية هذا العام الى التمسكون على البر
والتقوى والاجتماع على توحيد طريق التربية والتعليم ودعا المسلمين الى

الجمع بين علوم الدنيا والدين « قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة والتعاليم التقليدية ، أولئك الذين تحولوا عن التقاليد الإسلامية الى التقاليد الأفرنجية الصورية فهم يدرجون الأمة من تقليد الى تقليد ويقذفون بالغيب من مكان بعيد » .

ويقول : « لا نجالد أعداء الإصلاح بسيف ولا أسنان وإنما نجادلهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ولكننا لا نترك أمر الأمة في التربية والتعليم يتنازع التفرنج الحديث والجهود القديم » .

وينادى : « يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار حجة عليكم . أخبركم الله أن الأرض يرثها عباده الصالحون ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم في ملككم وأنتم لا ترثون أرضا ، بل لا تحفظون أرضا ومالههم يسلكون كل سبيل للافتيات عليكم وما بالكم تخربون بيوتكم بأيديكم وأيديهم ، كيف ذهبت عزتكم ، لقد تنبه الوثنيون وأنتم غافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وسبق النصراني وأنتم متخلفون ، وها أنتم هؤلاء تستيقظون فان سرتهم الهويانا فالناس مجسدون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم ، وبأحوال الهم في عصرهم ، وتدبروا القرآن وما فيه من سنن الله في نوع الانسان ومقدان الاقران واستدارة الزمان » .

ويقول : كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد في القسطنطينية ، تارة في فنادقها وتارة في المراكب البخارية التي يجول في رفاقها (البسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه .

وفي هذا المجلد دعوات واضحة :

١ - الى مسألة العناية باللغة العربية في البلاد العثمانية وتقوية الرابطة بين الترك والعرب التي سعى لها سعيا منذ قدم دار السلطة وبعد أن تقرر أن تكون اللغة العربية رسمية في الدولة كاللغة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان كما اهتم باصلاح الخط العربى وقدم بحثا لجبر ضومط في هذا الصدد وبحث في اطوار اللغة العربية للخضر حسيين وقد وضح الاهتمام باللغة العربية في هذا العام .

٢ — السعى لحسن التفاهم بين العرب والترك ، كان أحد القاصدين من رحلتنا الى دار السلطنة ، والرد على صاحب جريدة اقدام على ما كتب في شأن العرب وعرض مقالات عليه في حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية وقد نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذي فيه بيان اسباب سوء التفاهم وطرق تداركها ومنها مسألة تنقيح اللغة التركية وحذف الألفاظ العربية منها وقال ان هذه أمور ليس له حق البحث فيها واستمراره في نشر مقالاته الجنسية بقلبه وقلمه اعوانه في الطعن على العرب ، وقد دفع الحماسة بعض السكان العرب الى اقتحام ادارة جريدة اقدام واهانه صاحبها وتحقيره .

٣ — بالنسبة لمشروع دار العلم والارشاد ، حدث ما أياسنى من مساعده الحكومه العثمانية بعد وعدها القطعى او خاد .

٤ — تناول الرد على هجوم الجريدة القبطية على مشروع احياء الآداب العربية ، كما تناول الرد على نبلى تسميل والمقطف في شأن الاتحاد ورد على سلامة موسى ودحض آرائه في كتابه مقدمه السبرمان التى تتلخص في نظريه نيتنته في محو الضعفاء وتنمية قوة الأقوياء ، وقد اتار سلامه موسى الى اراء نيئتشة ويليك وشوينهور من أصحاب الفلسفة الشاذة : وقال : المتفرنجون منا يرون تعميم ما يرون لهم في كل بقعة من بقاع الشرق ناصبين أنفسهم من امتهم منصب المصلحين النافعين ، وانما هم من المفلدين المساكين الذين لم نقو عقولهم على تميز الغث من السمين .

٥ — كتنف عن تعصب أوربا الدينى بالنسبة لمسلمين النمسا والمجر . وارغامهم على أحكام الزواج والطلاق المسيحية ، وانتار الى عمل الاستعمار في ايقاظ الفتن وتغريير العرب واغرائهم باخوتهم الترك ، والقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى والنفخ في روح العصبية الدينية بين الفريقين وعرض لبحث الفرنسى بوجيه في الهجوم على الاسلام واخطائه وسخافاته في التعبير بكلمة (جمال مكة) وقد رد عليه الدكتور أحمد الشريف من تونس كما مقدم بحثا للدكتور كارل كوم الذى يرى أن افريقيا عما قريب ستكون قارة اسلامية محضه ما عدا جنوب افريقيا واوغنده والحبشة .

المجلد الرابع عشر (١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م)

اتسع نطاق البحث في المنار بالنسبة لقضايا الإصلاح الاسلامى وان ظل الشيخ محمد رشيد رضا هو كاتب معظم صفحات المنار غير أنه في هذا العام ظهرت كتابات لأسماء لامعة ، منها : شكيب أرسلان ، عبد العزيز جاویش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، محمود شوكت ، هبة الله الشهرستانى .

وكان أبرز أحداث العام : (١) المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى ، (٢) طلائع الماسونية . (٣) دخول ايطاليا طرابلس الغرب . (٤) احتلال فرنسا للمغرب . (٥) اتساع نطاق التبشير في السودان وجاوه . (٦) متابعة الباطنية والبهائية .

هذا وواصل المنار اهتمامه بقضايا الاسلامية وخاصة : (١) التعليم والتربية والازهر . (٢) الآداب العربية احيائها وتدريسها . (٣) مقارنات الأديان . (٤) الاستعمار واثره في العالم الاسلامى وموقف البلاد الاسلامية أمثال جاوه وجنایة هولندا عليها ، والجزائر وكيف فتحتها فرنسا ، وإيران بين انكلترا وروسيا وما يتعلق بروسيا في التركمان وبخارى ومسلمو بلادها . كما أولى اهتمامه بالإصلاح الدينى والاجتماعى فتحدث عن التقليد للأفرنج والتفريج ومضاره واللغة العربية ، وكان للدولة العثمانية وللاتحاديين قدر وافر في الأبحاث ، فقد تكتشفت حقائق كثيرة عن صلتهم بالماسونية وتسليمهم طرابلس الغرب وتورطهم في أعمال كثيرة تكشف حقدهم على العرب والاسلام ، والمؤلفات الجديدة وكتب التراث المبعثة .

وقد استهل المجلد الرابع عشر على هذا النحو :

أحمد اللهم عودا على بدء ، أن وفقتنى لتأييد المصلحين والدعوة الى الاتحاد والائتلاف بين المسلمين فقد تم بفضلك وتوفيقك للمنار ثلاثة عشر عاما يدعو الى ذلك بدلىلى النقل والعقل والأساليب المتنوعة من القول الفصل وأضرع اليك أن وفقتنى على رأس العام الرابع عشر فى السعى اليه بالفعل ، وأن تظهر هذا الدين فى الآخرين كما أظهرته فى الأولين ، فقد بدأ غريبا وعاد كما بدأ فى غربته فأتى اللهم التشبيه باستتباع ذلك لظهوره وقوته وانصر دعائه الصادقين على أعدائه المنافقين ، الذين يلبسون

لباسه ويجهلون حقيقته ، المنكرون له حتى صدق عليهم ما قلته في المتفرقين قبلهم : « يخربون بيوتهم بأيديهم » و « بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم ثقتى » كلما داووا جرحا ظهرت جروح ، وكلما رقعوا فتقا ظهرت لهم فتوق ، وكثرت الدعاوى بالباطل ، وتطلعت رعوس الفتن واشتعلت نارها في البانيا فحوران فاليمن ، يلبسون الحق بالباطل ويتصدون من يتبع أهواءهم من ظلوم أو ظالم يؤيدون المفسدين والمجرمين ويتحرقون على البرءاء الصالحين .

يا اهل القرآن : اقيموا القرآن واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قد غلبتم على ما فرطتم فيه من حقكم ، فنزا على مصالحكم الملاحدة والفاستقون من قومكم ، وكانوا هم المنافذ والكوى لدخول سلطان الأجانب على أرضكم ، تركتم لهم دنياكم فطمعوا في دينكم ، يريدون اطفاء نوره والاطاحة بوليّه ونصيره .

وهكذا نجد السيد رشيد رضا يقطا واعيا لكل التيسارات التى تهب من حوله فيورا على الدعوة الاسلامية ، يقول كلمة الحق بقدر المستطاع المسموح به فى هذه الظروف التى كان النفوذ الاجنبى مسيطرا على الرقابة الصحفية ، راسما بهذا العمل صورة حقيقية رائعة للعمل الاسلامى الذى يحمى مفهوم السنة والجماعة ويقاوم كلا التيارين : تيار الجهود والتقليد والجبرية الصوفية ، وكذلك تيار التبعية والتفرنج والتغريب والغزو الثقافى فى صورته المختلفة : من تبشير واستشراق ودعوات باطنية ومؤامرات الحادية واباحية ، وهو على ضعف المنار الشهرية التى لا توزع الا عددا قليلا يرسل بالبريد لمن يطلبه وليس لها نفوذ فى سوق الصحافة اليومية والاسبوعية التى تصدرها جهات أخرى فانه ثابت قوى متشبث بالدعوة غير طامع فى جاه او مال او شهرة ، وانما يضحى بكل شىء فى سبيل اثبات هذا الصوت الاسلامى واستمراره فى عناد واصرار .

وفى هذا العام يتفتح الكلام عن الصهيونية حيث تنشر جريدة الكرمل (نجيب الخورى) كتابه عن جمعية اليهود الصهيونية التى تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين ، وما يتصل بالمشروع الأصغر (أى تمكين اليهود من زراعة أرض فلسطين) كذلك فان فى هذا العدد تنويه واسع بخطط الماسونية فى البلاد العثمانية بعدد أن تكشف دورها فى مؤازرة الاتحاديين

وفي سيطرتهم على الدولة العثمانية ، وهو في نفس الوقت يواصل قضية البهائية ويتحدث عن تطوراتها وخطورة الدور الذي تقوم به وما يتصل بميزرا محمد على الباب وادعائه النبوة ، كما يفضح دور الاتحاد والترقي والذي كان خافيا في السنوات الاولى للانقلاب العثماني والملىء بالحقن على العرب والعربية والاسلام والمندفع في طريق العصبية والعنصرية وراء فكرة العودة الى الطورانية ومحاولة تترك العرب وسحق لغتهم مع الاشارة الى دور اليهود الخطير .

ويعاود الحديث عن الجمعيات السرية التي لا يجوز للمسلم ان يدخل فيها ويتحالف مع اهلها وكيف ان ذلك مخالف للشرع ، فانه حين ذلك يطيعهم فيها يأمرونه به ، وهو مخالف لدينه ولوجهة أمته ، ويقول : لا ينبغي ان تدخل في جمعية لا تعرف مقصدها ، لانه ربما كان مقصدا محرما ، ولانه لا يليق بالمسلم القيام بما يجهل حقيقته وعاقبته ، فان دخل في جمعية على انه ليس فيها شيء مخالف للشرع الثابت ثم ظهر له فيها ما يخالفه لم يستطع ازائه وجب عليه ان يتركها ويتبرا منها .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد : هبة الله الشهرستاني ، شكيب أرسلان ، جاويش ، محمد توفيق صدقي ، محمود سالم ، رياض باشا .

المجلد الخامس عشر (١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م)

تميز المنار بالتوسع الدائم والقدرة على تحديد أبحاثه عاما بعد عام مع تتابع حركة التغريب والغزو الثقافي ، ويرجع ذلك الى قدرة فائقة في المتابعة في مجاله ، فان المنار استطاع ان يحصل على عدد وافر من الدوريات التي تصدر في أجزاء مختلفة في العالم الاسلامي ، فهو يعلق عليها ويستخرج منها ما يخدم هدفه وليس أدل على ذلك من انه يتابع اخبار المسلمين من المغرب الأقصى الى جاوه ، بتدقيق وتفصيل لكل الأحداث التي تمر به ، وهناك عدد من القراء المثقفين يرسلونه ويقدمون له القضايا المثارة ، فهو لا يغفل عن أي تطور سياسي أو اجتماعي في هذه الأقطار على مستوى العالم الاسلامي كله ، هذا فضلا عن انه يقدم أبواب متعددة يحشد لها قدرا آخر من المادة الاخبارية محولة الى فكر وخاصة باب (فتاوى المنار) التي يقدم فيها ظواهر البدع المثارة ويرد عليها ، وهو دائما محتفيظ ، لا يمل تكرير المعاني العامة لفناهم الدعوة الاسلامية في كل

مناسبة ، كما يقدم أهم الكتب وخاصة التراث المبتعث ، وأهم الوفيات وأهم الأحداث وعينه دائما على الأزهر والتعليم والتربية وعلى مقارنات الأديان وعلى مادة كتب النصارى والتبشير وما يكتبون ضد الاسلام ، ونجده في هذا المجلد يولى اهتمامه بعدد من القضايا :

أولا : التبشير الغربى في عالم الاسلام ، وقد أخذ ينشر كتابا من أخطر الكتب التى صدرت في هذا الصدد وهو كتاب (الغارة على العالم الاسلامى) أو فتح العالم الاسلامى نقلا عن المؤيد .

ثانيا : النقد الموجه الى مؤلفات جرجى زيدان وفى مقدمتها كتاب التمدن الاسلامى وتاريخ آداب اللغة العربية ، وهما لباحثين كبيرين أحدهما شبلى النعمانى والآخر أحمد السكندرى .

ثالثا : بشائر عيسى ومحمد فى الثوراة والانجيل وهى مجموعة مقالات هامة تتعلق بمقارنات الأديان يكتبها الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى آمن بالاسلام وأخذ فى مراجعة تراث أهل الكتاب والكشف عنه وتابع هذا بنقد كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) كما تناول قصة بولس والمسيحية وبختنصر وتنكيله باليهود ودعاة النصرانية فى افريقيا وقصة زويمر كبير المبشرين .

رابعا : متابعة أحداث العالم الاسلامى وفى مقدمتها الحرب الصليبية فى البلقان وأحداث فرنسا فى تونس وانجلترا فى مصر والمسألة الشرقية والمسلمون فى مجلس الدوما الروسى والانجليز فى جنوب ايزان والخليج الفارسى والجامعتان الاسلاميه والعثمانية ودعوة أحمد الشريف السنوسى لجهاد الايطاليين فى طرابلس الغرب .

خامسا : فى هذا المجلد انتهى ما قدمه الشيخ محمد عبده من حلقاته لتفسير القرآن ، حيث بدأت مقالات السيد رشيد رضا .

سادسا : اولى اهتمام كبيرا لقضية الدولة العثمانية والعرب وجماعة الاتحاد والترقى .

سابعا : تناول قضايا البهائية ، والفحش والفجور فى كتب اليهود ، والفلسفات وابن المقفع ، والتصوف واحصاء المسلمين ودعاة النصرانية ومصطفى كامل والجامعة الاسلامية وطريقة السنوسية وزواياها الممتدة من الاسكندرية الى درنة ، كما تحدث عن المستشرق قنابى الذى خضع

السلطان عبد الحميد ثم هاجمه بعد عزله ، وتحدث عن رحلة صاحب المنار الى الهند ، كما تحدث عن المستشرق لويس ماسينيون .

ثامنا : تناول بالعرض أغلب الكتب الصادرة والتي تتصل بالدعوة الاسلامية : ميزان الجرح والتعديل للقاسمى — الحراب فى صدر البهاء والباب — رباعيات الخيام — العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، شبلى النعمانى ، أحمد الشريف السنوسى . وقد استهل العدد الاول من المجلد الخامس عشر بافتتاحية قال فيها :

قطع المنار هذا الطور الاول من حياته وحده فدرج درجان الطفل غادر مهده الى أن بلغ رشده ، فلا أخذ بيده أمير ولا أعانه وزير ولا أمده غنى كبير اللهم الا مصطفى رياض باشا تفمده الله برحمته (اشترك فى خمسة عشر نسخة) ، ورياض باشا هو الذى أخذ بأيدي الصحف الكبرى أيام وزارته سواء كانوا من نصارى السوريين أو القبط المسلمين فهو صاحب الفضل الاول على الأهرام والمقتطف وجريدتى الوطن والمؤيد ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذ ارادته المسموعة كلمته .

والسيد رشيد يشكو دائما مطلّ المشتركين وخاصة من رجال الطبقة العالية كالمدرسين والمؤلفين والقضاة . ويقول : ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل الراحلة من أبى بكر يوم الهجرة الا بثمنها . وكان النبى يحتاج الى النفقة على أهله أحيانا فيقترض من اليهود وكان يجزى على الهدايا ولا يقبل الصدقة البتة .

ويقسم الناس الى أقسام ، فمنهم من هو ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله . ويقول : ان المصلحين هم الأمة الوسط التى تجمع بين مطالب الروح والجسد وتقيم أمر الدنيا والدين كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب الذى يزداد أهله نهوا فى الأرضي .

المجلد السادس عشر (١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م)

تميز هذا المجلد بدراسات أساسية :

أولا : دراسة كاملة عن الاتحاديين حكام الدولة العثمانية وتفریطهم في بلاد الاسلام (طرابلس الغرب ، البلقان ، البلاد العربية ، الخليج) ودراسة عن عناصر المملكة (الارمن والارناؤوط) وجمعية الاتحاد والترقی وحزب اللامركزية وحديث عن الحرب البلقانية وموقف مسلمی روسيا من السلطان عبد الحميد وتفریط الاتحاديين في حقوق الدولة في خليج فارس والعراق .

ثانيا : الاهتمام بدراسة تاريخ الجهمية والمعتزلة (جمال الدين القاسمی) وحديث مطول عن واصل بن عطاء ، وما يتصل بالجعد بن درهم والمؤمن ودعوته الى مذهب الجهمية وخلق القرآن وواصل بن عطاء .

ثالثا : مقارنات الأديان ، والمسيحية وقضاياها ، وبولس والتثليث ، وانجيل برنابا والتوراة والانجيل ، والسيد المسيح وكتب أهل الكتاب والبارقليظ المذكور في الكتب القديمة (سيدنا محمد) وقصة صلب المسيح وقيامته ، وعقائد النصرانية .

رابعا : أحاديث كثيرة عن الشيخ محمد عبده ، وعلى يوسف ، ومصطفى كامل ، وأحمد حشمت ، وأديسى هسير ، ومحمود شوكت ، ومحمد فريد ، ومحمد عبده ، وخريستنوس جبارة ، وابن الرشيد ، وأحاديث عن الشيخ عبد العزيز جاویش واصداره المجلة العربية في الاستانة .

خامسا : دراسات عن قضايا العالم الاسلامی مع الاستعمار وحديث عن الاتفاق التركي الانجليزى على خليج شط العرب وفارس واثره على بلاد العرب واستيلاء ابن سعود على الاحساء ، وقضية الأمة الهندية الشرقية مع الحكومة الهولندية وتحويل الأوقاف في مصر الى نظارة .

سادسا : حديث عن المسألة العربية عند الاتحاديين والمؤتمر الدولى في باريس وسياسة الأمة العربية في حرب اللامركزية وقضية الجنسية واللغة ، والعرب والعربية وتترك مسلمی العثمانيين .

سابعا : أحاديث عن الكتب وفي مقدمتها كتاب فتحي زغلول : سر تقدم الانجليز والاختلال بمؤلفه .

● ترجم صاحب المنار لـ : أمير على ، ادريسى عسير ، على يوسف ، مصطفى كامل ، عبد العزيز جاويش ، محمد فريد ، جمال الدين القاسمى ، فتحى زغلول ، محمود شوكت .

وفى فاتحة المنار قال السيد رشيد رضا :

ان صوت الاصلاح الدينى قد علا كل صوت فى الاقطار الاسلامية التى بلغتها دعوته وهزتها صيحته ، فخفضت دونه أصوات الحشوية الجامدين والدجاجلة المحترفين وقد خذل الله بيروت فى العام الماضى أشدهم أبكا وتحريبا .

وتحدث عن الاسلام التقليدى : « والاسلام البرهائى فقال : أصحاب الاسلام التقليدى يفتنون بالشبهات المادية التى يبيها فيهم حملة ثاشور العلوم العصرية ومنهم من يشكون فى الاسلام بظاعن دعاة النصرانية ولا يتصدون للرد على تلك الشبهات ، وقصارى ما عندهم أن يقولوا للعوام أن جميع العلوم الطبيعية باطلة وأن تعليمها كفر ويتعلمها زنادقة . ويزعم هؤلاء الدجالون أن الضلال كل الضلال هو ما يدعو اليه المعلمون من هدى الكتاب والسنة على النحو الذى كان عليه الصدر الأول من الأمة ونفذ كل ما استحدثه الخلف مخالفا لما كان عليه السلف عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » . وتحدث عن ظهور الفئة الباغية الاسلامية فى الظاهر والاتحادية فى الباطن اذ تمدح الاسلام وتنفر من الأعمال التى تحييه وتطمعن فى القائمين بهسا وتدعو الى الجامعة الاسلامية وتلقى الشقاق بين العاملين لها وتزاحم أهلها المصلحين وهم المفسدين .

وقال ان الأمر يحتاج الى ضروب من الاصلاح يمد بعضها بعضا وأصولها خمسة : (الدينى — العلمى — الاجتماعى — السياسى — المالى) وقد تداعت هذه الأصول كلها فى العالم الاسلامى ولا يسهل اقامة بعضها الا باقامة باقىها . وأشار الى أنه ما أن لاحت من الأسقانة بارقة الأمل فى الاصلاح السياسى حتى أردنا أن ننشئ فيها عملا كبيرا من الاصلاح الدينى والعلمى الذى هو أكبر عون على غيره ولاسيما الاصلاح الاجتماعى . ثم أصبح سرايا هذا الانقلاب الذى حسبنا أن وراءه ما نرجو من الاصلاح فكان بسوء تصرفه ذويه من الافساد وقد أئذرنا الأمة سوء عاقبته ، والخطر

الأكبر هو افسادهم السياسى الذى فتح علينا باب المسألة الشرقية حيث فقدت المملكة طرابلس الغرب الافريقية وثنت بولايات الدولة الأوربية ونخشى أن تفلت الولايات الآسيوية .

المجلد السابع عشر (١٢٩٢ هـ — ١٩١٣ م)

تابع السيد رشيد رضا قضايا الساعة ، وفى مقدمتها :

١ — قضية الدولة العثمانية والاتحاديين وموقفهم من العرب وتناول قضية الجنسيات فى المملكة العثمانية والامتيازات الأجنبية وكيف دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية .

٢ — قضية الصهيونية والبروجرام الصهيونى السياسى (بقلم أوستكين) وتحدث عن العقبات الحائلة دون امثلاك اليهود للبلاد المقدسة ، ونصوص التوراة فى كون البلاد المقدسة لنسل ابراهيم .

٣ — الرد على المبشرين والمستشرقين : حيث قدم عددا من الأبحاث فى مقدمتها كتاب (الرد المتين على مقدمات المبشرين ، مقام عيسى عليه السلام فى النصرانية والاسلام ، وناقش دعاة النصرانية ونشر كتاب كريستان سنوك هونجرج الهولندى (الاسلام يقاوم نفوذ النصرانية) وتحريف التوراة .

٤ — رد على البهائيين ودعاة البهائية ، والباطنية وعلاء الصوفية ، وتقديم فصول من كتاب مدارج السالكين لابن القيم الجوزية عن التصوف الاسلامى الصحيح .

٥ — تركيز الدعوة الاسلامية وتصحيح العقائد ، والرد على الجهمية والمعتزلة ، والحلاج والحديث عن دعاة الاسلام الأبرار أحمد ابن حنبل وابن تيميه وأبى حنيفة والامام الشافعى ، والغزالى والأشعرى فى أبحاث مستفيضة عن تاريخهم ودورهم .

٧ — الحديث عن لورد كرومر ورأيه فى الشيخ محمد عبده ، ولورد هدلى واسلامه ، وترجمة أحمد فتحي زغلول بمناسبة وفاته ، كما ترجم لعلى يوسف ومصطفى صادق المنفلوطى وجمال الدين القاسمى ، .

٨ — نقد آراء خصوم الاسلام والرد عليهم : رد هلى يوسف الخازن ولويس شبحو وسلامة موسى .

٩ - تحدث عن الشريعة الإسلامية وموقفها من الامتيازات الأجنبية ،
وتفنيد مزاعم كاتب أمريكى عن الشريعة الإسلامية ، كما تحدث عن المعازف
وآلات اللهو ، وعن التمثيل ، وتحرير المرأة والتفريج .

١٠ - قدم عددا من الكتب وخاصة كتب التراث المبتثثة منها كتاب
الاعتصام للامام الشاطبى ، وتاريخ الجهمية والمعتزلة ، ودين البهائية
وأنصاره ، والكشاف والبيضاوى ونقدهما .

١١ - ترجم فى هذا المجلد للشخصيات التالية : عزيز المصرى ،
على يوسف ، عبد العزيز جاویش ، فؤاد سليم المصرى ، مصطفى
المنفلوطى ، أحمد فتحي زغلول ، محمد جمال الدين القاسمى .

وقد افتتح مجلد المنار الأول من العام السابع عشر بافتتاحية جامعة
جاء فيها :

نذكر قراء المنار على رأس سنته السابعة عشر على نحو ما ذكرناهم به
فى السنة الخالية من سوء عاقبة الامراط والتفريط للذين رزئت بهما أمتهم
الجاهلة الغافلة ، والامراط فى عبادة الهوى واتباع الشهوات والانهمك
فى الفواحش والمفكرات والمحافظة على البدع وسيء العادات والتفريط
فى حقوق الله وحقوق الأمة ، وما يجب من التزام هدى الكتاب والسنة
ومجارة الأمم بما يستطيع من حول وقوة ولاسيما قوة الاعتصام والوحدة
وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة ، ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر
وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفتنون به كل عام ، وما تسلب من ملكهم
الأمم والأقوام وبيان سنن الله تعالى فى الطاغين والمسرفين . تركت هذه
الأمة هداية القرآن فقاتها ما كانت نالت به من الملك والسلطان ، والعلم
والوفاق ، والبسطة فى العمران ، وأمسّت غافلة عن سبب ذلك التوفيق
وذلك الخذلان ، بل التى عليها أحقاب من الزمان لا تشعر بكنه هذا
الخرسان ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر دنياها قبل الشعور
بما كان سببا له من فساد أمر دينها وبما خسرت من سلطانها وأملكها
قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكاتها . ولما شعرت بالخطر على
حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن عللها الروحية وأسبابها المعنوية ،
شرعت فى شىء من الإصلاح الصورى بدون أن تؤيده بروح الإصلاح المعنوى
نعمد السلطان محمود مصليا بتغيير الزى الرسمى ونظام الجندية والسلطان

عبد المجيد مصلحا باعلان التنظيمات الخيرية والسلطان عبد الحميد مصلحا
بانشاء نظارة العدلية ومصطفى رشيد باشا مصلحا بادخال الدولة العثمانية
في سلك الدول الأوروبية ومدحت باشا وأعوانه مصلحين باقتباس القوانين
الغربية الغربية ، ومحمد على وأحفاده مصلحين بفرنجة البلاد المصرية ،
والأمير عبد الرحمن خان مصلحا بالتأليف بين القبائل الأمغانية ، ولم تتوجه
همة أحد الى اصلاح العادات والأخلاق وإزالة البدع والمنكرات وجمع
الكلمة التي فرقها المذاهب واللغات فما زاد الأمر هذا الإصلاح الصوري
الاضروباً من الفساد ولا أباد الدولة إلا اضعاف الاستقلال واضاعة البلاد .
ان أكثره كان ضروريا ولم يعد يمكن علاجا لهذه الأمة من طبيب اجتماعي
عرف من أمراضها الظاهرة والباطنة فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة
ويحفظ البنية ، لذلك رأيناها بعد هذه المصالحات لم تزد الا مرضا ،
وكان ما أدخل عليها من علوم الأمم القوية وقوانينها وآدابها كالجسم الغريب
الذي يدخل في البنية فيفسد مزاجها لأنه لم يكن على حسب استعدادها ،
وحاجتها ، بل كان تقليدا صوريا أو عارضا وقتيا ، فمنه ما كان ضارا
ومنه ما كان نافعا ، فأما الضار فأكبر ضرره التقاليد والقوانين الأفرنجية
التي قطعت كثيرا من روابط الأمة المليئة وأزالت من مقوماتها ومشخصاتها
الاجتماعية والأدبية ، ولم يستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الأمم
الأوروبية بل صارت عيالا عليهم في جميع الشؤون ، أما ما كان نافعا فقد
كان نفعه موضعيا وعارضا لا دائما فكان عداوة بعض أعراض الظاهرة
بما يزيلها مع بقاء العلة في الباطن ، وكلما داوت جرحا سأل جرح . بنى
محمد على ركنى الثروة والقوة على أساس العلم ، ولو أتم أحفاده ما بدأ
ببناء ركنى الأخلاق والآداب على أساس الدين وسفن الاجتماع لثم لهم
تكوين الأمة ولاستقام لهم بالأمة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الأمم
والشعوب لا عصر الأمراء والملوك ، ولكن جميع اقبال المسلمين كانوا
ولا يزالون عن هذا غافلين . لا صلاح للدولة الا بصلاح الأمة ، ولا صلاح
لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولى الراى والعزم يأمرون بالصلاح وينهون
عن الفساد في الأرض ، زماننا زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية
والشركات الزراعية والصناعية والتجارية .

الا وان أمر « التربية والتعليم » هو أهم ما يجب أن يوكل الى الجماعات
ولا يجسسون أن يترك الى الأفراد ولا الى الحكومات لأن المدارس للأفراد

دكاكين لكسب المال والحكومات معامل لسبك العمال ، فكل من الفريقين يتوخى من التسليم منفعته الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وشر ما ابتلى به جماهير المسلمين من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الى خصومهم في السياسة والدين فأنى تصلح أمة تركت تجديدها وتكوينها الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها والأمة تصلح بالتربية ونحن قد افسدنا المربون — الافرنج المتفرنجون — وترتقى بالعلم ونحن قد ولانا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتعزز بجميع المدارس لكلمتها ونحن قد اوهننا وشقت عصانا المدارس لأنها اما معاهد سياسية والحاد واما اديار وكنائس قد قطعت روابط الأمة الدينية والمدنية وفتنتها بالأهواء والشهوات الحيوانية وسرى سم تقليدها الى المدارس الأميرية والاهلية ، فالمتخرجون منها اقلهم الذين يسلمون ومنهم الملحدون ، واكثرهم الفاسقون يجرفون ثروة الأمة الى الأجانب ويقذفونها بالفجور والنفوذ الأجنبي من كل جانب ويتغلبون فيها على المناصب فينالون منها جميع المآرب. يخشرون لها سلفها ويعظمون في نفسها كل ما هو أجنبي عليها فيقطعون جميع روابطها المالية ويزينون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التى يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التى يستعين بها الأجانب على ادارة البلاد لانهم تربية مدارسهم ، بل صنعة معاملهم او الجيش السلمى لتكناتهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه « الفتح السلمى » بدونهم ولأجل هذا ربوهم هذه التربية المخبذية وحثوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة فلا هم صاروا بها أوربيين ولا ظلوا مسلمين او شرقيين ولحسبهم لغرورهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة امرها ويزعمون انهم المصلحون لسانها ، ولندكر ما قالته مجلة العالم الاسلامى الفرنسيه :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوى التى أسسها الأوربيون كان لها تأثير في حل المسألة الشرقية يرجع على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها (الفارة على العالم الاسلامى) .

اننا في أشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما يتوقف عليه من العلوم والفنون العملية والى الاعتبار بتاريخهم واطوار حكوماتهم وجماعاتهم ، ولكن يجب أن تقوم باقتباس ذلك جماعات منا يجمعون بينه

وبين حفظ ميثوماتها ومشخصاتها . وأركانها اللغة والدين والشريعة والأداب (المراد بالشريعة أحكام المعاملات في السياسة والقضاء والإدارة والحرب) ولنا أن نستعين بأهل الفضيلة والاستقلال من رجالهم الذين ليس لهم فينا أهواء دينية ولا مطامع سياسية استعمارية وبهذا نكون مهتدين بما أمرنا (الله) به من السير في الأرض والاعتبار بأحوال الأمم ونسبة سلفنا « أ . ه . »

ولك أنت أيها القارئ اليوم بعد سبعين عاما أن تجد ما قاله السيد رشيد رضا لا يزال صالحا لنا ونحن مطالبون به وتجد هذا الكلام منطبق على أجيال كثيرة رباها الاستعمار في عصره ، سعد زغلول ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومن بعده طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ثم الأجيال التالية من أتباع الماركسية والشعبوية .

الفصل الثالث

المنار : الى سقوط الخلافة الاسلامية

في هذه المرحلة واصل المنار عمله وان كانت الحرب العالمية قد أثرت في حجه وفي انقطاع موارده المالية ولكن عزم السيد رشيد رضا وتصميمه كان ثابتاً لأنه تحمل ذلك في قوة ومضى الى أداء رسالته في عزم شديد وعنى بأحوال المسلمين خلال الحرب وحاول بعد الهدنة معالجة آثارها على مصر وعلى البلاد الاسلامية وأفاد من رفع الحظر على الصحافة وتخفيف الرقابة فسهل على الكشف عن كثير من الأوضاع الاستعمارية التي لم يكن قادراً على كشفها في وقتها وقد مضى يواجه الانحاديين ومن بعدهم الكماليين حتى سقطت الخلافة الاسلامية وقامت بعدها دعوات خطيرة الى التغريب في البلاد العربية وفي العالم الاسلامي وكان من أكبر ما أهتمه قضيتي : البهائية والقاديانية في هذه المرحلة .

م ١٨ (١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م)

يوصل السيد رشيد رضا نشاطه في دعم الدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامي الديني والاجتماعي بابتعاث المفهوم الاسلامي الصحيح : مفهوم اهل السنة والجماعة ، وقد توسع في هذا الاتجاه فقدم أبحاث الشوكني : وتحقيقه مسألة القياس ، ودرس الظاهرية وأصول الفقه عندهم وابن القيم وتحقيقه مسألة القياس والرأي وما امتاز به على استاذه ابن تيمية ، وقدم ابن حزم (مجدد القرن الخامس) في المحلى ، وابن حجر العسقلاني وخدمته للسنن ، كما قدم الفخر الرازي وضعفه في الحديث والفصاحة ، وقدم ترجمة ابو هريرة ، كما قدم ترجمة ابو الحسن : منذر بن سعيد البلوطي ، والشاطبي وما حرره في مسألة المصالح ودراسة الامام الشافعي وتناول ترجمة عمر بن عبد العزيز واجتهاد عمر بن الخطاب وقصة سليمان الحلبي وقصة الامام مالك ، ومذهبه في التزام النصوص ، كما تناول الاسرائيليات وخرافاتهما ، وتناول مفاهيم الاسلام ازاء الريا والفتح الاسلامي وسر أحكامه العسكرية ، ومن ناحية أخرى تناول كتب النصاري وقدم نقدا لها وتنزيه عيسى لربه وتنزيهه لنفسه وعرض لاختلاف الفرق وتناول الجهمية وتعطينها

للصفات ، كما تحدث عن وحدة الوجود وأخطائها واليهود وما نزل بشأنهم في سورة المائدة .

● ومن ناحية أخرى تحدث عن رجال العصر : محمد عبده وجملة آراء له في العلم والدين ، ولقائه مع سبنسر وتحاورهما ، كما تحدث عن تاريخ علامة الاسلام في الهند الشيخ شبلى النعمانى وعرض لآراء أحمد كمال بك عن اللغة العربية واسماعيل عاصم وجمال الدين القاسمى وعبد الفتاح عباده ومحمد توفيق صدقى ، كما قدم أبحاثا عن القلقشندى والجرجانى والفتح بن خاقان . وتعد قضايا اللغة العربية والحروف العربية اهم مواد هذا العام حيث تناول الحديث حروف الهجاء العربية والخط الكوفى وخط التعليق الديوانى . وعن كون اللغة العربية أقدم اللغات وعن الهيلوغرافية العربية الأصل . كما تحدث عن المدينتان المصرية والبابلية وكيف أنهما عربيتان . وقدم كتاب على أبو الفتوح عن الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، كما قدم عرضا لكتاب الخراج لأبى يوسف ونشر صفحات مطولة عن احياء الكتب الاسلامية القديمة ، امثال المحلى لابن حزم ومدارج السالكين لابن القيم وصبح الأعشى في كتابه الانتشا للقلقشندى والأحكام فى اصول الأحكام للآمدى والطراز فى أسرار البلاغة ليحيى بن حجي والخصائص لابن جنى والاعتصام للشاطبى .

كما تحدث عن المجتمع والمرأة وفرضى الآداب بمصر كما عرض فصولا من رحلته الى الهند لرئاسة مؤتمر ندوة العلماء فى لكهنؤ .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : شبلى النعمانى ، أحمد كمال ، اسماعيل عاصم ، جمال الدين القاسمى ، عبد الفتاح عباده ، محمد توفيق صدقى ، على أبو الفتوح ، محمد عبده وسبنسر .

وقد تضمن المنار اشعارات الى جعل مصر سسلطنة تحت حماية بريطانيا (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤) بعد دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا وانضمام عباس حلمى الخديو الى أعداء بريطانيا منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا واعلان الحماية البريطانية على البلاد تحت يد أمير من أمراء العائلة الخديوية (السلطان حسين كامل) وفى افتتاحية المنار قال السيد رشيد :

يا أيها الناس لا خير في الحضارة المدنية اذا أقيمت على قواعد الاثرة والقوة المادية ولا خير في العلوم ولا في العمران اذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وأنه بعبارة رعوف رحيم وأنه أرحم الراحمين

ان الانفساد كل الانفساد أن تحتكر الشعوب العلم وتجعله ذريعة لبغى بعضها على بعض واستغلال الشعوب الضعيفة في الأرض وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الأعجم .

يا أيها المفررون بالعلم والقوة ، قد عرفتكم القوى المادية لا تنسو القوى المعنوية ، ولا تنكروا سنن العدالة الالهية ، أتطالبون بكم بما وعد المؤمنين ولا تطالبون أنفسكم بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، انما الخلافة في الأرض بالصلاح والاصلاح ، انما يعتذر بالقدر من يبرىء نفسه ويتهم ربه .

اننا نحن سنمى هذا العصر لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ولا خلافة في شيء من الأرض لا بحسب سنته في خلقه ولا بمقتضى وعده في كتابه ، فاذا أعطى شيئا أو أبقي فذلك عنايته تعالى وفضله لا مما جعله وعدا عليه حقا ، وان الله تعالى ليلو عباداه بالحسنات كما يبلوهم بالسيئات ليلوهم ايهم أحسن عملا ، فتكون أحسن جزاء وخير أهلا » .

وفي كل مرة يعاود السيد رشيد رضا دعوة القراء الى انتقاد المنار ويذكر القراء كل عام بما يحب من الانتقاد الذي هو ضرب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساعدة في الدعوة الى الخير وبث النصيحة ونشر العلم .

كما يدعو الى اعادة الفكر الاسلامي الى الأصالة بالارتباط بمفهوم الكلمات والمصطلحات وفق السنة النبوية وعلى نفس الأساس الذي أقامه الرسول وخذلان المصطلحات الصوفية الضالة والمنحرفة .

المجلد التاسع عشر (١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م)

في هذا المجلد بدأت جولة جديدة لصاحب المنار مع الشريف حسين ، الذى تولى امانة مكة ، كما تحدثت عن الاتحاديين ، واتفاقهم السرى مع ألمانيا وتعريضهم الدولة للخراب ، وعن استقلالهم عن الدين وتركهم الحروف العربية وعن جامعتهم الطورانية وعن جمال باشا السفك والجنسية التركية وفصلها عن الاسلام وعن الحركة الطورانية والدستور العثمانى وتقرير كيون هاهون فى الترك . كما عرض عن مرحلة من مراحل الخلاف بين الخديوى عباس والاستاذ الامام وصاحب المنار وسعى خواص الخديوى للتوفيق بينه وبين الامام وعرض موسع لاستقلال الشريف بالحجاز وما يتعلق بالمشانق التى علقها الاتحاديون لأحرار العرب فى سوريا ودراسة عن الزهراوى بمناسبة استشهاده ، وعرض لآراء الخواص فى استقلال الشريف فى الحجاز ومنشور شريف مكة وأميرها والحركة الطورانية الجديدة فى تركيا .

ولم يغفل صاحب المنار قضايا الدعوة الاسلامية فى معارضته للنصوفية المنحرفة وكشفه لشبهات المبشرين وما يتصل بشبلى شميل وأهل الكتاب .

كما عرض لمناظرة جمال الدين وحسين الجبر ، وعرض لجوانب من آراء ابن تيمية وابن الجوزى وابن القيم وأبى حنيفة والبخارى ومسلم وابن جبير الأندلسى والألوسى المفسر .

كما عرض لكتب : تاريخ سينا القديم والحديث ، وتصحيح كتاب الأغاني وتصحيح لسان العرب وكتاب جزيرة العرب منذ فجر التاريخ ، كما عرف بكتابتى منازل السائرين ومدارج السائلين لابن القيم والهروى فى الدعوة الى تحرير التصوف .

وعرض للمجمع اللغوى المأمول ، والكتب المعزوة الى غير مصنفها . كما أشار الى دعوة مرجليوت المستشرق اليهودى فى لندن بالاشتراك من أحمد زكى أبو شادى الى انشاء جمعية آداب اللغة العربية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : عبد الحميد الزهراوى ، شبلى شميل ، حسين الجبر ، أنور باشا ، على يوسف .

وكتب السيد رشيد رضا فصلا مطولا عن دور المنار في حركة الإصلاح الاسلامي فهاجم « الملاحدة المتفرنجون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون » وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعتمدين وتذللمهم للأمراء والحاكمين وذمهم بعصبية الدين وان لهؤلاء الملاحدة لقوة على غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يغترون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكاييد لا يفتنون لها وان للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها وانما بقاء الباطل في غفلة الحق ، فاذا قذف عليه دمه ، وان بقاء الباطل لالى زوال (وما كيد الكافرين الا في ضلال) .

ويقول : ولقد كان ملاحدة قطننا أجبن ملاحدة المسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر على كونهم أجراهم على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ منهم منذ سنتين افراد على التصريح به ، أو ببعض لوازمه في الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ومنهم من ألف كتباً أو رسائل في ذلك ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الاتحاد والطعن في عقائد الدين وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء ، وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوسوس وتوجيه العناية فيها الى نابذة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب بميسه وان لهم لأنصارا في القصور والدواوين وفي المدارس وأكثر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ما كفوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم من أهل الحق وانهم نيختلبون لباب المختبلين من الشباب والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات (ومن الداس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) الآية . ولهذا فقد وجب على أهل الإصلاح أخذ الأهبسة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون .

(انا لننصرن رسلنا) و (ولينصرن الله من ينصره) .

ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الاسلام بالسنتهم ، ثم لا يعمدون هناك أولياء وأنصار لهم لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال .

ويقال ان لجمعية الاتحاد الجديدة ركنا في الأزهر ركينا وانهم بذلك

أوشكوا أن يحدثوا فيه حدثاً مبيناً ، ولكنهم لم يصيبوا منه الا خذلانا وفشلاً مهيناً .

قال أحدهم مفاكها للأستاذ الامام وهو في مرض موته : ان طريقتك في تفسير القرآن قد أضرت الأمة أشد الضرر ، قال الأستاذ : لماذا ؟ قال : لأنها أبانت للناس ان الدين موافق للعلم والعلم ركن من أركان المدنية فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى أنه عقبة في سبيل ترقيتنا في دنيانا ، ومنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ، ومنهم من يبغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن حجته بتفصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته ، ومنهم من ينفر عما حرمة من آدابه الروحية والاجتماعية .

وبعد أن فرحنا بنصر الله لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقيين توالد من أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين فاذا ترك هؤلاء وشأنهم وسكت لهم أهل الحق عما ينفثون من سموم أباطيلهم تعظم جراتهم وتنتشر دعوتهم وتكبر فتنتهم ، وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخافون الردة الصريحة .

ان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالغرض الصحيح ، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن في النصرانية ، فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون والصناعات المدنية وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى قضاء الحرية .

المجلد العشرون (١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م)

دخل المنار عامه العشرين داعياً الى : الاعتصام بحبل الله المتين والاهتداء بنوره المبين والاستمسك بسنة رسوله الأمين والسير على نهج السلف الصالحين ناهياً عن الاحداث والبدع وتقليد الأحزاب والشيع ، مبيناً أن الخير كل الخير في اتباع من سلف وان الشر كل الشر في ابتداع من خلف لأن الله تعالى قد اكمل الدين فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة غيـبه

كالنقص منه خزي وضلال . ونحى المنار باللائمة على «فقدان الاستقلال في الفهم والعلم والحكم وتقليد الآباء والأشياخ المتأخرين في جميع أمور الدنيا والدين ، وإشار إلى جماعة المقلدين الذين فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع فقد ساروا بحسب الظاهر على الطريقة الثابتة بالعتل والاختبار ، وهي كون علوم المتأخرين ومنونهم أجدر بالثقة والاعتبار ، مع أن سنة الله في التدرج والارتقاء على أنهم يعتقدون بحق أن متقدمي هذه الأمة خير من متأخريها في جميع العلوم والأعمال وأن الخلف لم يسيروا على سنة السلف في الاجتهاد والاستقلال ولو ساروا عليها لفاقوهم في كل ما هو من كسب الناس » ويقول « اننا ندعو الى عقيدة السلف ونحن بها مؤمنون ونرشد من بلغته الدعوة الى سيرتهم الدينية ونحن على طريقها ان شاء الله مستقيمون » .

ومن أبرز أعمال هذا العمام انشاء المجمع اللغوى المصرى من مجموعة من أعلام العصر : سليم البشرى ، محمد بخيت ، أحمد لطفى السيد ، محمد الببلاوى ، أحمد ابراهيم ، أحمد السكندرى ، أحمد برادة ، أحمد تيمور ، أحمد زكى ، أحمد سليمان . أحمد على ، أحمد كمال ، اسماعيل رأفت ، حنفى ناصف ، عبد الحميد فتحى ، عبد الحميد مصطفى ، عبد الرحمن قراعة ، عثمان فهمى ، فارس نمر ، محمد أمين واصف ، محمد رشيد رضا ، محمد شريف سليم ، محمد عاطف بركات ، مصطفى العنسانى ، يعقوب صروف . وقد أنشأ المجمع عديدا من اللجان ، منها : لجنة الجغرافيا والآثار والتاريخ ، ولجنة الطب والعلوم الطبيعية (عدا النبات) ، ولجنة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية ، ولجنة الفقه والقانون ، ولجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة ، ولجنة اصطلاحات الدواوين . وقد أعلن أن المجمع سيعمل على وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات يستبدل بالكلمة العامية أو الأعجمية التى لم تعرف من قبل ، غيرها من الالفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها ، فلذا لم يهتد ، أقر الكلمة العامية أو عرب الكلمة الأعجمية » .

وقد كان جل اهتمام المنار في هذا العام بحديث نهاية الحرب العالمية والصلىح وقيام الدولة العربية وبروز الصهيونية في فلسطين .

المجلد الحادى والعشرون (١٣٣٧ هـ — ١٩١٨ م)

حفل المجلد الحادى والعشرين من المنار بأبحاث فى جميع المجالات التى طرقها منذ نشأته واستكتب عددا من الاعلام امثال : عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الرافعى ، عبده ابراهيم الطبيب ، محمد توفيق صدقى ، أحمد صفوت .

وان ظل القدر الاكبر من انشاء المنار لصاحبه السيد رشيد رضا ، كما عرض لاعلام المسلمين البارزين فى هذا العصر امثال : السلطان محمد وحيد الدين ، وعبد الحميد الزهراوى ، والشريف حسين امير مكة ، والامير فيصل ، وحفنى ناصف .

ومن أبرز احداث العام : ظهور البلشفية فى روسيا والتقابل بين ابن سعود امير نجد وشريف مكة وظفر الاول ، وتناول المنار قضايا الدعوة الاسلامية فتحدث عن الجبرية وشبهاتهم وعن الجعد بن درهم اول المبتدعة وجهم بن صفوان ونقل شيئا وافيا عن الاشعرى ومناظرته للجبائى وعن علاقة الاشعرى بالمعتزلة ثم خروجه عليهم ، وتحدث عن علم الكلام وابتداعه وذمه ، وتحدث عن انتشار الاسلام فى مطالعه بسرعة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ .

كما تحدث عن قضايا المتفرنجين والاصلاح الاسلامى ، وابوة آدم للبشر ومذهب دارون ونقل تقرير مشيخة الازهر عن التعليم الاولى ، وعرض اتفاق عام ١٩١٦ على بلاد العرب ، كما عرض قضايا سوريا الكبرى ، كما تحدث عن مذهب الوهابية وعقيدتهم .

وقد استهل المجلد بمقدمة استعرض فيها احداث السنوات الاربع الاخيرة مثل عرش قياصرة الروس القاهرين وابعد القيصر وأهل بيته ، وتمزقت كبرى سلطنات امبراطوريات الأرض التى تصنع جمهوريات يسفك بعضها دماء بعض ، مثل عرش السلطة النمساوية وتمزقت الى عدة حكومات جمهورية وتدهور عن عرش أعز عاهل على وجه هذه الأرض بعد أن كاد يقضى على أكثر أمم الشرق مع الغرب ، وهو النافذ الحكم والارادة فى أوسع أمم الأرض علما وأدقهم نظاما فكان سقوطه كسلك انقطع فتناثرت الفرائد اذ سقط ملك الجيرمان وامراءهم واحد بعد واحد وتقلص ظل الترك عن بلاد العرب

والأرمن والاكراد التى سفك طغاتهم الاتحاديون فيها الدماء واكثروا فيها الفساد .

وقد ردد السيد رشيد رضا مبادئ المنار وهى :

١ — احياء مفاهيم السنة ومراجعة كتابات العلماء السابقة : (علم الكلام والاشعرى وغيره واعادة النظر فيها والاعتزال وغيره على نحو متحرر من التقليد ومفاهيم الصوفية المفرقة فى التقليد واعادة مفاهيم الاشعرى وابن تيميه وابن القيم) .

٢ — الرد على الجبرية والقدرية بسنن الله وآياته ، والرد على المتكلمين .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : حفى ناصف ، الزهراوى ، الشريف حسين ، عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الراعى ، عبده ابراهيم ، الالوسى .

المجلد الثانى والعشرون (١٣٣٩ هـ — ١٩٢١ م)

ما تزال القضية الكبرى التى يعالجها السيد رشيد رضا والتى حقق فيها نتائج واسعة المدى هى قضية مذهب أهل السنة والجماعة وتحرير الفكر الاسلامى من جمود المتصوفة وانحرافات الباطنية مع الحملة الكاشفة عن أخطاء التغريبيين والذى يطلق عليهم اسم المتفرنجون .

وفى هذا المجلد حديث واسع عن الباطنية وكيدهم للاسلام والعرب ، والربط بين الباطنية والبراهمة والصوفية ، وانقسام المسلمين الى ٧٣ ملة ، والفرقة الناجية اتباع (السلف) ومنها الامام أحمد ورده على الزنادقة ، وأهل البدع واختلافهم ومطاعنهم ، وحديث عن الامام زيد وأتباعه ، وحديث عن القرآن وبرأته من الالفاظ الأعجمية ، والحديث عن الرازى وسمة اطلاعه وكثرة خطاه ، وحديث عن البخارى ومكانة صحيحه ، وتاريخ السنة ومعناه وأدواره ، وحديث عن كتب السنة ، مسلم والترمذى ، وحديث عن الشيعة وحصر الاسلام فى الإمامة منهم ودسائس اليهود والمجوس ، وحديث عن ماتم عاشوراء واقتحام الشيعة النار فيه ، وحديث عن عبد الله ابن سبأ والوثنية وانتقالها للعرب وأهل الكتاب والمسلمين ، وعمر بن لحي الخزاعى أول من غير دين اسماعيل ووضع الأصنام فى الكعبة ، وحديث من المجوس وكيدهم للاسلام ، وكيد اليهود للمجوس فالافرنج للمسلمين ، وحديث عن موقف النصارى من الامتثال ، وحديث عن أن الفينيقيون عرباً

والكنعانيون عرب والأراميون من العرب ، وحديث عن حقيقة التصوفاً ومكانته من الشريعة ، هذا بالإضافة الى أحاديثه عن الأزهر والإصلاح الإسلامى .

ومن ناحية أخرى عرض المنار تاريخ هذه الفترة وأمر السياسة والحكم والدولة العثمانية فيها فتحدث عن الاتحاديين حكام تركيا وافسادهم فى الدول وبيعهم البلاد العربية للأفرنج واتفاق عام ١٩١٦ على البلاد العربية ، واستعمار الغرب للشرقيين بعد الحرب ، وانكلترا واتفاقها مع فرنسا على اقتسام البلاد العربية ، واستخدامها شريف مكة وأولاده ، وحديث عن الدولة العثمانية وغرور المسلمين بها واتكالهم عليها وظهور الحياة فيها بعد الاحتضار، وحديث عن شريف مكة وإبائه الاتفاق مع أمراء العرب واتفاقه مع انكلترا ودخوله الحرب معها وعداوته للترك . وحديث عن مصطفى كمال باشا منقذ الترك وزعامته لجيش الأناضول .

هناك فصل مطول عن المسألة العربية وفصل عن المسألة المصرية وسعد زغلول .

❶ ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لـ : أحمد كمال باشا الأثرى ، طاهر الجزائرى ، سعد زغلول ، الشيخ بخيت .
وقد استفتح المجلد الثانى والعشرين مقال :

انذرننا اكابر السياسة فى مثل هذه الفتاحة منذ عامين أن ترك تنفيذ قواعد العدل وحرية الأمم لابد لها من احدى العاقبتين : « ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير وانقلاب بلشفى شره مستطر أو تعود العرب جذعة بهذه السياسة الخدعة الخبأة الظلمة (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور) وقد صدقت الآيات ولم تغن النذر واتبع المنذرون هواءهم وكل أمر مستقر فهذه الأرض تضطرم نيران الفتن والفساد والانقلاب البلشفى كل يوم فى ازدياد ، ان الناس لن يكونوا أمة واحدة ولن تخضع الأمم منهم لامة واحدة ويا أيها الراسماليون والطامعون ان طلب الزيادة ينتهى بالوقوع فى النقصان وان السواد الأعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبدا خادما لأفراد من الاعيان وان سنة رد الفعل سيكون لها القول الفصل والحكم العدل . وأنت أيتها الأمة الامية التى عاودها الارتكاس فى عصبية الجاهلية الى متى هذا التفرق والانقسام بعد ذلك السعادة والمودة والاعتصام وحتى متى تلدغ من الصخرة

النواحد مرارا عديدة وقد حذرت في المرتين وسمعت النذر بالاذنين ورأيت العبرة بالعينين ان كان لهم منك اى ولى وظهر ورأيت في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فيأقوم انى لكم ناصح امين على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن أن لا تعبدوا الا الله ولا تأسوا من روح الله (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله) فقاتلوا اولياء الشيطان بما أمركم به الرحمن من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن .

وما لا أخصه بالتذكر لقومى وعشيرتى بما يشد أمر الجماعة ويضع عنها أمرها ويحكم أواصر الجامعة ويرفع لها ذكرها (فلك بان الله لم يكن مغبرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، استدار الزمان ووقع من التطور الاجتماعى ما لم يكن في الحسبان وسيترك ما بقى من صروح الاستبداد وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر الاستعباد وبفضل النضاير والتظاهر والاتحاد . انما الذل والهوان على أهل النفاق والدهان والمتفرقين في المذاهب والأديان المخدوعين بكلمة العدل والمدنية والمساواة والحرية ، انما المعاهدات حجة الأقوياء على الضعفاء .

هذا هو الطريق الذى بدأه جمال الدين ومحمد عبده

م ٢٣ (١٣٤٠ - ١٩٢٢)

ارهاصات الاحداث واضحة في المجلد . فهذا كتاب عن الخلافة الاسلامية للعلامة أبو الكلام آزاد ترجمة عبد الرازق المليح أبادى ، وقد جاء على اثر ذلك أن وقع الانقلاب التركى الجديد (نوفمبر ١٩٢٢) باسقاط الدولة العثمانية وتأسيس دولة تركية وجعل سلطة الخلافة العثمانية روحية بحرمان الخليفة من السلطتين التشريعية والتنفيذية عملا بقامدة الديمقراطية الغربية .

وبدا اثر ذلك واضحا في مصر والبلاد العربية وحديث عن مؤتمر لوزان وفي نفس الوقت أحاديث عن البهائية بعد موت زعيمهم عباس البهاء وعن القاديانية التى أسماها (المسيحية الهندية) وحديث عن مجوسية الفرس وعن السياسة وتاريخها باعتبارها الضربة الأولى التى ضرب بها الاسلام وحديث عن مدينة القوانين التى أثارها محمود عزمى والسسمى

لإلغاء الأحكام الشرعية وما يتصل بذلك من إنشاء جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها برئاسة الشيخ على عبد الرازق وأحاديث أخرى عن كوارث سوريا في سنوات الحرب وما فعله جمال باشا في سوريا للأمر شكيب أرسلان ، والاحتفال بذكرى الإمام محمد عبده وفتوى شيخ الإسلام بأن الكمالين بغايا يجب قتالهم ، كما أورد الأحكام الشرعية المتعلقة بالخلافة الإسلامية .

وفي افتتاحة المجلد الثالث والعشرين حديث العام : ذهب طور الثروة والفسوق المهلك للأمم والمفسد للحكومات والدول وصرنا الى طور الشدائد المجهضة للقلوب المدمرة لمصابيح العقول الموحدة لنار الهمم المظهرة لاستعداد الأمم بازالة الأحقاد وجمع الكلمة على الجهاد . ويقول : جرينا على منهج الامامين الحكيمين في الدعوة الى الوحدة وجمع كلمة الأمة بالتذكير بآيات الله المنزلة في القرآن وما هدى اليه من سنة المطردة في أطوار الانسان .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد : سعيد حليم .

الفصل الرابع

المنار : الى وفاة الشيخ رشيد

هذه المرحلة الأخيرة من حياة المنار كانت خصبة حافلة ، فقد وقف السيد رشيد ازاء تحركات التغريب والغزو الثقافي الذي تنادى على عبد الرازق ومحمود عزمى وطه حسين موقفا حاسما وكشف زيف هذه المخططات ومضى في طريقه في الدعوة الى الله ومواجهة مخططات الاستعمار في مختلف اجزاء العالم الاسلامي ، معارضا لجوانب الضعف والانحراف في الحضارة الغربية داعيا المسلمين والعرب الى منهج اسلامي اصيل والى بناء المجتمع الربائي الأمثل .



م ٢٤ (١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م)

لا ريب أن أضخم الأحداث التي اهتم بها المنار في هذا العام هو الخلافة الاسلامية فقد قدمت دراسة واسعة واسعة عن حقيقة الخلافة ومفهومها في الاسلام كما قدمت كتابا صدر في آنقرة ضد الخلافة لعله هو أحد الكتب التي اهتمت بها الشيخ على عبد الرازق في كتابه كما أشار الى فتاوى مصطفى كمال الدينية .

(ثانيا) أولى اهتماما بالغا لأحداث العالم الاسلامي ،

فأشار الى النهضة الأنغانية ومؤتمر لوزان كما تحدث عن الجامعة الاسلامية والجامعة الجنسية ووجوه التعارض بينهما وأشار الى ثورة الهند السياسية وانتصارها للخلافة والدولة العثمانية والخطاب الذي القاه أمام المحكمة الشيخ أبو الكلام آزاد .

كما أشار الى حركة الأمير عبد الكريم الخطابي في المغرب والاستفتاء مع ملك الحجاز .

(ثالثا) أولى اهتمامه للوهابية وحقيقتها ومنشأ الطعن فيها ، كما

كشف زبوف « المسحة الاسلامية القاديانية » الملقبة بالاحمدية ، وتناولها بالمعرض برنامج تعبير المحمديين وبرنامج كيدهم للإسلام .

(رابعا) عرض للتراث الاسلامى المنبعث وأولى اهتمامه بمجموع الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهى ، كما نشر صفحات مشرقة للأمير شكيب ارسلان عن انتداب العرب فى سويسرة فى القرون الوسطى كما تحدث عن مؤلفات ابن تيمية وابن القيم والشوكاتى .

(خامسا) قدم عرضا لذكرى رينان فى الجامعة ورد على محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى رينان والامغانى .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الرابع والعشرين بتذكير قراء المنار بعبرة شئون الاجتماع والعمران وتنازع عوامل الصلاح والفساد فى الانسان وما يناسب ذلك من هداية القرآن : حجة الله البالغه بما فيها من آيات العلم والبيان المناسبة لكل زمان ومكان ، ذلك لأن « المنار » انما أنشئ لابقاظ الشرق وتمدن الاسلام باعادة تكوين الامة وحياة الملة والدولة لفروع الفقه وأصول العلم لا لجديليات المذاهب الدينية ولا تايد العصبيات الجسسية ولا لنشر ما يتجدد من قضايا العلوم ونظريات الفلسفة أو مخترعات الفنون وعجائب الصناعة ، ولا لقصص التاريخ ونوادر الفكاهات ولا لجوانب الحوادث واخاديع السياسة ، بل كل ما يذكر فيه مما يدخل من هذه الأبواب فانما يولى وجهه شطر ذلك المحراب لأن الامة اذا احييت ، اُهيئت من العلوم ما كان ميتا ، وانشرت من الفنون ما كان رميما ، واذا ماتت اُماتت معها ما كان حيا ، ودرست ما كان مدروسا مرديا .

وابستطرد يقول : ومن آياته الماثلة امام الناظرين فضيحة هذه المدنية المادية التى فتنت أوربا بها المسلمين فقد ظهر لهم ما كان خفيا من فسادها وذهب بهيبتها ما كان من الفطائع فى حربها ومن آياته أن ثل عرش دولها المقهورة وزلزل أركان دولها المنصورة ، وضمضع ثرواتها وأوقع الاضطراب فى معيشتها ، ومن آياته أن أذل جبروت أعظم دولة قاهرة .

ويقول : لقد كان لنا جامعتان مسعد سلفنا بالاعتصام بهما وشقى خلفنا بالتفرق والاختلاف فيهما ، جامعة علمية روحية وهى كتاب الله وما فيه من سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية هى الامامة العظمى وما بينها من سيرة خلفائه الراشدين وهدى السلف الصالحين ، وهذه متممة للأولى

ومنفذة لها ، وأن الله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن . ثم تفرقنا في القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعل الملة الواحدة مللا وتفرقنا في الإمامة بالعصبية فصارت الأمة أمما والدولة دولا ، ثم أعرضنا عن كل من الجامعتين كليتهما وبطل الاقتداء بالامامين مع احترام اسميهما أو كلمتيهما فتجمد بعضنا على ظواهر بعض الكتب التقليدية ومن تعصب بالقوانين والنظم الاوربية وروابط شعوبها الجنسية والوطنية .

يقول انه في العدد الاول من المنار كتب في بيان حق الامام على الأمة وحقوق الأمة على الامام فلما قرأتها على الشيخ محمد عبده أشار الى (ترميج) هذه الكلمة منها وقال ان المسلمين لم يبق لهم امام الا القرآن وأن البحث في الخلافة وما يجب على السلطان فتنة للناس ، وأشار الى فساد الأمراء وخروج الخلافة عن الأساس الذي أقامه عليها الإسلام في عهد الراشدين ، وقال : الا أن إقامة الامام هي التي تحيي هذه الأمة ولكن أمرها لا يزال غمة ليس وراءها غمة ، وأنها لترهق محاولها صعودا ، وتنتقم به كؤودا وتجشمه منالا بعيدا ، وان أسعد الناس بها لأزهدهم فيها ، وان أطمعهم فيها لأعجزهم عنها وان أقربهم منها لأبعدهم عنها .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : أحمد كمال باشا ، الأمير عبد الكريم الخطابي .

المجلد ٢٥ (١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م)

تعد القضايا السياسية للعالم الاسلامي هي أبرز الجوانب التي يوليها المنار اهتمامه وهذا المجلد حافل بقضايا سياسية اسلامية كثيرة :

أولا : ملف كامل عن الشريف حسين وموقفه من بريطانيا وفلسطين وزهارة ملك الحجاز لشرق الاردن ، ورسالته الى الأمة البريطانية وفساد حكم الشريف حسين في مكة المكرمة .

ثانيا : المسألة المصرية بعد تأليف الوفد المصري ووزارة سعد .

ثالثا : الاتفاق بين الأمير فيصل والدولة الفرنسية على الانتداب على سوريا .

رابعا : تركيا الكمالية والانتقلا ب الديني والسياسي في الجمهورية

التركية والفناء الخلافة (عبد العزيز جاويش - محمد شاك - أمين ارافعى) وموقف العالم الاسلامى من الجمهورية التركية .

خامسا : الخلافة ومؤتمر القاهرة ، والمسألة العربية فى طور جديد بين ملك الحجاز وسلطان نجد ، وزحف النجديين على الحجاز (الوهابيين) وقضية الأمير الخطايبى والريف والمغرب .

ومن ناحية أخرى تجرى الأبحاث والدراسات :

- ١ - التفسير والفتاوى .
- ٢ - دراسات عن التراث (كتاب أساس البلاغة للزمخشري فى طبعة جديدة لدار الكتب المصرية) .
- ٣ - قضايا المجتمع الاسلامى :
- (أ) تزويج المسلم لغير المسلم ومسألة تحديد الزواج بقانون وتحديد سن الزواج بتشريع قانونى .
- (ب) تحريم المسلمات على غير المسلمين .
- ٤ - الرد على الشبهات وخاصة فيما يتعلق بوحدة الوجود وإبطالها بقلم الامام ابن تيمه وبحوث عن الامامة والباطنية والجمعيات السرية .
- ٥ - قضايا التبشير والافراء بين التصدى والمسلمين ، ودعوة المسلمين الى النصرانية .
- ٦ - الازهر ماضيه وحاضره ومستقبله .
- ٧ - ترجمة القرآن وتحريف الترجمة والتشكيك فيه فى تركيا .
- ٨ - وفيات الأيمان : الشيخ محمد المهدي - السيد محمود شكرى الألوسى ، الشيخ سالم أبو حاجب .

ويقول السيد رشيد رضا فى الامتتاعية : ان المنار لم يكن يبلغ سن الشباب (الخامسة والعشرون) الا وكان منشقة قد شاخ وشاب ونحمد الله ان كان وقع الشوائب التى شيبت الرأس ولم تشيب العزم والياس ولم تشب الهمة بشائبة من اليأس ، فقد ثبت المنار على دعوته التى وضعناها فى أول نشأته .

ويقول : سنتقضى بالرد على الملاحدة ومحاولة هدم الاسلام باسم الاسلام من البهائية والاحمدية المسيحية القاديانية فتد قويت دعوتهم في مصر ويؤيدهم بعض الكتاب في الجرائد والمجلات الشهورة .

المجلد ٢٦ (١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م)

كانت القضايا الشاغلة للسيد رشيد رضا خلال العام هي كبريات الأحداث في العالم الاسلامي وأبرز الأحداث ظهور كتاب على عبد الرزاق (الاسلام وأصول الحكم) ينكر فيه كون الاسلام دين تشريع وامامة وحكومة وقضاء ويبيح للمسلمين أن ينتحلوا أى حكم وقانون ويتبعوا أى حكومة من الحكومات ، وقد قدم تفاصيل وافية عن أهم منكرات الكتاب كما تناول الموضوعات الآتية :

- ١ — ابن السعود واستيلائه على جميع الحجاز والوهابيون والامتراء عليهم .
- ٢ — أوربا والاسلام والخلافة ومؤتمر الخلافة والاسلام في أوربا فهمه وانتشاره .
- ٣ — سوريا وثورتها على فرنسا وموقف نصارى الشرق من المستعمرين .
- ٤ — حرب الريف التي يقودها الأمير عبد الكريم الخطابي .
- ٥ — الدولة التركية في تطورها التغريبي ، وجمعية الاتحاد والترقي .
- ٦ — الازهر وقضايا التربية والتعليم بعامه .
- ٧ — حملات التبشير النصرانية على الاسلام وبشارات التوراة والانجيل وعرضها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعرض للمدارس التبشيرية وملاحدة المتفرنجين من العرب .
- ٨ — أسبانيا والعرب في الأندلس : صفحة عن آخر عهد المسلمين بها واكرام الاسبانيين على النصرانية وعامة العرب واواخر العهد بتسليم غرناطة .
- ٩ — عرض لقضايا التغريب والغزو الثقافي ، عند ترجمة القرآن وكيف تجعله أعجميا ولبس البرنيطة كما تحدث عن أخطاء الصوفية (الرفاعية والبطائحية والشعراني وخرافاته) كما هاجم ابن عربي وابن الفارض والجبعد بن درهم والشمرازي الصوفي والصدر الروبي .

وحدث من كتب الأخبار ووهب بن منبه كما أورد مئطرة ابن تيمه
مع البطائحية الرفاعية .

كما أورد المنار عشرات من الأحاديث عن ومع الشخصيات الإسلامية
البارزة :

الشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر وأحمد شوقي والأستاذ الإمام والأمير
شكيب أرسلان وجمال الدين الأفغانى وسعد زغلول ورحمة الله الهندي
ورفيق العظم ومؤاد سليم والشيخ محمد بن عبد الوهاب .
كما قدم عددا من الكتب الإسلامية الهامة التى ظهرت على مدار
السنة :

يقاظ الغرب للإسلام للورد هدى ، تقرير الدكتور فخرى عن البقاء
وحاضر العالم الإسلامى وحواشيه التى كتبها الأمير شكيب أرسلان وخلاصة
تاريخ الأندلس وكتاب الخلافة الإسلامية ، كما قدم لكتب التراث : المغنى
والمحلى (ابن حزم) وإبرار البلاغة (الجرجاني) .

وقد استهل فاتحة المجلد السادس والعشرين فقال :

ان أهم ما طرأ فى هذا العلم أقدام النرك على نشر ترجمة القرآن
ونصدى حكومتهم الجمهورية لنشرها لأجل أن تحل محل القرآن العربى
الذى هو كلام الله تعالى ، فرأيت تحقيق الحق فى هذه المسألة فى نفسها
وبيان الباعث عليها ، مسألة الخلافة فى جميع وجوها (فى المجلدين
٢٣ ، ٢٤) .

وتحدث عن توسع المطبعة وإدارتها بقوة الكهرباء .

ويقول : سيكون أكبر همة فى المجلد السابع والعشرين موجهة
الى مجاهدة الملاحدة والاباحيين الذين نشطوا فى هذه الأيام فى تعميم دعوتهم
الى هدم العقائد والتجربة على الفواحش والزائل وتقطيع الروابط المليية
والقومية وإعداد الأمة لقبول السيطرة الأجنبية وجميع الفتن المادية حتى
انبلشفية والى مجاهدة البدع والخرافات القديمة التى ييئها أهل الطرق
النى تسمى صوفية وما ولدته من البدع الحديثة كالمسيحية القاديانية ،
وكل هذا من قبيل الهدم ثم الى تأييد دعوة الإصلاح وتجديد امر الإسلام

بالرجوع في عقائده وعباداته الى القرن الأول والاعتماد في قوته وعزته على فنون العصر الحاضر وهذا هو البناء المطلوب لعمله لا يتم الا في جزيرة العرب .

المجلد ٢٧ (١٣٢٤ هـ — ١٩٢٦ م)

الموضوعات الثلاث الكبرى التي ما تزال تشغل المنابر في مجال السياسة الاسلامية :

١ — الدولة التركية وموقفها من العرب والاسلام — حكم آل سعود لجزيرة العرب وموقف الشريف حسين وأولاده — دعاة الاتحاد في مصر وقضية كتاب الشيخ على عبد الرازق التي لم تنته وظهور قضية الشعر الجاهلي لطله حسين .

كما نشر صفحات مطوية للامام الشيخ محمد عبده ، وتصدى للنحلتين :

١ — البابية والبهائية في بلاد العرب .

٢ — القاديانية في البلاد العربية .

٣ — فتنة ملاحدة الترك في سوريا ومصر .

مع تحرير مفاهيم الوهابية والكشف عن اخطاء الباحثين بالنسبة لكعب الاحبار ووهب بن فيئة ومذهب دارون وبطلانه والتوفيق بين الدين والعلم .
كما اورد بحوثا حول ابن خلدون وعلم الاجتماع ، واحكام السفرة والاقامة لابن تيمه ومفتاوى حول صندوق التوفير في البريد ، وقضايا المجتمع : المرأة والحجاب ومحاربة البغاء .

كما عرض للمؤلفات الحديثة : كتاب مرآة الحرمين ، ونهاية الارب ، وكتايب الخضر حسين وبخيت المطيعي في الرد على كتاب الاسلام واصول الحكم لعلى عبد الرازق ، والموجز في علم الاجتماع ، ودروس في التاريخ الاسلامي ، ورجال المعلقات العشر وبلوغ العرب في احوال العرب ومن اهم الكتب التي صدرت في الرد على كتاب طه حسين كتاب مصطفى صادق الرافعي « اعجاز القرآن » .

وقد صدر السيد رشيد رضا هذا المجلد بحديث مستفيض عن احوال المسلمين فقال : بالامس خسر الاسلام دولة كانت مبدأ الاجيال الوسطى

في تاريخه ، وأشد دولة بأسا ، وهى دولة آل عثمان ، وخلفتها دولة تركية
هى أشد دول الأرض عداوة له ، واليوم تجدد له دولة جديدة هى أرض
دولة لتجديد هدايته وإعادة مجده ، اذا عرف سائر المسلمون كيف يؤيدونها
وينصرونها ويفيدونها ويعتدون منها هى الدولة العربية السعودية التى قامت
فى مهد الاسلام .

ثم قال : فرض الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكد أمره ،
ولعن تارك التناهى عن المنكرات التى يفعلها بعضهم فى كتبه وعلى السنة
رسله ، لئلا يترك المعروف ويفشسو المنكر فيصير كالمعروف فيختل أمر
الفضائل :

« ومن رأى منكم منكرا فليغيره » (الحديث) .

ترك المسلمون تغيير المنكر بالفعل بضعف الخلافة وصيروتها لقب
تشريف ثم ترك انكاره بالقول لفشوه فى الحكام المستبدين والزعماء الظالمين
وضعف الدين فى جماعات المسلمين الا قليلا منهم كانوا يظهرن ضيقا
ويخفون أحيانا ولا يجدون لهم شوكة ولا سلطانا .

حتى ظهر فى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة وأول ما بعده الإصلاح
الوهابى فى نجد قام به عالم نجدى اسمه (محمد بن عبد الوهاب) يدعو
الى التوحيد الخالص : وهو عبادة الله تعالى وحده بما شرعه للناس
فى كتابه وعلى لسان رسوله ، وقاومه الناس وآذوه كما آذوا من قبله
ومن بعده كل داغ الى الحق والخير ويسخر الله من الزعماء الأقوياء من آزره
حتى تأيد القول بالفعل وانتشرت دعوته الإصلاحية بقوة سيوم البيت
السعودى فى جزيرة العرب حتى استولوا على الحجاز وكادوا يجددون
للاسلام مجده وحضارته بمثل نهضته الأولى كما خرج بذلك كل من عرف
كنه حالهم من الشرقيين والغربيين لولا أن تصدت لهم الدولة العثمانية
فحاربهم فى جهة العراق والحجاز ولما عجزت عنهم استعانت عليهم بدولة
مصر الفتاة فحاربهم محمد على حتى أخرجهم من الحجاز ، ولم تكف الدولة
التركية وأعوانها بهذه الحرب بل أثارت عليهم حربا شرا منها راثام ،
وهى حرب الدعاية بالطعن فى عقائدهم وأعمالهم وتسمية سنتهم بدعة ،
وخيرهم شرا وعزفهم نكرا .

وكتب المنزلقون في ذلك الكتب والرسائل الكثيرة وأودعوها من فئون
الكذب والبهتان ما لا يخطر الا في بال الشيطان .

والقى رجال السلطان عبد الحميد الأخير الشقاق والعداوة
بين آل سعود وآل الرشيد في نجد وما زالوا يمدون ابن الرشيد بالسلاح
والمال الى أن تمكن من اخراج آل سعود من نجد واستولى على الرياض
عاصمة امارتهم حتى كان ما كان من نهضة عبد العزيز بن عبد الرحمن
الفصل المؤيد بنصر الله وتوفيته واستعادته لنجد ثم استيلاؤه على اماره
ابن الرشيد وعلى بلاد الاحساء وكل ما كان بيد الدول العثمانية من تلك البلاد
ثم على بلاد عسير ثم على المملكة الحجازية برمتها .

هذا هو الطور الجديد المرجو للاسلام ، وهذه هي الفرصة السانحة
لتجديد هديه واعادة مجده ، فهل يضيعها المسلمون كما اضاعوها اول مره .

وتحدث عن تضاعف الشكوى من انكار البدع والمحدثات التي شوهت
الاسلام في القرون الوسطى وتفاقت وطغى طوفانها في القرون الأخيرة
ونحدث عن بعض كتب التصوف المنحرفة مهاجمها وتحدث كيف تروج
في المسلمين الدعاية الظاهرة البطلان التي راجبت منذ قرن ونصف بأكاذيب
احمد زيني رحلان وامثاله عن الوهابيين والدعاية التي اذاعها الشريف
حسين واولاده في الطعن في الوهابية ، وأشار الى « ملاحدة الاتراك »
الذين يصمون الاسلام لانه عربى ، وقد رأى بعضهم أن تكون صورة الذئب
الاغبر شعارا لهم لان اجدادهم عبدوه وفدسوه في جياشيتهم الأولى وراينا
منهم من يفتخر بجينكيز خان وهولاكو خان أعداء البشر ومخربى العمران .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : الاديسى — شوكت على —

محمد على .

المجلد ٢٨ (١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م)

حفل هذا المجلد من المنار بدراسات واسعة في مختلف المجالات
وكان أبرز اهتمامات المنار بروز المملكة العربية السعودية ، ومعاهده جيدة
بين ملك الحجاز ونجد وبين انجلترا .

كما تحدث عن علاقات العرب والانجليز فتحدث عن سياسة الانجليز
في الشرق وزعماء العرب ونشر محاضرة مستر كراين عن جزيرة العرب.

كما أشار الى مشروع بريطانى لينصر جزيرة العرب وأشار الى العلاقات بين اليمن والحجاز .

وكشف عن بيان علاقة المنار بالوهابية والملك عبد العزيز ونشر فصولا من كتاب كشف الشبهات للامام محمد بن عبد الوهاب .

ونشر فصولا فى الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى ابن عبد الرازق ، كما نشر قرار النيابة فى قضية طه حسين ، كما تحدث فى فصول عن القاديانية الملقبة بالأحمدية وعرض لعدد من قضايا المجتمع مثل قانون الاحوال الشخصية والنهضة السائية والذى الاسلامى والربا وحقيته وسبب تحريمه ، وتعرض لمسألة القبور والمشاهد عند الشيعة ونشر خطاب النشاشيبي فى تكريم شوقي .

هذا بالاضافة الى الأبواب الثابتة : تفسير القرآن ومتاوى المنار (تعدد الزوجات ، تعدد زوجات النبی ، البيت الحرام ، سدنته وكسوة الكعبة ، تأويل آيات الصفات) وعرض للقرآن ووجوه الاعجاز والاسرائيليات وتحدث عن النهوض باللغة العربية ، وتحدث عن أتاتورك وحياته وأعماله فى تغريب تركيا ، وهاجم مجلة الحديث الحلبية (سامى الكيالى) فى مواقفه الثغريبية وفى هذا المجلد عرض تراجم لابن تيممه فى القديم وأحمد عباس الأزهري ، وسعد زغلول ، وأمين الرافعى .

وعرض السيد رشيد رضا فى افتتاحية المنار للموقف العام فقال :

لو كنا نعمل للمال لصانعنا رجال المال من الأمراء والجماعات كالأحزاب والحكومات ، ولو كنا نعمل للمال لاتبسنا أهواء الجماهير فى اختيار الهزل على الجد واثار الفساد على الإصلاح ونحمد الله أننا لم نسلك طريقا فى الإصلاح الخاص بالحكام الباذلين والأمراء والملوك والسلاطين والجماعات الدينية والسياسية . تلك سيرتنا فى نقد الحكومة الحميدة ثم فى التشنيع على الجمعية الاتحادية وحليفتها الحكومة الكمالية وفى جهاد الملك حسين بن على وأولاده وفى انكارنا على متبعى المذاهب من الشيوخ انجامدين ورجال الطرق الخرافين . وقد مرضت فى هذه الأيام شبهة تأييدنا للحكومة السعودية والطريقة الوهابية ، والمنار يدعو من أول نشأته الى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح فى عقائده الاسلامية وهدايته

كما يدعو الى فنون العصر وسنن الخلق في سياسته وقوته ، ولم يكن في ذلك الوقت ملك ولا سلطان يتهم بالطمع في مساعدته بل لم يكن يومئذ يعلم أن الوهابية يعتصمون بمذهب السلف بل كنا نصدق الدعاية التركية التي ذاعت في العالم منذ القرن الثالث عشر من أن الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنة وأهلها وأول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون أرادوا إعادة هداية الاسلام الى عهدنا الأول هو محمد مسعود بك الكاتب المصرى ثم قرأت ما كتبه في نشأتهم مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الأزهرى ثم ما كتبه محمود فهمى المهندس المصرى في كتابه البحر الزاخر ثم صاحب الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى ثم ما كتبه الشيخ عبد الباسط الفاخورى مفتى بيروت في تاريخ الاسلام ، كما أنه أتيح لى الاطلاع في أثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للإمام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج واطلعت شيخنا الإمام على ذلك .

المجلد ٢٩ (١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م)

ما تزال قضايا النفوذ الأجنبى في العالم الاسلامى وآثار الاستعمار في عديد من دول الاسلام هي الشغل الشاغل للنار ، وفي مقدمتها الدولة التركية العلمانية وأعمالها في القضاء على روح الاسلام في الأتراك وأثر ذلك في البلاد الاسلامية الأخرى حيث ظهرت جماعات فيها تدعو بدعوته وما ظهر في مصر من كتابات وصحف تؤازر هذا الاتجاه التغريبي وخاصة كتابى طه حسين (الشعر الجاهلى) وعلى عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) وكتابات سلامة موسى ومحمود عزمى في نفس الاتجاه ومجلة الرابطة الشرقية ومقالاتها المسمومة .

وامتداد هذا الأثر الى فارس وأفغان حيث يتحدث السيد رشيد رضا عن الحكومات اللادينية في الترك وفارس وأفغانستان ، كما يتحدث عن الانجليز وتنصير مسلمى السودان والمؤتمر الاسلامى العام في القدس من أجل قضية فلسطين وغزو الصهيونية لها وما يسمى الوطن القسوى لليهود ، ومفتنة اليهود بانزاع جدار المسجد الأقصى وخطر هجوم الكمايين على الاسلام يتمثل في استبدال الحروف العربية بحروف لاتينية وأحاديثه

عن السنة والشيعة ، والوهابية والرافضة ، ورسائل اخوان الصفا ونظرية النصارى فى خطيئة آدم ، والرد على الاحمدية خلفاء القاديانية وترجمة محمد على اللاهورى للقرآن ، وفيما يتعلق بالازهر أورد مذكرة المراهى فى اصلاح الازهر ، وتحدث عن الاصلاح فيه والتعليم ، ومطاعن البشربة على الاسلام ورد سيف الرحمن اللورد هدلى واحاديث عن الوهابية والصحنى النمىوى يحى بك كيف صار مسلما ، واحاديث عن الماسونية واستحضار الارواح والمرأة المسلمة ونهضتها الحاضرة ، كما عرض لقضايا مقارنات الاديان والبروتستانت والكاثوليك .

وقد حفل العام بأسماء كثيرة من المعاصرين جاء ذكرها ، منها الامام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود والشيخ المراهى واحمد ابراهيم وسعد زغلول ومحمود شكرى الالوسى والامير شكيب ارسلان وسليم البخارى وسيد امير على والشريف حسين وعبد الرحمن الدمرداش وعبد العزيز جاويش وعلى سرور الزنكونى ، وجاءت ردود على كتابات طه حسين وعارف الزين وهيكى وسلامة موسى .

كما عرض المنار لامكار عدد من علماء الاسلام : ابن تيمية وابن القيم واحمد بن حنبل والبخارى واحاديث عن الصحيحين وأبو هريرة .

وقد افتتح المجلد التاسع والعشرون بحديث عن مدينة أوربا الآدمية فقال أنها لا تجد لها منقذا من الهلاك القريب فى التنازع بين عباد المال والشيوعيين وفى الاسراف فى الشهوات والمطامع الا بدين القرآن فعلى المؤمنين الراسخين أن يعجلوا بانقاذها به قبل أن تقضى هى على ما بقى لهم من ملك وثروة وقوة :

ويقول : « ان الاسلام لا يزال قوة عظيمة فى الشرق كله اذا وجد لها زعماء جامعون بين العقل والعلم والحزم فانه يمكنهم أن يحفظوه ويرقوه ويحفظوا له بقية بلاده ويستفيدوا الكثير مما فقد منها بل يمكنهم أن يحلوا به عقدة مشكلة المدنية الكبرى ويعمموا نشره فى بلاد الغرب كلها ، اقول هذا عن علم وخبرة اكتسبها فى بحث استمر زهاء ثلث قرن ولما أجد لها الزعماء الصالحين لتنفيذها ، وكان شيخنا الأستاذ الامام موقنا بهذا وصرح به

في الدرس العام بالجامع الأزهر وكان مثله حكيم الاسلام والشرق السيد جمال الدين موقنا بهذا ويحاول أن يكون بسعيه ، وما أحبط سعى هؤلاء كلهم الا الدولة البريطانية وهي تحاول احباط عمل كل عامل يعمل للاسلام ايضا ما استطاعت ولكن الزمان قد اختلف .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : سيد امير على — سليم البخارى — عبد الرحيم الدمرداش .

المجلد ٢٠ (١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م)

سيطرت ثورة فلسطين على قضايا العالم الاسلامي ، ووجدت الحديث عن اليهود والانجليز والغرب والماسونية والجزويت واليهود والكنيسة وملك اليهود وهيكلم ، وحديث عن الاسلام وآراء بعض علماء الافرنج فيه وانتشاره في قرن فوق انتشار النصرانية في عشر قرون وجهاد أوروبا له بالسلاح والعلم والسياسة للدلالة منه ، وقد حفل المجلد بكتابات أسماء لامعة منها الأمير شكيب أرسلان عن ما يقال عن الاسلام في أوروبا ووجوب اطلاع المسلمين عليه ، ومحاضرات عجاج نويهض عن النهضة الاسلامية ، وأحاديث للمستشرق مونتيه الذي ترجم معاني القرآن وكتب عن السنة النبوية ، كما عرض لكتاب درفيحم عن النبي محمد (حياة محمد) وحديث عن طنطاوى جوهرى وتفسيره ورد الشيخ طنطاوى ومساجلة عاصفة بين رشيد رضا ومحمود عزمى حول مساواة المرأة والرجل في الحقوق والواجبات .

وقد أولى الشيخ رشيد رضا اهتمامه بالخلافات بين السنة والشيعة بمناسبة الخلافة الجديد الوهابية والرافضة ، كما أورد سيرة شيخ السلام ابن تيميه ، وعرض تاريخ حروف الكتابة ، وعن المدارس والجمع بين الجنسين وتعليم أبناء المسلمين في المدارس الأجنبية ، كما تحدث عن نظرية دارون وموقف الاسلام منها ، وفي المحاورات الخاصة بمقارنات الأديان تحدث عن الثالوث ، ونصرانية الافرنج ولماذا لا يسلمون وهمسة القرآن علي التوراة والإنجيل ، كما تحدث عن حقيقة الربا وأحاديث عن اسحاقيل باشا وادخاله القوانين الفرنسية في مصر ، وعرض لآراء بعض المستشرقين عن الاسلام والرد عليه ، كما عرض رأي تولستوي وعقيدته

في المسيحية ، والصوفية وأخطائهم ، ولم يتوقف عن أحاديث الأزهر والتعليم فيه .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : المراغى — أمين سامى .

وقد افتتح المجلد الثلاثين بقوله : نحمد الله أن قدرنا على استمرار إصداره في تلك السنين النحسات ونرجو من فضل الله تعالى أن تثبت على هذا التاريخ في إصداره ما دمنا متمتعين بالصحة بعد أن من علينا بدار صالحة للسكنى والطبعة ، نذكر القراء في فاتحة المجلدين الثلاثين أن الحملة على الاسلام قد اشتدت في هذا العهد من خصومة في الداخل والخارج ، أعنى من قبل دول الاستعمار ودعاة النصرانية وهم طلائعها ومن أعوانهم وأنصارهم وتلاميذهم في البلاد الاسلامية نفسها ، ولست أعنى بهؤلاء من يستخدمهم المبشرون من نصارى القبط والسوريون والأرمن وغيرهم بل أعنى من هم أشر منهم وأضر ، من ملاحدة المسلمين من الترك والایرانیين والأفغانیین ، ودعاتهم وأخوانهم من المصريين وأشباههم من السوريين والعراقيين ومن الهنود والأمريقيين وسائر الشعوب الاسلامية الذين سممهم التربية الافرنجية وأفسدتهم الآراء المادية وجنى عليهم الاسراف في الشهوات البدنية ، ونحن نطلق لقب الانحاد على كل من يسمى خطية هؤلاء الكماليين الى نبذ الشريعة الاسلامية برمتها من حكومتهم والتمهيد لمحو عقائد الاسلام وآدابه وعباداته من نابذة شعبهم ، بمنع اللغة العربية جميع بلادهم وترجمة القرآن لا تؤدي حقائق معانية من لغتهم ، وكتابته كغيره بالحروف اللاتينية للاجهاز على الفاظه وأساليبه المعجزة ، بل كل من يسمى هذه الخطية اصلاحا ويحسنها ويدعو اليها فهو عدو للاسلام وولى لأعدائه ، وعداوة الاسلام أعم من الارتداد عنه والكفر به ، فان كان مع هذا زنديقا يدعى الاسلام ويخفى الكفر فافساده أعم ، وأكبر من افساد الكافر الاصلى المرتد لأن الجاهلين بحقائق الاسلام من المسلمين يغترون بكلامه فيفتنهم عن دينهم .

ويقول : ملاحدة بلدنا طبقات : المجاهرون بالكفر والصد عن الدين ،

منهم صاحب مجلة ومطبعة في مصر (١) معروف وفي حلب مجلة حديثة (٢) ومنهم أحد محرري الجرائد اليومية المأجورين (٣) الذي كتب مقالات في تنقيح النص في الدستور المصرى على جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الاسلام وطلب أن تكون حكومة معطلة (لا دينية) مقالات في سنن قانون مدنى للأحوال الشخصية ، لا يتقيد فيه بشيء من الأحكام الشرعية . وقد كان من أركان محررى السياسة ، ويقال ان له صلة وعلاقة ببعض جماعات اليهود ، وأفراد هذه الطبقة لا يدعون التدين ولا يتمتعون بالتعطيل ومنهم من يفخر بذلك . . أما الطبقة الثانية فهم الزنادقة الذين يظهرون الاسلام ويمتعون اذا وصسفوا بالزيغ والالحاد وهم مع ذلك يضعون في أصوله ويجحدون بعض ما هو مجمع عليه ومعلوم بالضرورة ويشككون في آيات القرآن . (الطبقة الثالثة) الفماليج اللامعون من مرضى القلوب المقلدين ، الذين يشايعون المؤمنين كما لو كانوا معهم ويجارون الملحدين اذا وجدوا بينهم .

ومما يثبت بالخبر المستفيض أن من أفراد أولئك الملاحدة دعاة للكفر وسعاة للصد عن الاسلام ، ومنهم من يأخذ على ذلك جعلاً من جمعيات التبشير بالنصرانية ومنهم يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ أجره منها ، وكان الشيخ محمد مهدي وكيل مدرسة القضاء الشرعى أول من أنبأنى أنه يوجد في مصر جماعة تتعاون على الصد عن الاسلام بالطعن في شريعة وفي حكومة وفي لغة وفي أئمة الاسلام وفي كل من نوه بهم التاريخ من الخلفاء وكبار العلماء والأدباء ثم ظهرت آثارهم في بعض الصحف العامة وفيها نشروا من المصنفات الخاصة ، ولقد كادت الوزارة الائتلافية تسقط بانتصار أعظم أركانها لمؤلف ذلك الكتاب الرجس الذى جهر ملفقه بالطعن في القرآن ترجيعاً لأصوات بعض أعوانه من المبشرين بالانجيل (٤) وقد علم الجمهور انه تألف في مصر حزب لحرية الفكر ، كان الملاحدة هم المؤسسين له بالطبع من حيث لا يدري كثير ممن انتظم في سلكه ، وقد

(١) سلامة موسى . (٢) سامى الكيالى .

(٣) محمود عزمى . (٤) طه حسين .

نشرت جريدة السياسة الاسبوعية (مارس ١٩٢٨) مقالا لأحد أركانهم صرح فيه بأنه يوجد في مصر تعصب ديني (اسلامي) ضار وأن جماعة كانوا الفوا حزبا ولما ألفت في مصر جمعية الشبان المسلمين عارضوها بتأليف جمعية الشبان المصريين ، واختاروا لها من يكبر شأنها ويلقى المحاضرات في ناديها ، وليس الالحاد في مصر حديث العهد بل نبت قرنه من القرنج منذ أكثر من قرن ومازال يرتفع ويقوى حتى طمع اهله باطفاء نور الدين وقد فسد الأستاذ الامام جهالتهم ببعض مقالاته في الوقائع الرسمية . وأشد خطرا ما فاه به بعض الملاحدة في مجلس النواب من الطعن في الشرع وفي نفس القرآن اذ قال فض الله فاه : انه لا يحترم أو قال يحتقر كتابا يبيح تعدد الزوجات . ولكن هذا الماكن الاباحى لا يحتقر قانونا يبيح الزنا للرجل والنسوان وتعدد البغايا والأخدان ، وطلب أحدهم وقف الجلسة بضع دقائق لأداء صلاة المغرب وكان تصریحهم بأن يمنعوا الصلاة مطلقا أو في هذا المجلس . وقد تألفت الأحزاب وتعاونت الجمعيات على بث الدعوة الى الاباحية والالحاد ونشرت الجرائد والمجلات مقالاتهم المسوخة ونشرت الكتب الملعونة لا فرق بين ملاحدة الترك وملاحدة هذا البلد الا أن أولئك أوتوا قوة عسكرية ، وما فعله ملاحدة الترك والافغان وايران سرت عدواه الى كل قطر وهو الذى اطمع المستعمرين ودعاة النصرانية في اوربا بالاجهاز على الاسلام وتجديد النصرانية وتعزيزها في الغرب والشرق :

(١) عقد دعاة البروتستانتية من الانجليز وغيرهم مؤتمرا بعد آخر في القدس يهد النصرانية للتشاور في تعميم تنصير المسلمين : وقالت صحيفة في لندن انه لم يبق للاسلام رسوخ ولا ثبات الا في جزيرة العرب وانها تحتاج الى مائة مبشر من المجاهدين لنشر النصرانية في هذه الجزيرة والقضاء عليه في مهده الاول .

(٢) أعادت الدولة الفرنسية للجمعيات الكاثوليكية ما كانت صادرة من أموالها وأوقافها تنشيطا لها على نشر النصرانية في مستعمراتها الامريقية وسوريا .

(٣) ألفت كتب جديدة باللغة الفرنسية وغيرها في الطعن في الاسلام والحث على تنصير المسلمين والعرب بالقهر والاكراه .

(٤) صالحت الدولة الايطالية دولة الفاتيكان الكاثوليكية واعادتها

للبابا سلطانه السياسى فى دائرته ومئات الملايين مما كانت أوقفته من أموال دولة الكنيسة الرومانسية بعض ساستها .

(٥) نشطت الجمعيات التى تدعو الى توحيد كنائس المذاهب النصرانية فى الشرق والغرب وسارت فى سعيها خطوات الى الامام

(٦) ان حركة تجديد الدين فى انجلترا تلقى فى العناية حركة ايطالية باقتراح تعديل كتاب الصلاة المتبع فى الكنيسة الرسمة .

(٧) مسألة فوضى النساء التى تعبر عن رعايتها بتحرير المرأة وتفضيل تهتكها المعبر عنه بالشعور على حياتها وعقلها المعبر عنه بالحجاب فقد أصبح النساء من ربات البيوت ومن العذارى المتعلمات يمشين فى الشوارع بالليل والنهار مخاضرات للرجال ويغشين الملاحى والمنفزهات ومنهن من يسبحن فى البحر ويختلفن الى المراقصة وهن أشد من الأجنيات عريا وتهتكنا . ان خصوم الاسلام القاعدين له فى كل مرصد يضحكون سرورا مما أصابه من الخزي بأهله الذين يمهّدون لهم السبيل لاستعبادهم والاستعمار لسائر بلادهم .

المجلد ٣١ (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م)

تسيطر على المجلد الحادى والثلاثين قضايا عديدة أهمها قضايا العالم الاسلامى فى مواجهة النفوذ الأجنبى وقد كانت مسألة المغرب وفرنسا . وصدور الظهير البربرى الذى يحاول أن يعزل جماعة البربر المسلمين عن اخوتهم على أساس أنهم من جنس آخر ولهم مدارسهم ومحاكمهم ولهجتهم وقد أفاض المنار فى الكشف عن زيف هذه المحاولة وقد وجه علماء المسلمين من جمعية الشبان المسلمين نداء الى ملوك الاسلام ورؤسائه شجبا لهذه المحاولة وقع عليه محمد شاكر ، رشيد رضا ، عبد الحميد سعيد ، خليل الخالدى ، أبو بكر يحيى ، جلال الحسينى ، على سرور الزنكونى ، محمود أبو العيون ، محمود شلتوت ، ميزرا مهدى رفيع مشبكى ، محمد عبد اللطيف دراز ، محمود الفمراوى ، عبد المجيد الربيعى ، يحيى أحمد الدرديرى ، محب الدين الخطيب ، صالح جودت الجامى ، طيطاوى جوهري ، عبد الصمد شرف الهندي ، محمد الهلباوى ، محميد يونيس الإنديسى ، الفاروقى ، السيد محمد عفيفى . وأجاديث . عن محاولة

فرنسا لنصرهم وموقف ايطاليا من مسلمى طرابلس الغرب ، وقد حفلت
المنار بأحاديث وكتابات عن اعلام الاسلام فى العصر :

الامير شكيب ارسلان يكتب عن « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم
غيرهم » .

الشرىف حسين وفاته وتركته ، أحمد تيمور رثائه ومعلمته للبنوك ،
أمان الله خان ، أحمد عرفان المصلح الهندى ، أمان الله خان ، أمين الجسيلي
مفتى فلسطين ، جمال الدين وتجديده للأمة ، الخديو والإسبستان الإمام ،
محمد علي وثيسوكيت علي ، علي سرور الزنكلوني ودروسه فى الأزهر ،
المراغى ومجلة الأزهر .

وأحاديث عن القاديانية والدعاية لها فى سوريا ، والمسيحية
واليهودية ، والمبشرون .

وأحاديث عن الشيعة والسنة ومناظرة فى خلافهما والوهابية عقيدتها
ومذهبها .

وأحاديث عن الأزهر ، ويوسف الدجوى ومقاومه .

وأوراق قديمة لم تنشر عن جمعية العروة الوثقى وسياستها وأصول
نظامها .

وقد شغلت المنار بقضايا التغريب والغزو الثقافى. فتحدثت عن مذهب
دارون ونقضه ، وعن الرنادقة والملاحدة ، وبدع أهل الطريق ، وحديث
عن التجديد والمجددون ، والرافضة وتحريفهم لاية القرآن .

وأحاديث أخرى عن الثورة الهندية. التاريخية وأسبابها ، وجزيرة
العرب وروسية البلشفية واضطهادها للمسلمين وأحوال مسلمى الصين
والترك وتهديدهم للإسلام .

كما خصصت أحاديث عن الربا ، وعن مساواة المرأة والرجل
فى الميراث ، مناظرة مع محمود عزمى ، وأحاديث عن الإمام ابن تيمية
عن جمع كلمة المسلمين تحت قاعدة أهل السنة والجماعة ، وأحاديث
عن الشريعة الإسلامية وتسخير الشريعة المحمدية لها قبلها ، وترجمة الإمام

أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر بقلم الأستاذ أبو الحسن
النسبوى .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلة بكلمة جامعة قال فيها :
ان أنصار الجهود والبدع المؤفة وحماة التقاليد المألوفة ممن سباهم
الأستاذ الامام حملة العباءم وسكنة الاثواب العباءم قد أثار بعضهم
فى هذا العهد عصبية مذهبية هى أضر على المسلمين من أثرة القبط عليهم
فى مصالح الحكومة ، ومن نرىقى المبشرين والملاحدة .

وقد طارت رىح الطيش بلب داعية قبطى كان أول من عاب الاسلام
وقال بتفضيل الذكور على الاناث فى الميراث ودعا المسلمين الى نبذ
الفرائض المقررة فى نصوص القرآن ، وهناك من عمل على اثارة العصبية
الجنسية الفرعونية .

وتحدث عن « مذهب السلف » فقال : أعلى الله مناره وأعز مهاجرته
وأنصاره. وأنشائه دولة وجعل له صولة ، وتعددت جمعياته وصحفه وكثرت
وسائله وكتبه ، فتضاءلت أمام التأويلات الكلامية والتقاليد الخرافية ولا خوف
على طريقة الأستاذ الامام فى الاصلاح بمعد ان اتفقت الكلمة على امامته
وانكشف بموته الحجب التى كانت مضروبة أمام جلالته من استبداد أمير
وحد شيخ كبير وتقليد غير جاهل .

ويقول : يهاجم الاسلام فى هذا العصر جيشان قويان من محافل انكر
اقوامها جيش الملاحدة الذين صار لهم دولة ، وان كانت واحدة (تركيا)
وأضعفهما جيش المبشرين وان كان لهم دول متعددة ، فيجب على أهل العلم
وحملة الأقلام من المسلمين الاتحاد والتعاون للجهاد فى هذا السبيل ،
سبيل الله بدلا من اضعاف الاسلام بالعصبية المذهبية التى كانت آخر علتة
فى عهد قوته من كل أعدائه من الكفار .

وقال السيد رشيد رضا : ان خدمة الجم العديد من علماء الأزهر
وغيرهم من المصنفين فى العلوم الاسلامية المختلفة ، منذ عدة قرون للاسلام
لتصغر وتتضاءل فى جانب خدمة هذا الرجل وأستاذة ، فان علومهم
ومصنفاتهم كانت فى العهد الذى تهدم فيه ملك الاسلام وضعفت هدايته

ولم يكن لها أقل تأثير في العلم والعمل لأنها كلها مباحث لفظية » .

وفي خاتمة المجلد ذكر محرر المنار : « ان سوق الكتب في كساد الا كتب المجون والخلاعة والخرافات ومكتبة المنار خالية منها وكتب المدارس وأكثرها محتكرة او كالمحتكرة » .

● ترجم صاحب المنار في هذا العدد لوفاة : الشريف حسين — أحمد عرفان — شوكت على .

المجلد ٣٢ (١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م)

كان أبرز أحداث هذا العام انعقاد المؤتمر الاسلامى العام فى بيت المقدس الذى دعى اليه عدد ضخم من أعلام الفكر الاسلامى وشارك فيه صاحب المنار بدور بارز وتابع صاحب المنار أحاديثه وأبحاثه فى مختلف المجالات الاسلامية سياسية وتربوية واجتماعية وتحدث عن عدة قضايا هامة :

- ١ — تعلم اولاد المسلمين فى المدارس اللادينية أو مدارس النصرانية .
 - ٢ — ترجمة القرآن وكون العربية لغة الاسلام .
 - ٣ — المناظرة بين اهل السنة والشيعة .
 - ٤ — دراسة عن المرأة تحت اسم « نداء الى الجنس اللطيف » .
 - ٥ — أخطر حادث فى وزارة المعارف وهو أخراج طه حسين وخروج لطفى السيد .
 - ٦ — موضوع البغواء الرسمى .
 - ٧ — الاحتفال بذكرى معركة حطين .
- وقد اتسع نطاق الرد على الغزو الفكرى وقضايا التغريب الذى ظهر واضحا فى عديد من الأبحاث منها :

- ١ — انكار الوحي ورأى الماديين واستعراض لرأى مونيه ودومنجم .
- ٢ — الرد على كتاب محمود أبو زيد تحت عنوان « دين جديد من الباطنية والاسلام » .
- ٣ — تقرير ونقد شكيب أرسلان لتاريخ الأستاذ الامام وتعليق رشيد رضا .
- ٤ — الرد على الأستاذ يوسف الدجوى فى جملة قضايا .

٥ — تصحيح موقف الشيخ محمد عبده مما ورد في مذكرات بلنت
عن الحدوث والعدم .

كما تناولت الدراسات وفيات الأعيان :
محمد توفيق البكري ، أحمد شوقي ، حافظ إبراهيم .

وأحاديث أخرى عن كتاب عزى عن الإسلام والمسجد من مبشر أسلم
(الانجيل والصليب) وقد أولت المنار اهتمامها بالجماعات الإسلامية فتحدثت
عن جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية :

قال السيد رشيد : « عندما هاجرت الى مصر في منتصف ١٣١٥ هـ
لم أجد فيها غيرها (اسماعيل عاصم ، زكى الدين سند خطيب الجمعية
والمؤسس لها ، ثم أسسنا جمعية شمس الإسلام ، ونقلت الجمعية الى حي
شبرا لمقاومة دعاة النصرانية فيها اذ كثرت جمعياتهم وتصديهم لاغواء عوام
المسلمين ومجلتها مكارم الأخلاق الإسلامية كما عرض لجمعية علماء المسلمين
في الجزائر بزعامة الشيخ عبد الحميد باديس ومجلتها « الشهاب » وأشار
الى أعضائها أمثال الطيب العقبي وسعيد الزهراوى .

ولم ينس معارضته الشديدة للطرق الصوفية وقد تعرضت للنقد
الطريقتين التيجانية والشاذلية .

وقد استصرخ السيد رشيد رضا قراء المنار فى افتتاحيته لأداء حقوقه
المطولة منهم متقوصا منها خمسها فنصفها لثلاث تضطره العسرة والفراغة
الى ترك اصدار المنار هذا العام فلم يرسل أحد منهم درهما ولا دينارا
يقول : « وانى قد حبست نفسى هذه الثلاثة أشهر على اتمام تاريخ الأ-تاذ
الامام لم أكتب فيها غيره عسى أن أجد من ثمنه ما أنفق منه على اصدار المنار
ولا تقبل بعد صدور هذا الجزء حقنا الا تاما ولا نغفو منه شيئا ولا نشكوها
الا الى الله عز وجل وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » . .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لوفاء : حافظ إبراهيم ، أحمد
شوقي ، محمد توفيق البكري .

المجلد ٣٣ (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م)

أحداث المغرب (تونس والجزائر ومراكش) تكاد تكون أبرز الأحداث السياسية في هذه المرحلة ، وخاصة فيما يتعلق بالظهير البربري الذي يحاول أن يفرض الجنسية الفرنسية على البربر في المغرب ، وهو ما سبق قيام فرنسا به بالنسبة لتونس ، ويجرى هذا مع اتساع التبشير والتنصير في مصر ، ويجرى الحديث حول الاسلام ووثنية الهند ، وعن الاستشراق وأخطاره الجديدة ، ومسائل أخرى عن النصرانية والصليب والرد عليها وأحاديث البهائية والقاديانية وموقفهما من الوحي والنبوة والألوهية ، هذا في الوقت الذي يجري الحديث فيه عن لبنان بوصفها وطن مسيحي وفي نفس الوقت الذي تستعرض الأوضاع في المملكة العربية السعودية وقد أولى السيد رشيد رضا القضايا الفكرية اهتماما واسعا .

فنشر فصولا من كتاب لغربي أسلم عن الانجيل والصليب ، ورد على كتاب فريد وجدي (الاسلام دين عام خالد) متقصيا بعض آرائه ونشر مقدمة كتاب (نقض ملامح القرآن الكريم) للشيخ محمد عرفة الذي رد به على شبهات طه حسين ، وقدم نقدا لوثنية الهند ولزعامة غاندي ، وتحدث عن طه حسين وأخطائه ، وقدم عرضا لكتاب حاضر العالم الاسلامي الهندي ترجمة عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان .

وهناك حديث واسع عن تاريخ الدولة الهاشمية بمناسبة وفاة الملك فيصل بن الحسين ملك العراق ، كما عرض لدائرة المعارف الاسلامية وأخطائها ، وتحدث عن قضية رجال الكنيسة في ألمانيا الذين تحدوا الحكم النازي وعرض لثورة المرأة الاباحية وخطورها على الأسرة فالامة .

ولم يغفل حديثه عن أخطاء التصوف الفلسفي والهندي فعرض للشعراني والتيجاني وقدم عرضا لحياة كل من الشيخ محمد أمين الشنقطي والسيد أحمد شريف السنوسي بمناسبة وفاتهما .



واستهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الثالث والثلاثون من المنار ببيان موقف العالم الاسلامي أمام أوروبا في طورها الجديد بعد الحرب الكبرى التي كان الغبن الأكبر فيها على الشعوب الإسلامية العربية ، التي ساعدت

أعداءها من دول أوربا والربح للشعوب الأعجمية التي عادت لها وهم الترك والتي ألزمت الحياد وهم الأفغانيون والإيرانيون .

وقال : ان الترك كونوا من انقراض الدولة العثمانية دولة جمهورية مستقلة تعنى أشد العناية بالقوة العسكرية وال عمران المادى ولكنها الحادية (لا دينية) ترهق روح الشعب الدينى ولا يحيا شعب بغير دين وروح الاسلام كامنة فى الشعب التركى ستظهر بقوة عظيمة يفجرها الضغط عند انتهاء حده . أما الأفغان فشرعوا فى عهد الملك السابق أمان الله خان يقلدون الجمهورية التركية فى الالحاد وفى تقليد الافرنچ فى الحضارة المادية فآدال الله من الملك نادر خان ، أما الفرس الإيرانيون فهم وسط بين الأفغان والترك ، والدول الثلاث استنفادت من ضعف دول أوربا ونم لها استقلالها بعد الحرب العظمى والبلاد التركية يهددها من الخطر المعنوى وقومها بين أوربا الرأسمالية والروسية والشيوعية أما شعوب المسلمين الأعجمية التى ليس لها دول اسلامية ففيها يقظة ونهضة علمية أقواها فى الهند ومسلموها زهاء ثمانين مليوناً ولكن الوثنيين فى جملتهم أكبر عبداً وثروة وعلماً وأوسطها فى جاوة وما حولها من الجزائر الأندونيسية والمسلمون فيها الأكثرية الساحقة (٦٠ مليوناً) وهم أقل جرأة من الهند لضغط هولندا عليهم وأدناها فى الصين ومسلموها يزيدون على مسلمى جاوة عدداً ولكنهم قليل فى الوثنيين الذين يزيدون على أربعمئة مليون ، أما المسلمون فهم أرومة الإسلام الأولى ، يملكون شطر قارة إفريقيا الشمالى كله من مراکش الى مصر وشطر آسيا العربى ما بين المحيط الهندى وخليج فارس والبحر المتوسط ويبلغون زهاء مائة مليون وهم أشد شعوب الأرض خضوعاً للدولتين الظالمتين (انكلترا وفرنسا) اللتين احتلتا بلاد العرب الخصبة وأطاحت بجزيرة العرب وجعلتها تحت نفوذها ، أما غرب البلاد الاغريقية الذين بذلوا من أموالهم ورجالهم فى مساعدة انكلترا وفرنسا فقد جزيأهم بشدة الضغط والحرمان .

ويقول : الاسلام لا توجد له فى هذا العصر دولة تقيمه وتكفله وتجدد قوته وعمله ولا شعب يهتدى به وينشره ، وينهض بحضارته ولا مدرسة تربى النشء عليه وتعلمه وتباضل عنه ، ولا جمعيات غنية تجده وتظهره

للأهم الحية وما فيه من العلاج لادواء البشر في حضارتهم ، أما المركز الطبيعى الحقيق بالتجديد الاسلامى فهو المركز الذى اشرق منه نور الاسلام وهو الحجاز وسياحه في جزيرة العرب .

● ترجم صاحب المنار في هذا العدد لوفاة : محمد أمين الشنتيطى ، أحمد الشريف السنوسى .

المجلد ٣٤ (١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م)

في هذا المجلد الأخير من المنار كانت جزيرة العرب والوحدة العربية والسعى الذى قام به رشيد رضا مع بعض قادة الاسلام لعقد الاتفاق بين الامامين ملك السعودية وامام اليمن ومعاودة الطائف هو أبرز حديث وهناك أحاديث عن تركيا الكمالية والشريف حسين وأولاده والملك عند العزيز آل سعود .

وهناك تذكير دائم بشر الصهيونية (ويل للعرب من شر قد اُمترب) وحديث عن الشقاق بين العرب وعن قضية فلسطين ، ثم حديث آخر عن حركة النازى اللادينية وشجاعة الفاتيكان وغاية مصطفى كمال من مراحل خطبة الملك عبد العزيز في وفود الحج ١٣٥٣ وحديث عن ثورة الأزهر وعودة الأستاذ المراغى شيخاً للأزهر وخليج العقبة الحجازى ومطمع الانجليز فيه .

ثم أحاديث عن الاستشراق ، وعن التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى ونقد كتاب الشيخ ابو زيد وكتاب حياة محمد ومقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة ، وكتاب مسائل الامام أحمد ومباحث الربا والأحكام المالية ومتابعة دائرة المعارف الاسلامية ومفاسدها ونقد كتاب جزوينى لكتاب الوحى المحمدى في مجلة المشرق (اليسوعية) والرد عليه ومراجعة كتاب قواعد الحديث في مصطلح الحديث للقاسمى ، هذا بالإضافة الى فتاوى المنار عن أسئلة مثورة من كل مكان : حول ترجمة القرآن والأحاديث النبوية والعمل بالقرآن دون الأحاديث وقد وصل السيد رشيد رضا في تفسير القرآن الى سورة هود وسورة يوسف وقدم تفسير سورة الكوثر والكافرون والاخلاص والمعوذتين (ومقدمة في تفسير الفاتحة وخواتيم القرآن منقولة من تفسير الشيخ محمد عبيد) .

● وقدم تابين أحمد زكى باشا شيخ العروبة .

وقد افتتح السيد رشيد رضا المجند الرابع والثلاثون بحديث مطول ذكر فيه حال الشعوب الاسلامية بعد حرب الامم الكبرى ، راغباً في أن يجعلوا نصب أعينهم ما وقع على بعضها من الغبن والخسار وما أصاب بعضها من الربح والانتعاش وما هي عرضة له تجاه دول الاستعمار وأشار الى وطأة دولتي الاستعمار الكبيرتين على الشعوب العربية التي نصرتها في الحرب وجاهدت معها بأموالها وأنفسها وكانت أشد وطأة على الشعوب الأعجمية التي قابلتها والتي سالتها .

يقول : ان انكلترا لا تزال مثلة في ارهاق عرب فلسطين وانزاع وطنهم منهم واعطائه لليهود الصهيونيين ليجدد لهؤلاء ملكاً في قلب البلاد العربية حاجزا بين مصر وبين الحجاز وفلسطين ، وان فرنسا لا تزال جادة في جعل عرب سوريا ملأ متفاوتة في الدين وشعوباً متفرقة في الدنيا وقصره على ابقاء الاكثريين من المسلمين محصورين في سجون المدائن الأربع .

ولم تكن انكلترا في وقت ولا في مكان شراراً من فرنسا وأظلم بما هي الآن في « فلسطين » ولا تزال انكلترا تملك فلسطين الأمة العربية بروز الفاتح القاهر والمستعمر القاهر تنازعها حقوقها القومية والدينية في جزيرتها المقدسة بأساليب دسائسها وكيدها المعروفة . وقد خدع الامام يحيى حتى غلبته على طبعه في شدة الحذر من الانكليز فامضى لها معاهدة أقرها فيها على حمايتها للمقاطعات اليمانية التسع (أربعون سنة) وانها لتمكن لنفسها النفوذ في منطقة شرق الاردن بحيلة الانتداب وفي العقبة الحجازية التي سلبت من الحجاز بعد عقد صك الانتداب . هذه الجراة من الدولة الأجنبية على عداوة العرب والاسلام ستكون من أكبر أسباب زوال سلطاتها في الشرق الأدنى والشرق الأوسط وان خليج العقبة لهو أكبر هذه الأسباب ثم أشار الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان .

وقال : ان التفرق في البلاد العربية والشعوب الاسلامية لا يدوم ، وأشار الى شعب التركستان الصيني وكيف استقل بعد ثورة حامية الوطيس .

ثم قال : ان القرآن شمل نوره السلام كله حتى حجبته المسلمون

عن أنفسهم وعن سائر الناس ووضعوا مصباحه المضيء بنور الله تحت المكيال — كما قال السيد المسيح عليه السلام — ولكن قد سخر الله المصلحين في هذا العهد لكشف المكيال عنه وتوجيه أبصار العقلاء الى اقتباس النور منه ، الا وأن هذا القرآن شمس الله المشرقة لهداية جميع الأمم ومأدبته المنصوبة لتغذية جميع البشر وان بعض علماء الافرنج المستقلين في العقل والرأى ليقولون في هدايته ما يدعمون به قولهم اليه ، وان دولة اليابان الشرقية كانت آخر من مطن له ، وستكون العاقبة في سيادة الأرض لمن سبق الى الاهتداء به .



ولقد توفي السيد رشيد رضا وهو يستعد لاعداد الجزء الاول من المجلد الخامس والثلاثين من المنار وقد كتب فعلا افتتاحية هذا المجلد التي نشرت في آخر المجلد الرابع والثلاثين فكانت ختام هذه الجولة الضخمة المباركة انتى قام عليها وتراه في العدد الأخير ما زال في حماسته وإيمانه وثقته بالدعوة التي يحمل لواءها يقول : ما قصر منشئ المنار في شيء كما وقف عليه حياته في خدمة الملة والأمة وأشار الى مقاصدها الجامعة في فاتحة العدد الأول بل شمر واستبق فكان له من التأييد عند خواص العقلاء العارفين بما أصاب الاسلام من الوهن والضعف والفرقة وما يحتاجون اليه من الإصلاح الذي تتوقف عليه حياتهم أو نجاتهم من الذل والاستعباد مما لم يسبق له نظير الا في صيحة النعروة الوثقى التي تجلت فيها روح موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين وبلاغه الأستاذ الامام محمد عبده .

وأشار الى أنه فكر في وقف اصدار المنار في سنته القابلة ١٣٥٤ ولو على سبيل التجربة عسى أن أجد له من يقوم بنفخته من الأوفياء منهم ، يقول : رجحت هذا الأمر ثم عظم على وقد ربانى الدين على الثبات واتقاء ابطال عمل أشرع فيه .

(توقفت المنار عن الصدور بالعدد الأخير من المجلد ٣٤) .

الباب الثالث

النهضة الإسلامية (حركة الإصلاح)

كما صورها المنار

مقدمة	: النهضة الإسلامية
الفصل الأول	: تفسير القرآن
الفصل الثاني	: مفهوم أهل السنة والجماعة
الفصل الثالث	: الصوفية الهندية والفلسفة
الفصل الرابع	: السنة والشيعة
الفصل الخامس	: مواجهة الأخطار والتحديات
الفصل السادس	: شبهات التبشير والتشكيك في حقائق الإسلام
الفصل السابع	: ما حققته حركة الإصلاح

مدخل

النهضة الإسلامية « حركة الإصلاح » كما صورها المنار

كان الهدف الأول الذي توخت المنار القيام به هو تأصيل النهضة الإسلامية أو لما كان يسمى « حركة الإصلاح الإسلامي » وما يتصل بها من ظهور حزب الإصلاح الإسلامي الذي كان يقوده الشيخ محمد عبده وقد أشار الى هذا الحزب صراحةً في أوّل مرة للورد كرومر في تقريره سنة ١٩٠٥ بعد وفاة الأستاذ الامام ، وكلمة الإصلاح كلمة غربية أساساً فهي تصور هذه النهضة بصورة حركة الإصلاح التي قامت بهذا جماعة المصلحين في المسيحية ، وان كانت في المعنى تختلف اختلافاً واضحاً ، ويتحدث السيد رشيد رضا على مسيرة المنار الطويلة عن الإصلاح الإسلامي ، والإصلاح الديني والسياسي وتلازمهما ويقول :

« ان وجهة نظر المنار في كل ما عرضت له من قضايا كان تمثيلاً حقيقياً لمفهوم حزب الإصلاح الإسلامي الذي يقوم على فهم الاسلام فهماً صحيحاً من منابعه الأولى » .

ومن هنا كانت معارضته الواضحة لمفاهيم مشايخ الطرق الصوفية وقد كانت قضية التصوف والطرق الصوفية من أبرز القضايا التي أولاها السيد رشيد رضا اهتمامه على مدى سنوات المنار بالإضافة الى أمرين آخرين وهما :

- ١ - نحلة البهائية والقاديانية وما تنفرع منهما .
- ٢ - جماعات التبشير والالحاد والاستشراق وما يتصل بمقارنات الأديان وخاصة بالنسبة لأخطاء كتاب المسيحية وعدائهم للإسلام .

ويقرر السيد رشيد رضا : « ان مفهوم حزب الإصلاح الإسلامي في استرجاع مجد الشرق لا يكون بالاعتماد على الغرب في الإصلاح وإنما يكون بقوة الإسلام وبالعودة الى أصول الإسلام وآدابه وتعاليمه الصحيحة وان انحرف المسلمون عن جانتها هو الذي سلبهم ما كسبوا فالرجوع اليها هو الذي يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم ويرجع لهم سيادتهم » .

ويقول : « ان أهم ما جاء به الاسلام هو التوجيه في العقائد الدينية والتعليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية فأهم أركان الإصلاح الاسلامى : هو جمع المسلمين على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة وقانون شرعى واحد لا يحكم عليهم غيره فى أى نوع من أنواع الأحكام ولغة واحدة ، ويتوقف على هذا تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب فى كل بلد اسلامى وهيئة عظمى فى مكة المكرمة واجتماعاتها فى موسم الحج تعمل على توحيد العقائد والآداب والأحكام واللغة » .

كما تناولت المنار (النهضة الاسلامية فى مصر) وهى النهضة التى قام بها الشيخ محمد عبده (م ٢ / ٢٤١) فى مجال اصلاح الأزهر والتعليم واللغة كما عرضت فصلا مطولا لنظرية الإصلاح الدينى كما يفهمها حزب الإصلاح وهو ما اقترحه على مقام الخلافة الاسلامية (م ١ / ٧٦٤) كما ناقشت بتوسع قضية الإصلاح الاسلامى الدينى وتحدثت عن الإصلاحان السياسى والدينى وتلازمهما (م ١ / ٧٦٥) وفى نفس الوقت اهتمت بمناقشة المعارضة وهم من يسمونه أتباع الطرق الصوفية سواء فى داخل الأزهر أو فى خارجه ، وتناولت الأبحاث مختلف الأحوال المثارة للطرق الصوفية وخاصة ما يتعلق بسلطة مشيخة الطرق الروحية وعقد المتصوفة (م ١) ومحاربة الطرمين والاستغاثة وزيارة القبور وعقدت المنار فصولا متوالية عن الطريقة الرفاعية والطريقة القادرية ومولد الدمرداش ، كما عرضت لانصار اتجاه المحافظة فى مصر من أمثال الشيخ عليش وناقشت الصوفية وأصل تسميتهم كما تعرضت للموالد والبدع كما ناقشت فساد خطبة ابن عربى فى تفسيره وادعاءات الدجاجة للكرامة ، وتحدثت عن نهضة الشيخ محمد عبده ورجاله الذين سلكوا مسلك السلف فى رسالة النوحىيد كما تناولت المنار فكرة الجامعة الاسلامية وهى من أكبر القضايا التى عالجتها الصحافة (م ٢ / ٣٣٧) كما تحدثت عن الجنسية والدين وقالت ان الرابطة الأولى للأمة هى رابطة الشريعة العادلة والرابطة الثانية هى رابطة اللغة ، وكانت دعوة المنار الكبرى هى جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة .

وهاجم المنار المقلدين والجامدين : فالمتلدون هم الذين رضوا بانحلال

رابطتهم المالية وعفاء مقوماتهم ومستحققاتهم الموروثة وانتحال جنسية لغوية أو وطنية جديدة ، أما الجامدون فهم الخاملون الذين رضوا بهذه الحالة التي لا نجد لها تفسيراً إلا ما يسمونه الموت صبراً ، وهذا هو حزب الجمود والتقليد ، وأشار الى حزب آخر وسط بين ذيتك الحزبين وهم حزب الله المعلمون الذين يطلبون المجد الطرف ليكون متحداً بالمجد التقليد ، هؤلاء الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومشخصاتهم الخاصة لانتحال ما هو من ذلك لغيرهم ، الذين يريدون صيقل جوهزهم ليظهر خواصه ومزاياه في اكمل ما يمكن أن يكون عليه ، هؤلاء هم حزب الوسط شسهداء علي الفريقين ولكنهم لا يزالون ضرياء في ديارهم .

وفي تصور آخر يقول : الأحزاب الثلاثة هم الفقهاء المقلدون الجامدون الماديون السياسيون والمصلحون المعتدلون ، وفي مراجعة من مراجعات المنار للحركة الاسلامية في مصر يقول :

« ان حزب الاصلاح هو وحده محل الرجاء لانه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ويعرف منافعهم ومضاره ويريد أن يكون معتد الارتباط والاتصال بهما بارجاع كل منهما عن خطاه والسير بالامة في طريق حفظ به مقوماتها ومشخصاتها وتعيد الموروث النافع منه الى جديد وتدرج في استبدال النافع بالضرار منه وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم لامة قائمة في هذا العصر بدونه ، وسط بين الجامدين والمتفرنجين ، ولم يكن طلاب الاصلاح الا أفرادا من القابضين في بيوت حزب الجمود أو حزب التفرنج ، هداهم الله تعالى باستعداد من فطرتهم وتوفيق في سيرتهم الى معرفة الطريقة المثلى لصلاح امتهم ، وعنده ان الجامدون من الشيوخ اشد حسدا وبغضا للمصلح الديني من غيرهم .

ويشير السيد رشيد رضا الى الاصلاح الاسلامي فيقول :
ان له طريقين لا ترتقى امة الا بأحدهما أو كليهما ، اما من تبل الامة كاوريا واما من ناحية الحكومة كاليابان ، وان العقبات هما رجال الدين ورجال الحكم والسultan .

يقول : « ويتوقف الاصلاح الاسلامي قبل كل شيء على اقناع العلماء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التي هي محور الثروة والقوة

والعزة ضرورية لامندوحة عنها ، ويجب أن تعلم مع الدين وأن يقوم بتعليمها رجال الدين لأن تركها للمدارس الأميرية والأجنبية يجعلها خاصة بمن لا دين لهم وهؤلاء لا يرجى منهم خير للأمة ولا للملة ولا يسقط الواجب بهم .
ان الدين لا يمكن حفظه الا بالدنيا فتعين أن يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا (الرياضيات والطبيعات) وأحكام الشريعة الاسلامية تصرح بأن تعلم الصناعات التي يحتاج اليها البشر في معاشهم واجبة على مجموع الأمة « (١) » .

ومن مجمل ما نشره السيد رشيد رضا في المنار خلال الاعوام الخمسة والثلاثين (١٨٩٨ — ١٩٣٥) نستطيع أن تصل الى نظرية كاملة للاصلاح الاسلامي تقوم على أسس تحرير العقيدة من قيد التقليد وقد أولى السيد رشيد هذه الفكرة أهمية كبرى ويرى :

« ان عادة الناس قد جرت على اتباع من يثقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدع وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من الاسلام باسم الاسلام ، ومن ذلك طوائف الباطنية فمتى انتطح الناس عن فهم الكتاب والسنة انقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين دين الله الذي أنزله على رسوله وحرموا البصيرة التي هي سبيل الله وابتغوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى : « **وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** » ولذلك نهى ائمة الفقه الأربعة وغيرهم من ائمة السلف عن التقليد الذي هو الأخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة من الكتاب والسنة وكيف لا ينهون عن ذلك ويعلمون أنه يعين الناس عن سبيل الله . اننا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله كل بقدر استطاعته وطالب الاهتداء من العامة ليستطيع ان يسأل العلماء « (٢) » .

ويطالب السيد رشيد رضا (في نطاق دعوة حركة الاصلاح) الى اتخاذ طريق عرفه المسلمون من قبل وأشار اليه حجة الاسلام الغزالي في كتاب

(١) م ٢ .

(٢) م ١٣ / ٥٥١ .

(القسطنطاس المستقيم) من الدعوة الى ازالة الخلافة والأخذ بالجمع عليه والتخير في المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما أجمع على تحريره وتقبل ما سهل عليه من أجمع على ندبه واستحبابه .

وقد توسع نطاق البحث الذي كان يرمى في مجمله الى ابراز مفهوم أهل السنة والجماعة الذي هو عصمة المسلمين وهو منطلق النهضة الاسلامية الحقيقية التي حملتها حركة الاصلاح الذي قام عليها الحكماء جمال الدين ومحمد عبده وتابعهما السيد رشيد رضا خلال أكثر من ثلاثين سنة وتلاميذهما وكان هداهم واضحا في كتابات الامامين ابن تيمية وابن القيم وما يتصل بكتابات الامام الغزالي والامام الاشعري .

وقد عارض الشيخ رشيد رضا في طريقه لتوسيد مفهوم أهل السنة والجماعة مفهوم علم الكلام والباطنية والهجومية والمعتزلة ، كما تحدث عن المتفرنجين وموقفهم من الاصلاح الاسلامي ، وتناول موقف الصوفية كذلك .

وقد اقام السيد رشيد رضا مفهوم أهل السنة والجماعة على قواعد أساسية قدمها كلها من خلال تفسير القرآن الحكيم الذي بداه الشيخ محمد عبده ومضى فيه كما عرض للشريعة الاسلامية ودعا الى التقريب بين الشيعة والسنة وعالج أمور الأزهر والتربية الاسلامية بعمامة ، وبالجملة فقد أضاع الطريق تماما في مجال تقديم نظرية كاملة لكل من جاء بعده في شأن انيقظة الاسلامية ولا ريب كان للشيخين جمال ومحمد عبده وكذلك رشيد رضا تقدير واضح للحركة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وان لم يكشف ذلك الا بعد ان تولى آل سعود الحكم في الحجاز سنة ١٩٢٦ وما بعدها .

الفصل الأول

تفسير القرآن

يعد تفسير القرآن الذى قدمه الشيخ محمد عبده ونشره المنار وأتمه السيد رشيد رضا هو بمثابة حجر الرقى فى تثبيت مفاهيم النهضة الإسلامية ، ويشير صاحب المنار فى أكثر من موضع الى أنه هو الذى اقترح على الأستاذ الامام أن يكتب تفسيراً للقرآن فى رمضان ١٣١٥ هـ قبل الشروع فى انشاء المنار وذلك بأن اقترح عليه قراءة درس فى التفسير وقد تردد ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور .

يقول : « زرتة فقرأ لى عبارة من كتاب فرنسى يطعن فى القرآن فطفق يرد عليها واحتاج فى الرد على العلوم فى تفسير رب العالمين فتمنيت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان يفسر فاقترحت عليه ذلك ، وانما قلت : لو كتبت تفسيراً على هذا النحو يقتصر فيه على حاجة العصر وترك كل ما هو موجود فى كتب التفسير وتبيين ما أهملوه ، قال : ان الكتب لا تفيد القلوب العمى ، لا تفيد الكتب الا اذا صادفت قلوباً عالمة بوجه الحاجة اليها تسعى الى نشرها ، واذا وصل كتاب الى ايدى هؤلاء العلماء وفيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه ، واذا عقلوا شيئاً منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه حرفوه الى ما يوافق علمهم ومثربهم ، كما جروا عليه فى نصوص الكتاب والسنة التى يريد بيان معناها الصحيح وما تفيده . ان الكلام المسموع يؤثر فى النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته فى الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن للسامع ان يسأله عما يخفى عليه منه أما اذا كان مكتوباً فمن يسأل . ثم شرع فى قراءة التفسير بالأزهر فى غرة المحرم ١٣١٧ وكتبت مقالة فى المؤيد بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتداء به وان كتب التفسير غير كافية وعلم الناس فاقبلوا على تلك الدروس اقبالا لم يعهد له نظير من المسلمين فى هذا العصر وقد عين مفتياً للديار المصرية فى الشهر الذى شرع فيه بقراءة التفسير .

(م ٨ / ٨٩٦) وأشار السيد رشيد رضا الى طريقة الامام في قراءة التفسير وطريقته هو في كتابته ، فقال : اننى لما استقلت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية من العلماء ومن الاكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشد حاجة المسلمين الى تحقيقها بهداية دينهم في هذا العصر أو تقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو بحل بعض المشكلات التي أعيد حلها بما يطمئن اليه القلب وتسكن اليه النفس .

وقد أشار السيد رشيد رضا (م ٢٨ / ٦٤٦) الى الحكمة من تقديم تفسير عصرى للقرآن فقال : « شاهدنا ولا نزال نشاهد في بلادنا أن طلب العلوم والفنون مع اهمال التربية المصلحة للنفس لم يحل دون استعباد الأجانب لها كما جرى في دولتي الاستانة والقاهرة وغيرهما ، نرى الرجل المتعلم المتفنن يتولى ولاية أو وزارة فيكون أول همه فيها تأسيس ثروة واسعة لنفسه وولده لأجل التمتع بالشهوات واللذات والزينة ، وهكذا تفعل كل طبقة من رجال الدولة يستنزفون ثروة الأمة بالرشا والحيل وأكل السحت ويكون كل ما فضل من شهواتهم بل جل ما ينفقونه عليها من نصيب الأجانب . (ومن هنا جاء) وجوب فهم القرآن والاهتداء به وبأن فقهه يتوقف على تفسيره لمن لم يؤت من ملكة لغته وفروقه أساليبها وروح بلاغتها ومن تاريخ الاسلام وسيرة الرسول وهدى السلف الصالح ما يمكنه من فقهه بنفسه . انما يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينيه ووجهه وقلبه ما بينه الله تعالى في موضوع تنزيله وفائدة ترتيبه وحكمة تدبيره من علم نور وهدى ورحمة وموعظة وعبرة وخشوع وخشية وسنن في العالم مضطردة فتلك غاية انذاره وتبشيريه ، ويلزمها عقله وفطره لتقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة وكان من سوء حال المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير تشغل مادته عن هذه المقاصد فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان ومنها ما يصرفه عنها بجدل المتكلمين وتخريجات

الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، بعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما فرضت من خرافات الاسرائيليات وقد زاد الفخر الرازي صارفاً جديداً عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهدا كالهيئة اليونانية وغيرها وقلده بعض المعاصرين في ايراد مثل ذلك في علوم هذا العصر وفنونه فهو يذكر في تسمية تفسير الآية فصولاً طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسما والأرض من علوم النبات والحيوان تصدقارئها عما أنزل الله لأجله القرآن ، وأكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير وجل ذلك في قصص الرسل مع اقوامهم وما يتعلق بكتبهم ومعجزاتهم ومن تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف ومدن ارم ذات العماد وسحر بابل وعوج بن عنق وفي أمور الغيب بن اشراف الساعة وقيامها وما يكون فيها وبعدها وجل ذلك خرافات ومقدمات لذلك ، قال الامام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي وكان الواجب جمع الروايات المفيدة في كتب مستقلة كبعض كتب الحديث وبيان قيمة أسانيدھا .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول اما عن المعصوم أو غيره ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة منه ولا حاجة بنا الى معرفته وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه وقصة البقرة وسفينة نوح والغلام الذي قتله الخضر فهذه الأمور طريقة بها النقل فما كان منها منقولاً لا صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل وما لا صح أمره بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب بن وهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » .

والجهتان اللتان هما مثار الخطأ : احداها حمل الفاظ القرآن على معاني اعتقدوها لتأييدها به ، أقول لجميع مقلدة الفرق والمذاهب في الأصول

والفروع المتعصبين لها فانهم قد جعلوا مذاهبهم أصولا والقرآن نرعا لها يحمل عليها وهذا شر انواع البدع وتفسر القرآن بالرأى المذموم من الحديث والثانية التفسير بمجرد دلالة اللغة العربية من غير مراعاة 'لمتكلم بالقرآن وهو الله عز وجل والمنزل عليه والمخاطب به . ان أكثر ما روى في التفسير المأثور أكثره حجاب على القرآن وشاغل لنا عن مقاصده العالية المزكية للأنفس النورة للعقول فالفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التى لا قيمة لها سنداً ولا موضوعاً . ثم قال : وكانت الحاجة شديدة الى تفسير يتوجه العناية الأولى فيه الى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه وما انزل لأجله من الانذار والتبشير والهداية والاصلاح ، ثم العناية الى مقتضى حال هذا العصر في سهولة التعبير ومراعاة افهام صنوف القارئین وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها .

ثم يتحدث السيد رشيد رضا عن العمل الذى قام به فيقول :

كنت قبل اشتغالى بطلب العلم في طرابلس الشام مشغلاً بالعبادة ميلاً الى التصوف ، وكنت أنوى بقراءة القرآن الاتعاط بمواعظه لأجل الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ، ولما قرأت دعوة (العروة الوثقى) الى الجامعة الاسلامية واعادة مجد الاسلام وسلطانه وعزته واسترداد ما ذهب من ممالكه وتحرير ما استعبد الأجانب من سيطرته آثرت في قلبى تأثيراً أدخلت به في طور جديد من حياتى ، وأعجبت جد الإعجاب بمنهج تلك المقالات في الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز وما تضمنه من تفسيرها مما لم يحوم حوله أحد المفسرين ، على اختلاف أساليبهم في الكتابة ومداركهم في الفهم وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى في ذلك ثلاثة أمور :

١ - بيان سنن الله تعالى في الخلق ونظام المجتمع البشرى وأسباب ترقى الأمم وتدليها وقوتها وضعفها .

٢ - بيان أن الاسلام دين سيادة وسلطان وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ومقتضى ذلك أنه دين روحانى اجتماعى ومدنى عسكرى ، وأن القوة الحربية فيه لأجل المحافظة على الشريعة

العادلة والهداية العامة وعزة الملة لا لأجل الاكراه على الدين بالقوة .

٣ — ان المسلمين ليس لهم جنسية الا دينهم فهم اخوة لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا أمة ولا حكومة .

ويقول: كان الاحتلال الانجليزي لمصر ١٢٩٩ هـ ، ونشأت العروة الوثقى في باريس سنة ١٣٠١ الكاتب للمقالات هو الثاني (محمد عبده) ولكن بانشاء الأول (جمال الدين) وهو أستاذ في هذا المنهج ومربيه عليه ، وقد توجهت نفسى بتأثير العروة الوثقى الى الهجرة الى السيد جمال والتقى عنه وكان قد جاء الأستاذة وبعد أن توفاه الله تعلقت آمالي بالاتصال بخليفته الشيخ محمد عبده للوقوف على اختياره وآرائه في (الإصلاح الاسلامي) وما زلت أترصد الفرص لذلك حتى سنحت لي في رجب ١٣١٥ عقب اتمام تحصيلي للعلم في طرابلس وأخذ الشهادة العالمية واجازة التدريس من شيوخها فهاجرت الى مصر وأنشأت المنار للدعوة الى الإصلاح » .

وردد السيد رشيد رضا ما أورده من حديث الشيخ محمد عبده حول مطاعن أحد كتاب الفرنسيين في الاسلام وفي هذه المرة كانت اجابة الشيخ مختلفة حيث قال : ان هؤلاء الامرنج يأخذون مطاعنهم في الاسلام من سوء حال المسلمين مع جهلهم هم بحقيقة الاسلام ، وقال : ان القرآن نظيف والاسلام نظيف وانما لوثة المسلمون باعراضهم عن كل ما في القرآن واشتغالهم بسفاسف الأمور ، وطفق يتكلم بهذه المناسبة في تفسير قوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا » وماذا كان ينبغي للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتموا اليها . ثم ذكر أن الطاعن ادعى أن المسلمين لم يعلمهم نبيهم من صفات الخالق الا أنه حاكم قاهر وسلطان عظيم تدوجب الفتح على أتباعه لأجل قهر الأمم لا لأجل تربيتها ، فأين هذا مما تسميه النصارى خالقهم بالآب الدال على الرأفة والرحمة ، وتحدث عن اسم الرب وما فيه من معاني التربية واللفظ والتفرقة بينه وبين معنى الأدب وكون طلبه للولد بمقتضى شهوته لا محبته له وغير ذلك ، قلت : لو كتبت تفسيراً على هذا النحو ، يقتصر على حاجة العصر ونترك كل ما هو موجود في كتب التفسير وتبين ما أهملوه » .

وجملة القول في هذا كله أن الشيخ محمد عبده بدأ التفسير في غرة المحرم ١٣١٧ وانتهى منه في منتصف المحرم ١٣٢٣ عند تفسير « وكان الله بكل شيء محيطاً » (الآية ١٢٥ من سورة النساء) فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين اذ توفي لثمان خلون من جمادى الأولى منها رحمه الله وأنبه : وكانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير وهو أن يتوسع فيه فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الالفاظ والاعراب ونكت البلاغة وفي الروايات التي تدل عليها ولا يتوقف على فهمها الآيات ويتوكل في ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفاسير فكان يقرأ عبارته فيقرأها أو ينقد منها ما يراه منتقدا ثم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة في معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة .

يقول السيد رشيد رضا : « وكنت أكتب في أثناء القاء الدرس مذكرات أودعها ما أراه أهم ما قاله ، واحفظ ما أكتب لأجل أن أبيضه وأمده بكل ما أتذكره في وقت الفراغ ، وما لبثت أن أقترح على بعض الراغبين في الاطلاع عليه من قراء المنار في البلاد المختلفة ومن الحريصين على حفظه من الاخوان بمصر أن أنشره في المنار فشرعت في ذلك أول المحرم ١٣١٨ وكنت أولا أطلع الأستاذ الامام على ما أعدده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه فكان بما ينقح فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة أو كلمات ولا أذكر أنه انتقد شيئاً مما لم يره قبل الطبع بل كان راضياً بالمكتوب بل معجباً به على أنه لم يكن كله نقلاً عنه ومعزوا اليه ، بل تفسيراً للكاتب من انشائه اقتبس منه من تلك الدروس الغالية جل ما استفادته منها لذلك كنت أعزو اليه القول المنقول عنه اذا جاء بعد كلام لى في بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لى بعده قلت في بدئه : (أقول) ولم يكن هذا التمييز ملتزماً في أول الأمر بل يكثر في الجزء الأول ما لا عزو فيه ومنه ما هو مشترك بين ما فهمته منه ومن كتب التفسير الأخرى أو من نص الآية على أنى عبرت عنه بآمالى مقتبسة ، ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ ما أكتبه ، اما قبل طبعه وهو الغالب واما بعده وهو الأقل ، لم أكن أرى حرجاً فيما أعزوه اليه مما فهمته منه وان لم أكن كتبت عنه في مذكرات الدرس

لأن اقراره اياه يؤكد صحة الفهم وصدق العزو ، وبعد أن توفاه الله صرت ارى من الامانة أن لا أعزو اليه الا ما كتبته عنه أو حفظته حفظا ، وصرت اكثر أن أقول قال ما معناه ، أو ما مثاله أو ما ملخصه .

وقد بدأت في حياته بتحرير تفسير الجزء الثانى من المنار وطبعه على حدته وتوفى قبل طبع نصفه فهو قد قرأ ما طبع منه مرتين ، وقد اشتد شعورى بعد ذلك بأن على وحدى تبعة تأليف تفسير مستقل وتبعه ايداعه ما تلقيته من هذا العالم الكبير المشرق البصيرة وذى النصيب الوافر من ارث نبي الله داود عليه السلام الذى قال الله تعالى فيه ((وآتينا الحكمة وفصل الخطاب)) وتبعة الامانة فى النقل بالمعنى أثقل من تبعة تحرى الفهم الصحيح وأدائه ببيان صحيح .

هذا وانى لما استقلت بالعمل ...

(م ٢٨ / ٦٤٦) .

وقد عرض السيد رشيد رضا للقواعد التى أملاها الشيخ محمد عبده في مقدمة التفسير حيث قال : « القرآن كلام سماوى تنزل من حضرة الربوبية التى لا يكتنه كنهها على قلب اكمل الانبياء وهو يشمل على معارف عالية ومطالب سامية لا يشرف عليها الا أصحاب النفوس الزاكية والعقول انصافية . والتفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فان هذا هو المقصد الاعلى منه وما وراء هذا من مباحث التفسير تابع له أو وسيلة لتحصيله . وقال : التفسير له وجوه شتى :

١ — النظر فى اساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علو الكلام وامتيازه على غيره من القول ، سلك هذا المسلك الزمخشري وقد ألم بشئ من المقاصد الأخرى ونحا نحوه كثيرون .

٢ — الاعراب .

٣ — تتبع القصص .

٤ — غريب القرآن .

٥ — الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات .

٦ — أصول العقائد ومقارعة الزائغين .

٧ — المواعظ والرقائق .

٨ — الاشارة واشتباه كلام الباطنية وكلام الصوفية .

وقال : ان الاحكام العملية التى يسمونها فقها هى اقل ما جاء فى القرآن وان فيه من التهذيب ودعوة الأرواح الى ما فيه سعادتها ورفعتها بن حضيض الجهالة الى أوج المعرفة وارشادها الى طريقة الحياة الاجتماعية مما لا يستغنى عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا يوجد هذا الارشاد الا فى القرآن وفيما اخذ منه كاحياء العلوم . كما أن كثيرا من حكمه ومعارفه لم يكشف عنها اللثام ولم يفصح عنها عالم ولا امام ، ثم ان أئمة الدين قالوا ان القرآن سيبقى حجة على كل فرد من أفراد البشر الى يوم القيامة (والقرآن حجة لك أو عليك) .

ثم اشار السيد رشيد رضا الى اتباعه لهذا المنهج ، فقال : اننى اعتقد ان كل ما انا فيه من نعمة الله تعالى على فى دينى ودينىاى وعلمى وعملى ، هو من آثار سلوك الطريق على يد ذلك الأستاذ العارف رحمه الله وجزاه عنى خيرا ، واشار السيد رشيد رضا الى أن كثيرا من الالفاظ التى كانت تستعمل فى زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد ، ومن ذلك لفظ « التأويل » الذى اشتهر بمعنى التفسير (مطلقا أو على وجه مخصوص) ولكنه جاء فى القرآن بمعان أخرى ، ويقول : يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتبع الاصطلاحات التى حدثت فى الملة فكثيرا ما يفسر كلمات القرآن باصطلاحات حدثت فى الملة بعد القرون الثلاثة الأولى فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع كل ما ورد فيه من الالفاظ المكررة وينظر فيها فربما استعملت بمعان مختلفة كلفظ (الهداية) .

الفصل الثاني

مفهوم أهل السنة والجماعة

كان تفسير القرآن الذى بداه الشيخ محمد عبده وسار نبه السيد رشيد رضا شوطا طويلا حتى توقف رحمه الله عند سورة هود (السورة الحادية عشرة من المصحف) وسورة يوسف ، مدخلا الى تصحيح العقيدة وابرار مفهوم أهل السنة والجماعة المتحرر تماما من مفاهيم الجهمية والمعتزلة والصوفية والباطنية ، وقد عنى السيد رشيد رضا عناية كبرى بتحرير هذه القضية على نحو واسع شغل من النار صفحات واسعة ومضى فيه السيد عاما بعد عام لم يتوقف ، عرض فيه لعدد من كتب السلف الكاشفة لهذا المعنى كما عرض لكتب الفرق ناقداء، وداحضا. ويرى أنه من الضروري تحرى مذهب السنة الصحيحة فى التفسير من وراء المعتزلة والأشعرية ومن خلال تراث ابن تيمية وابن القيم اللذين يوليها اهتماما واسعا فيقول : « ان كلا من المعتزلة والأشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى وان مذهب السنة الصحيح وسط بين هذين المذهبين ولن اخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهبنا معينا دون النظر فى كتب أهل المذاهب الأخرى يفك الأخذ من ربة التقليد ولا يهديه الى طريقة التمهيص والتجديد ، وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان مذهب الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من يعتنى به من العلماء الأعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعدله ورحمته وفعله كما يدلان على قدرته وإرادته واختياره يستحيل عليه تضادها فكل أفعاله وحكمه مصلحة للخلق والحكم والمصلحة فى العقل تسمى فى اللغة علة وجاء ذلك فى القرآن بحرف التعليل فأجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تكفر أو تضل أحدا من أهمل العلية .

وقد أجرى محاورات واسعة بين المصلح والمقلد ، لكشف حقيقة مفهوم أهل السنة والجماعة ومحاربة كلا الفكر الصوفى والتقليدى ومكر الكلام والفلسفة والمنطق وإحياء مفهوم أهل السنة والجماعة بعيدا عن كل

التفسيرات الموجبة لغير ذلك سواء اكانت معتزلة أم صوفية أو فلسفية ،
وقدم في ذلك كتاب شرح عقيدة السفاريني (الدرة المضيئة في عقد الفرقة
المرضية) وقد اهتم بالرد على المعتزلة الأشعرية معاً كما عرض لكتاب
الشيخ حسين الجسر في العقائد (الحصون الحميدية لحافظة العقائد
الاسلامية) وقال ان هناك جماعات متعددة في العراق وسوريا من انرافضة
والمشبهة التي تحيى ما فعله عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرفض وتحدث
عن الأحاديث الموضوعة والوضايع وأبطل مذهب القدرية والجبرية
ومن ذلك قوله : « ليس القرآن وحده ولكن القرآن والسنة » وأشار الى
الارتباط بين السلفية والأشعرية « فهما أهل السنة والجماعة لم يفرطوا
تفريط القدرية النفاة ، ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجبين بالقدر على
معاصي الله فمذهب سلف الأمة وأئمة السنة كافة ان جميع انواع انطاعات
والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فأنفعال
العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنهما وقبيحها ومذهب سلف الأمة
وأئمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد
فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية ، ولا ينكرون
تأثير الأسباب الطبيعية والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر على فعله
هذا القدر ثم ان الأشعري أثبت للعبد كسبا ومعناه أنه قادر على فعله
وان الله فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا » .

وقد كشف السيد رشيد رضا كثيرا من شبهات الباطنية وأزنادقة
ورد عليها ، كما تعرض للمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ .

وكشف كيف كان الرفض والتشيع والاعتزال من أبواب الزندقة
والالحاد . فالصائبة المتفلسفة كانوا مصدرها أخذ منه أو زاد عليه القرامطة
والنصيرية الاسماعيلية الحاكمة وهم انما يدخلون الى الزندقة والكفر
بالكتاب والرسول من باب التشيع والرفض والمعتزلة .

وأما في عرض شرح عقيدة السفاريني ، من رجحان مذهب السلف
على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل النقلية والعقلية وقد اقتبس جل تحقیقاته
من كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه المحقق ابن القيم

وقد قال ذلك في مواجهة كتب العقائد التي يتداولها طلاب العلم وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان .

وأشار في أكثر من موضع الى وحدانية الالهية ووحداية الربوبية ، فأما وحدانية الالهية فهي قوله أن لا تعبد الا الله وأكدته بقوله ولا تشرك به شيئا والاله هو المعبود الذي تولاه العقول في معرفته ، أما وحدانية الربوبية فهي قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فالرب هو السيد المربى الذي يطاع فيما يأمر وينهى والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحرير (م ١٠ / ٢٥٥) .

ويتحدث عن فكرة التحرر من التقليد وتحامى كتب المتأخرين أينما وجدت ويستشهد بقول الامام الشاطبي : كان لأخذ الفقه من كتب الأقدمين ولا يرى لأحد أن ينظر في هذه الكتب المتأخرة كما قرره في كتاب الموافقات وترد عليه الكتب في ذلك من بعض أصحابه فيوقع له : « وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادى على التأليف المتأخر فليس ذلك منى محض رأى ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين ، كابن بشر وابن شاش وابن الحاجب ، ومن بعدهم ، ولأن بعض من لقن من العلماء أو علماني بالتجافى عن كتب المتأخرين وأبى بعبارة خشنه ولكنها محض التضحية والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله » .

ويقول : لقد دخلت بعض البدع على كتب أهل السنة وإنها ليست من مذاهب الأئمة فإن مذاهبهم متفقة على الأخذ بالكتاب والسنة فمن الحق بالدين شيئا زعم أنه منقول أو مستنبط من كلامهم وهو يخالف انكتاب والسنة فهو مردود عليه وهم يراد منه وقال : ان أهل السنة والجماعة هم أبو الحسن الأشعري أبو منصور الماتريدي ومن تابعهما في الاعتقاد والامام الجنيد ومن تابعه في التصوف والأئمة الأربعة ومن تابعهم في الفروع .

المتكلمون وعلم الكلام : وفاض السيد رشيد رضا في عرض أقوال المتكلمين ومفاهيمهم وقال ان امام نظار المتكلمين والأصوليين في عصره امامهم (الرازى) « وكان من أقلهم حظا في علم السنة وآثار الصحابة والتابعين وأئمة السلف من المفسرين والمحدثين بل وصفه (الحافظ الذهبي) بالجهل بالحديث وقال : « التاج السبكي » إنه لم يشتغل بهذا العلم وليس

من أهله . وقال ان « بدعه الكلامية » مخالفة لنصوص الكتاب والسنة وقال ان تفسير الرازى قد اشتهر فيه بعض العلماء فيه ان فيه كل شيء الا التفسير كما فى كتاب الاتفاق ، وجملة القول : ان مذهب لسلف الصالح وجوب الايمان بكل ما وصف الله تعالى به فى نفسه فى كتابه وما صح من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ظاهره من غير تعطيل للمعنى اللغوى يجعله كاللغو وكل محاولة لتشبيه الله بخلقه يعد من النقص ولا تأويل يخرج الظاهر المتبادر عن معناه بمحض الراى والخواطر التى تعرض لبعض الناس فيما لا يليق به تعالى لا تنقص من ايمان المؤمن بكتابه وصدق رسوله المتبع لهما . قال ابن مسعود : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقالوا ان احدنا ليجد فى نفسه ما لان يحترق حتى يصير حممة (اى حممة) او يخرج من السماء الى الارض اخب اليه من ان يعلم به . قال : ذلك محض الايمان وكراهية المؤمن لها دليل على ايمانه المحض الخالص .

ويقول السيد رشيد رضا : ان كبار النظار من المتكلمين قد رجعوا الى مذهب السلف فى الايمان بظاهر النصوص وفى مقدمتهم امام الحرمين كما نقله عنه الحافظ ابن حجر فى شرحه للبخارى ومن قبله والده الامام الجوينى ومن بعده ابو حامد الغزالى فى آخر عمره ونقل مثل هذا عن النضر الرازى ايضا وقد صرح الغزالى من قبيل رجوعه الى مذهب السلف ان علم الكلام ليس من علوم الدين وانما هو لحراسة العقيدة كالحرس للحجاج وانما راجت كتبه لأنها وضعت للرد على ملاحدتهم ومبتدعيهم ولا تنفع فى الرد على ملاحدة هذا العصر ولا مبتدعيه .

ويقول السيد رشيد رضا ايضا عن المعتزلة : « من يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له ان مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لأمرين لان الفلسفة التى طالعوها أكثرها غير صحيح فلذلك لم تلتئم مع الدين والثانى أن المقصد الاصلى من الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا فى الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما شط مجادلوهم عن الجبرية الخالصة او الجبرية المتوسطة والمرجئة .

واشار فى موضع آخر الى ذم السلف الخوض فى علم الكلام فقال :

لقد ذم السلف الصالح الخوض في علم الكلام والنقض والتدقيق فيما زعموا أنها قضايا برهانية وحجج يقينية وقد شجبوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتحليلات الكشفية والمباحث القرطبية ، وكان أئمة الدين قبل مالك وسفيان بن المبارك وأبى يوسف والشافعي وأحمد وإسحق والفضل ابن عياض وبشر الحاني يبالغون في ذم (علم الكلام) وفي ذم بشر المريسي حتى أن هارون الرشيد خامس الخلفاء لبنى العباس تال يوما بلغني أن بشر المريسي يقول أن القرآن مخلوق والله على أن أظفرني به الله لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد فأقام بشر متواريا أيام الرشيد نحوًا من عشرين سنة ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أن التأويلات التي ذكرها ابن فورك ويذكرها الرازي في تأسيس التقديس ويوجد منها غالت المتكلمة من الجبائي وعبد الجبار وأبى الحسن البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي ورد عليه الإمام الدارمي عثمان بن سعيد أحد مشاعير أئمة السنة من علماء السلف في زمن البخاري . (م ٦٤٩/٨) .

ويشير السيد رشيد رضا إلى السبابة (أتباع عبد الله بن سبا) ويقول أنهم بمثابة الضربة الأولى التي ضرب بها الإسلام ، كان هذا الرجل يهوديا ثم أسلم ظاهرا وأعماله تدل على أنه يحمل حقدا شديدا للمسلمين .

ويفسح السيد رشيد قدرا واسعا من صفحات المنار لنشر كتاب تاريخ الجهمية والمعتزلة الذي ألفه جمال الدين القاسمي (م ٧٠٣/١٦ وما بعده) يشار فيه إلى توافق الفرقتين المعتزلة والجهمية في المسائل المعروفة عنهما . وأن أول هذا الأمر عندما فتح باب النظر والتأويلات (تأويل آيات الصفات في الكتاب المبين) وقد انتشرت مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وظهور دولة الجهمية (المعتزلة) في عهد المأمون ودعواه إلى مذهبهم وما جرى على أئمة الرواية في مسألة خلق القرآن وأشار إلى ما رواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما (باب كتاب التوحيد والرد على الجهمية) في البخاري وقد اشتهر عن جهم بن صفوان أن القول بالجبر هو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى وكان المأمون وأحمد بن داود الذي أقنعه بذلك مقدمة لنشوء الفلسفة والتشيع . ويقول الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ (ج ٣٠٠/١٠) لما قتل الأمين واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى

صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين فقد كانت الأمة منه في عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم إليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ، ان من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف ، فتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول أتباع الرسل ويمارى في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار وتقع في الحيرة فالفرار الفرار قبل حلول الدمار وإياك ومعضلات الأهواء ومجارات العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

وفي مجلد (٥٦٩/٣٣) من المنار فصل السيد رشيد رضا هذه القضية باعتبارها دعامة الإصلاح الاسلامي الحقيقية وتحت عنوان (اصل الاسلام) وما طرأ عليه من الفساد عن طريق السياسة والفلسفة والتصوف يعدد الباحث المسائل التالية :

المسألة الأولى : ان هذا الدين (الاسلام) وحى الهى الى نبي أمي ظهر في أمة أمية جاهلة ليعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها بالعلم والعدل والفضيلة . وان الله قد شهد كتابه بأنه أكمل هذا الدين لعباده في آخر عمر نبيه ليس لأحد أن يزيد فيه بعده عقيدة ولا عبادة ولا تحريماً دينياً مطلقاً ولا تشريعاً مدنياً الا ما أذن به لأولى الأمر من الاجتهاد على أساس نصوصه وقواعده .

المسألة الثانية : ان ما أجمع عليه أولئك الأميون الأولون أو أكثرهم هو الحق وان كل ما خالف نصوص القطيعة من العقائد والآراء والأقطار البشرية فهو باطل وفيه جميع نظريات المتكلمين العقلية وكشف فلسفة الصوفية الروحية وان المصلحة للمسلمين وللشركاء كافة أن يقصروا هداية الدين على نصوص القرآن المنزلة وما بينه من سنن الرسول المتبعة وسيرة خلفائه وجمهور عترته وأصحابه قبل نشوء الابتداع والتفرق في الملة .

المسألة الثالثة : ان البدع التي فرقت الأمة في أصول دينها وجعلتها شيعاً تؤثر كل شيعية أتباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدى سلفه الصالح بالتأويل من حيث يدعى أن أثبتنا أعلم من يخالفهم

بتأويل الكتاب والحديث وان بعضهم مؤيد بالكشف وبعضهم بالعصمة
فهم أحق أن يقتلوا ويتبعوا وانما يعلم الا علم بالدليل لا بالتقليد وفهم
النصوص بقواعد اللغة والسنة العملية لا بالتأويل . ولهذه البدع المفرقة
ثلاث مثرات من أركان حضارة الأمم السياسية هي :

السياسة والسلطان — العلم العقلى والعرفان ، وفلسفة
الوجدان وما يتبعه من دعوى علم الغيب المسمى بالكشف والخرايات
الشملة لدعوى التصرف فى الكون .

وفى فصل ذلك على ثلاث قضايا :

١ — السياسة الدولية : مثرها الأول ما شجر بين الصحابة ثم كان
أشدّها افسادا ما كان بين أهل السنة والشيعة ، وقد زالت الخلافة
وضاعت سيادة الأمة فى حين أن آثارها ومفاسدها لا تزال ماثلة .
المتنمون الى مذهب السنة قد غلبهم جهلة الأعاجم على خلافتهم بعد
أن جعلوها عصبية وراثية . غلاة الشيعة نقضوا أركان الاسلام
من أساسه بدعاية عصمة الأئمة وتأويل نصوص الكتاب والسنة .

٢ — النظريات العقلية وتحكمها فى النصوص النقلية : تنازع أئمة الاتباع
وعلى رأسهم الامام أحمد بن حنبل ودعاة الابتداع من متكلمى نظار
المعتزلة والجهمية ولولا تدخل سلطان العباسيين فى نصر فريق على
فريق لما وصلت الى ذلك الحد .

وسيموت ما بقى من علم الكلام بموت الفلسفة اليونانية التى
بنى على قواعدها ونظرياتها وان بقيت له بقية تقليدية فى بعض
المدارس الاسلامية وسيخلفه علم آخر فى حراسة العقائد من شبهات
العلم وفلسفة هذا العصر ، مع ابقاء الخلط بينهما وبين عقائد الدين
ومحاولة تحكم كل منهما فى الآخر كما فعل نظارنا المتقدمون فجنوا
على كل منتهى بما أضعف سلطان الدين عن أداء وظيفته وهى تزكية
النفوس بما يوقفها عند حدود الحق والعدل والفضيلة وعمل البر
وأضعف سلطان العلم فى أداء وظيفته فى اظهار سنن الله فى العالم
وتسخير قوى الطبيعة لنافع الناس .

٣ — دعوى الكرامات والكشف وتحكمه في عقائد الدين وعباداته وآدابه وتفسير نصوصه وأحكام المعاملات والحلال والحرام وقد نجمت البدعة من هذه الناحية صغيرة ثم كبرت ، هاجمها علماء المنقول والمعقول ، يؤيدهم الخلفاء والملوك فانهزمت امامهم حتى اذا ما ضعف العلم فصار تقليديا وضعف الحكم فصار ارثا جاهليا وصار علماء الازهر مثل الشعرائى وسلاطين مصر مثل قايتباى خضعت رقاب المسلمين بولاية من الشيخ محمد الخضرى ، هذا الولى الشيلانى الذى خطب في ثلاثين مسجدا من مساجد القطر (م ٥٧٣/٣٣) .

٤ — بطلان تأويل النصوص للنظريات العقلية والعلمية الباطنية :
النظريات العقلية التى تناول النصوص لأجلها علماء الكلام فقد ظهر بطلانها وبطلان الفلسفة التى بنت عليها لعلماء هذا العصر وغلاسفته فقد أجمع هؤلاء على أن جميع النظريات العقلية الفلسفية والعلمية المسلمة اليوم ليس فيها شيء يعد من الحقائق القطعية العلمية الثابتة التى لا يمكن نقضها ، بل كلها قابلة للنقض والبطالان وقد بطلت النظريات العلمية فى المادة والقوة فكيف يجوز اذن تأويل نص دينى قطعى الرواية والدلالة فى خبر عالم الغيب من الوحي الالهى لنظرية ظنية فى عالم الشهادة من الراى البشرى ، واذا بكل تأويل علماء الكلام المبني على قواعد النظر العقلى ومراعاة مدلولات اللغة واشتراط عدم المخالفة لأصل من قواعد الشرع وتأويل المعاصرين لما يخالف العلوم العصرية فأجدر بتأويلات الباطنية أن تكون أشد بطلانا لأنها تحكم فى اللغة بما لا تدل عليه مفرداتها ولا قواعد نحوها ولا بنيانها ، وناقضة لأصول الشرع وقواعده القطعية الثابتة بالاجماع المتواتر والعمل الذى لا مجال للتأويل ولا التحريف فيه كتأويل الاسماعيلية القرامطة السابقين والبهائية والقاديانية اللاحقة ، البهائية الذين يدعون الى الوهية البهاء والقاديانية الذين يدعون الى بنوة ميرزا غلام أحمد » .

هذا ولابد من عرض القضيتين المكملتين للبحث وهما الصوفية والشيعية الغالية .

الفصل الثالث

الصوفية الهندية والفلسفة

كانت مقاومة مفاهيم الصوفية الهندية والفلسفة هي من أحجار الأساس في بناء مفهوم أهل السنة والجماعة القائمة على المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي في مواجهة تلك الجبرية التي تدعى دعاوى باطلة تصرف المسلم عن بذل الجهد ودعوى قرب انتهاء الزمان والتواكل ومن هنا فقد اهتم السيد رشيد رضا بالحديث عن سنن الله في الكون والتماس هذه السنن في معرفة مهمة الانسان في الحياة وان الأمم تمر بمراحل الضعف بعد القوة ثم تعود الى القوة مرة أخرى متى التمس منهج الله ، وان الضعف الذي يمر بالامة الاسلامية لا يعنى انه دليل على نهاية الزمان وانما هي مرحلة تتبعها مرحلة أخرى يستيقظ فيها المسلمون .

وقد رد السيد رشيد رضا هذه المشاعر المتشائمة اليائسة التي تدعو الى الانصراف عن الحياة واعتزالها الى مفاهيم التصوف الهندي والفلسفة الوافد على المسلمين ، والذي لم يعرفه المسلمون في الصدر الأول للإسلام .

وقد عرض السيد رشيد رضا لما تضمنته كتب الصوفية من هذا النوع من المفاهيم الجبرية فأشار الى أن في بعض الكتب الصوفية كثيرا من المعارف والفوائد والمواعظ المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسد في دين هذه الامة ما لم تبلغ الى مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين لأن هذين النوعين لا ينظر فيهما الا بعض المشتغلين بالعلم العقلي ، أما كتب الصوفية فتتضمن فيها جميع طبقات الناس وان كانت أدق عبارة وأخفى إشارة من كتب الفلاسفة ولا شك أن خير صوفية هذه الامة السابقون الذين كانوا لا يتصوفون الا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقه والاعتصام بالعمل على طريقة السلف كالامام الجنيد وطبقته ثم ظهر فيهم الغلاة ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما أنكره عليهم الأئمة . حتى قال الامام الشافعي من تصوف أول النهار لا يأتي آخره الا وهو مجنون ، وانت ترى أن الحارث

المحاسبى من أجل علماء الصوفية وقد روى عنه الجنيد وكان من المتسكين بالسنة بحيث يأخذ مما خلفه والده من المال الكثير دانقا واحدا على شدة فقره وعلل ذلك بأنه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده الا واقفيا أى لا يقول ان القرآن غير مخلوق كما أنه لا يقول هو مخلوق . الف الحارث فى اصول الديانات والزهد على طريق الصوفية فسئل الامام ابو زرعة عنه وعن كتبه فقال للسائل : اياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات وعليك بالآثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب . روى الخطيب بسند صحيح ان الامام احمد سماع كلام المحاسبى وقال لبعض اصحابه ما سمعت فى الحقائق مثل كلام هذا الرجل ولا ارى لك صحبتهم ، انما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم فانه مقام ضيق لا يسلكه كل احد ويخاف على من يسلكه ان لا يوفيه حقه (م ٧٥٤/٣٠) .

وخاصة هذا الزمان وعوامه أولى بأن لا ينظروا فى كتب من لا يعدون من طبقة الحارث بحيث ان امام السنة الأعظم فى عصره أحمد بن حنبل لم ينكر شيئا مما سمع من كلامه بمخالفة الكتاب والسنة وانما انكره هو لأنه شىء جديد مبتدع فى أمر الدين يشغل الناظر عن كتاب الله وسنة رسوله ونهى عن صحبتهم لذلك أو لضيق مسلكهم وكونه لا يفهمه ولا يستفيد منه الا من هو مثلهم فما نقول بما جاء بعد هؤلاء من أصحاب القول بوحدة الوجود وغير ذلك من البدع المصادمة للنصوص كمحى الدين بن عربى الذى يقول فى خططه وفتوحاته :

الرب حق والعبد حق

يا ليت شعرى من المكلف

ان قلت عبد فذاك ميت

أو قلت ربى أنى يكلف

ومن شعره فى ديوانه : (وما الكلب والخنزير الا الهنا) .

وذكر الشعرانى وهو أشهر داعية فى عصره الى خرافات الصوفية انه سأل شيخه فى التصوف عليا الخواص : لماذا يتأول العلماء ما يتشكل ظاهره من نصوص الكتاب والسنة دون المشكل من كلام العارفين فأجابه بأن سبب ذلك القطع لعصمة القرآن وما صح عن الرسول صلى الله عليه

وسلم في أمر الدين وعدم عصمة هؤلاء الشيوخ من الخطأ بالمعنى في كتابه الدرر والجواهر وهذا حق .

ويقول السيد رشيد رضا : ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا في علم الكتاب والسنة أتم الرسوخ وعارفا بالنصوف معرفته علم وذوق وعمل وقد اخذ الله تعالى هذا للعالمين العاملين : شيخ الاسلام ابي اسماعيل الهروي الانصارى ومجدد الاسلام ابن القيم الدمشقي جمع الأول ذلك التصوف جمعا موجزا في كتابه منازل السائرين وشرحه الثاني في كتابه مدارج السالكين وقد قدم صاحب المنار في (المجلد ١٩) تعريف بالكتابين وقال : علماء الاسلام صنفان : علماء الاثر وهم علماء المنقول وعلماء المنقول ومن كل صنف مفسرون وفقهاء ولا يكاد يكون الاثرى متكلمًا وقد يكون صوفيا في النادر .

وان علم الاثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا بالآخر ، ووجد من كل طائفة علماء اعلام صالحوا المتكلمين بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، وصالحوا الصوفية وخدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتقرير الأخلاق والآداب ، والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والأحكام المدنية والسياسية ولكن كل هذه الفرق دخلت اليها البدع ففرق المسلمون الى فرق وأحداث كثيرة .

وأشار السيد رشيد رضا الى انحراف المتصوفة عن الصراط السوي حتى لم يبق عندهم الا الرسول ، فقد تمسكوا بجبل الأوهام والابهام ، أعدوا الطريق أحيولة للجاه وحيلة للمفاخرة والمباراة وغلبة الأهواء ، وما بقي من علم القوم الا شتىقة اللسان رزخرفة الكلام بالالفاظ لا يفكرون بمعناها ، وكلمات لا يعرفون مرماها كالسحر والدجل والادلال والسطح والفرق والجمع ، ليس لهم من العمل الا ضرب الدفوف ودق النفارات والصنوج والنفخ بمزمار الشسبابة بل والضرب بالآلات الأوتار والتغنى بالأنشعار الغرامية المبهجة للنفوس ، كأشعار عمر بن الفارض ويسمونه كل ذلك عبادة ، وحالة الذكر الذي حققوه كالرقص . (م ١/٦٢٦) .

وأشار الى انحراف التصوف بعد أن كان في القرن الأول زهدا خالصا

لا يصرف عن عجل الدنيا فقال : لما توسع أهل القرن الرابع في الشرع وتعيين المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الالهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا والبسوا لباسا اسلاميا فجعلوه علما مخصوصا يعرف باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن ، وبعد أن كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا اعتقاديا بحثا وجاء منهم في القرن الخامس وما بعده غلاة رأوا مجالا في جهل أكثر الأمة لأن يجوز بينهم مقاما كمقام النبوة بل الالهية باسم الولاية والقطبان والغوثية فوسّعوا فلسفة التصوف بأحكام بنوها على زخرف القاويلات والكشف والتحكمات .

وقد عرض السيد رشيد رضا في مجلدات المنار الأربعة والثلاثين لعشرات من شبهات الصوفية وتحدث عن معظم الفرق الموجودة في العالم الاسلامي كالرفاعية والنقشبندية والشاذلية وأشار الى انحرافات هذه الطرق وأهمها علوم الاعتصام بالمأثور في الذكر بالاسماء المقررة واستعمال عبارات هو هو آه آه ، وأشار الى كتاب الكلم الطيب من أركان النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال : ان أهم ما انفرد به ابن القيم بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم وانواقهم ومقاماتهم وأحوالهم وذلك في شرحه لكتاب منازل السائرين لشيخ الاسلام أبى اسماعيل الهروي ، ومن ذلك قوله : الصوفية ثلاث : صوفية الأرزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق ، وقد ضل بما دخل في الاسلام من باب فلسفتهم الروحية أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية من الهية وطبيعية ويرجع ذلك الى جهل شيوخهم بالسنة النبوية ، فمن أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشرعية وجعل الأمر الكوني القدرى كالأمر الشرعى في كون كل منهما يجب الرضا به والاذعان والاستسلام له .

ومن مفاسد قولهم : الرضا بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الأفراد وحقوق الأمة ومن مفاسده الجبر وسلب الاختيار وما ابتدعوه من الأكار والأوراد والسماع وتعظيم القبور وجعلوه من شعائر الاسلام

فان عمدتهم فيه أنهم ذاقوا ما أثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء
والرغبة في الآخرة .

ومن أصول تلك الضلالات دعوى أن للدين ظاهرا وباطنا مخالفا
لما يفهم الجمهور منه وهذه الضلالة من ابتداع زنادقة الباطنية وقد كانت
سببا لارتداد كثير من المسلمين فكانت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية
والدروز والبابية والبهائية وغيرهم ، ومنها اصل الأصول في غلاتهم
وهو ما يعبرون عنه بوحدة الوجود بالمعنى الذى عليه الكتاب المسمى
بالانسان الكامل وأمثاله ، وهذا الأصل مخالف لنصوص القرآن الصريحة
ولنصوص السنة الصحيحة وفيه مفسد كثيرة جدا .

وقد اقتبست كل فرقة أصيبت بفتنة تأويل ما يخالف مذاهبهم وآرائهم
من آيات الكتاب العزيز وفنون الأحاديث حتى أنهم ليؤولون السنن العملية
أو يعارضونها بروايات قولية شاذة ومنكرة ، وغلاة الصوفية أبرع الفرق
في التأويل وأشدهم اسرافا فيه بعد الباطنية الذين يشبهونه بهم كثيرا ،
ذلك بأنهم لا يلتزمون في التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج
باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكتابة بل يزدون
على ذلك باب الكشف وباب الاشارة وباب الرمز ولذلك نرى كلامهم ممزوجا
بالآيات والأحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التى تدل عايتها في اللغة
ولأجله نرى كلامهم مقبولا عند الجماهير من غير تأمل أو تفكير حتى أن
المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون
على كل من يخالف ظواهر النصوص . (م ٥٢/١٩) .

وقد حرص السيد رشيد رضا رغبة منه في تصحيح مفاهيم الصوفية
أن يورد ما قاله أئمة الاسلام وأعلامه في مفهوم التصوف الصحيح فأورد
نصوصا للحافظ ابن الجوزى والامام ابن تيمية — أما الحافظ ابن الجوزى
فقد أشار في كتابه تلبيس ابليس الى متصوفة الرسوم فقال : كانت النسبة
الى الاسلام والايمان فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ
اقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة
واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها .

ظهر الاسم للقوم قبل سنة مئتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه

وأشاروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرزيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإصلاح والصدق وأول تلبيس للشيطان عليهم أن صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما انطفأ مصباح العلم تخبطوا في الظلمات فمنهم من غلا في ترك الدنيا وهى قوام مصالح الخلق ومنهم من أغرى بتعذيب النفس بالجوع والعري والفقر الاختياري ومنهم من غلبت عليه الخيالات حتى قالوا بالحلول والاتحاد . (م ٢٢ / ١٧٣) .

كما أورد لشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فتوى في الصوفية والفقراء فأشار الى صوفية الأرزاق الذين يقيمون في الخوانك ويأكلون منها وصوفية الرسم : الذين همهم تقليدهم في اللباس والآداب الوضعية .

وقال : ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد في الدنيا والعمل للآخرة ورياضة النفس وتربيته الارادة بالعزائم ومحاسبة النفس وحسن النية والمبالغة في العبادة وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكمال المعرفة بالله تعالى . وسرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك وضلالاتهم وشعائيرهم وشاراتهم ، حتى انهم اخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم وبت الباطنية في التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد للآيات والاحاديث وطبيعة الازعان لكل ما يأمر به السالكين وشيوخهم وأن كان منكرا وعدم الإنكار عليهم في شيء ، وكانت الباطنية تقصد بهذه التعاليم افساد دين الاسلام وإبطاله ، وإزالة ملكه بالدسائس التي وضعها عبد الله بن سبأ اليهودي وجماعات المجوس السرية التي بنت في المسلمين دعوة الغلو في التشيع لآل البيت والطمع في أعظم الصحابة لافساد دين العرب وتقويض دعائم ملخهم بالشقاق الداخلي لتتمكن تلك الجمعيات بذلك من إعادة ملك المجوس وسلطان دينهم للذين أزالهما العرب بالاسلام ولولا هذا الاضلال (التأويل والطاعة المطلقة) لما راجت الضلالات والبدع في هذه الطائفة لأن أصل طريقتها تركية النفس بالعلم والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والأخذ بالعزائم ومحاسبة النفس على الخواطر .

وقال الامام ابن تيمية : انه لا سبيل الى تصفية التصوف س البدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح منه قبولاً ورداً بعد بيان

ان الضلالات والبدع المتغلغلة في كتب التصوف قسمان :

١ — ما أخذه الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الاسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والشرع وما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة في ذاتها وأصلها أو في صنعتها وطريقة أدائها حتى ان بعض كبار الفقهاء المتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسيع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال . ولم يراعوا فيه ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط فترى مثل الغزالي من اكبر أئمة علماء الكلام والفقهاء يرغب في بعض العبادات المبتدعة مستدلا عليها بهذه الأحاديث الواهية ، صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ، قال النووي : صلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . والغزالي لم يتوسع في علم السنة الا في آخر عمره ، وكذلك أخذوا بالضعيف الواهي : دعاء الوضوء اذ لا أصل له .

وجملة القول في صوفية المسلمين ان علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين استعملوا عقولهم في الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسع في علم فجاء فيه بما لم يجيء به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب .

فالصوفية اتقنوا علم الأخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة واسرارها وطرق تزكية النفس واصلاحها — وهذا غرض الدين ومقصده — غلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل في كلامهم وأعمالهم من تصوف الأمم السابقة ومن البدع ما ينكره الاسلام فالمتكلمون أيضا قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والقياس والأخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وكل من في هذا العصر من المنتحلين لطرق الصوفية هو منتم الى أحد مذاهب الفقهاء والمتكلمين .

وقال السيد رشيد رضا : ان للتصوف كتباً أكثر ما فيها منصوص

أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له ، وبعضها بدع تلصق به الصاقي
بشبهات وتأويلات باطلة . أحسن الكتب في تصوف الحقائق وأسلمها
من مخالفة الكتاب والسنة فيما نعلم كتاب : مدارج السالكين .

ثم تسأل كيف تكون الحاجة الى كتاب مع وجود الكتاب والسنة
وقال : جوابه ان علمي الكلام والفقه يشاركان التصوف في هذا السؤال
وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان أصول
العقائد التي تستند الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع وأنبيائها
بالدلالة النظرية الفنية التي كانت مألوفة بانتشار كتب الفلسفة ورد شبهات
المخالفين على هذه العقائد ، كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان
طريقة التربية والتأديب بالآداب المنصوصة فيهما والمستنبطة فيهما .

ذكر ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين أمثلة كثيرة لما خالف فيه
المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا
لأقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الأقوال بالأقيسة أو بجعل المتشابه أصلا
للحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الأصولية » .

الفصل الرابع

السنة والشيعة

كان موضع الاختلاف والاتفاق بين أهل السنة وبين الشيعة من الموضوعات الهامة التي أولاها السيد رشيد رضا وقد كانت دعوته : دعوة حارة ودائمة الى ضرورة اتفاقها لمقاومة التحديات الخارجة الخطيرة التي تواجه الاسلام ، وقد عرض السيد رشيد رضا لمفهوم الشيعة المعتدل ولفرق الشيعة الغالبة وفند آراءها ووجهتها وخطرها على الاسلام وناقش كثيرا من دعاة الشيعة الاثنى عشر والزيدية وكذلك ناقش غيرهما. وراجع كتبهم .

يقول السيد رشيد رضا : اننى شددت الحرص على هذا الاتفاق (بين السنة والشيعة) وقد جاهدت في سبيله أكثر من ثلث قرن ولا أعرف احداً من المسلمين أو أظن أنه أشد منى رغبة وحرصاً على ذلك ، وقد ظهر لى باختياري الطويل أن أكثر علماء الشيعة يابون هذا الاتفاق أشد الإباء اذ يعتقدون أنه يناق منافعهم الشخصية من مال وجاه ، وقد تكلمت في هذا مع كثيرين في مصر وسورية والهند والعراق ، ومما علمته بالخبر والخبر أن الشيعة أشد تعصبا وشقاقا لأهل السنة فيما عدا الهند من البلاد الجامعة بين الطائفتين وقد نشطوا في هذا العهد لتأليف الكتب والرسائل في الطعن على السنة والخلفاء الراشدين الذين فتحوا الأمصار ونشروا الاسلام في الاقطار والطعن على حفاظ السنة وأئمتها وفي الأمة العربية بجمليتها . وأشار الى الخلاف مع السيد محسن الأمين العاملى في موقفه من الوهابية وكتب السيد تقى الدين بن تيميه وما كتبه علماء شيعة ايران في الرد على كتاب منهاج السنة لابن تيميه وأشار كذلك الى أبحاث مجلة العرفان وقال ان من مزاعم صاحب مجلة العرفان الذى أقسم عليه يميناً مغلفة أنه لولا على بن أبى طالب لقتل المشركون رسول الله ولم تقم للاسلام قائمة في الأرض .

ويدعو السيد رشيد رضا الى جواز الحوار مع الشيعة الامامية لانهم مسلمون ، لا من البابية او البهائية المارقين وقاعدة المنار الذهبية هي أن نتعاون فيما يتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه فاهل السنة متفقون مع الشيعة على اركان الاسلام الخمسة وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية واعلاء شأن الامة العربية ولغتها واستقلال بلادها وهم يختلفون في :

١ — مسألة الامامة وقد مضى وانقضى الزمن الذي كان فيه هذا الخلاف عمليا .

٢ — في المفاضلة بين الخلفاء الراشدين .

٣ — في عصبة الائمة الاثنى عشر .

٤ — في مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى .

فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن اليه ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه أو تصديقه ممن يثق بهم من العلماء فيجب على محبي الانفاق أن يقنعوهم بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزبا من الطائفتين يعمل بمقتضاها . اننا لا نعرف أحدا من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن في أحد من أئمة آل البيت عليهم السلام كما يطعن هؤلاء الروافض في الصحابة الكرام ولا سيما أبى بكر وعمر وفي أئمة حفاظ السنة كالبخارى ومسلم وكذا الامام أحمد امام أئمة السنة ، وشيخ الاسلام ابن تيميه والحافظ الذهبي وابن حجر وغيرهم فانهم يعدونهم من النواصب لعدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من الغلو في مناقب آل البيت وقد أغناهم الله عن اختلاق المناقب لهم لكثرة مناقبهم الصحيحة اثباتة بالنقل الصحيح ، انما النواصب فهم أولئك الخوارج الذين يبرعون من على كرم الله وجهه . (م ٢٩٠/٣١) .

٢ — وفي موضع آخر تحدث عن غلاة الشيعة ، فقال : انهم كانوا أشد النقم والدواهي التي أصيب بها الاسلام فهم مبتدعو أكثر البدع الفاسدة وهم الذين صدموا وحدته وأضعفوا شوكته وشوهوا جماله وانقضوا كماله وجعلوا توحيده وثنية وأخوته عداوة وبغضام

وبثوا فيه فتنة عبادة اناس لأجل اتسابهم وتقديس اناس لأحسابهم وجعل سعادة الدنيا والدين بوساطتهم عند الله وتأثيرهم في علمه وأرادته على ضد عقيدة القرآن من كون الخالق تبارك وتعالى لا يطرأ على صفاته تأثير من المخلوق .

وجميع الفرق التي ارتدت عن الاسلام من القرون السابقة كانت من غلاة الشيعة فمنهم جميع فرق الباطنية الذين كانوا يلبسون لباس المسلمين ويظهرون التلبيس به لتقبل دعايتهم لهدمه بالتأويل وكانت طائفة البكداشية المنتشرة في بلاد الترك والارناطوط منهم ودعاوى ملاحدة الكماليين الى اللادينية ولبس البرنيطة وإبطال جميع النظم الاجتماعية وتفريق جماعاتها كانوا هم أول من أجاب الدعوة بسرور وارتياح وخرج بعض رؤسائهم بأنهم قد وصلوا الى غايتهم من طريقتهن وهى هدم تعاليم الاسلام والتقصي من أحكامه وسلطانه .

كذلك كان غلاة الشيعة مثارا لأفزع الكوارث التي هدت قوى الاسلام وضعفت الخلافة العباسية ودمرت الحضارة العربية التي كانت زينة الأرض وفخار أهلها وهى كارثة التتار كما كانوا أولياء وأنصارا لأعداء المسلمين أنهم أشد عداوة لهم وفتكا بهم لاسلامهم حتى الصليبيين . وجهت العداوة الشيعية الى أهل السنة خاصة وزال ملك العرب من بلاد الفرس وصار السلطان فيه للترك فاتصل ما كان من عداوتهم للعرب الى الترك على اختلاف طوائفهم ، وكان قد انتشر مذهب السنة في البلاد الايرانية كلها وضعف التشيع فيها ثم زاد وقوى بتعصب الترك العثمانيين فهم الذين كانوا سبب تأسيس دولة شيعية تقابلهم لحماية التشيع وتضطهد السنة ، حتى صارت السنة في بلاد ايران أضعف من المجوسية وقد ثبت شعبة ايران مذهبهم في عرب العراق حتى كاد يكون أكثر البدو لهم يقيمون مأتم الامام الحسين ويلعنون أبا بكر وعمر عليهما أفضل الرضوان الى أن ظهرت جماعة الوهابية .

وقد أهمل أهل السنة في القرون الأخيرة دعوة غير المسلمين الى الاسلام ودعوة المبتدعين الى السنة الى أن حرك دعاة النصرانية بعض مسلمي الهند الى ذلك فحملتهم الغيرة والمباراة على تجديد الدعوة الى الاسلام وقتلها

يفارون من الشيعة فيدعونهم الى السنة كما يدعون هم اهل السنة الى التشيع ، فالشيعة كلهم دعاة الى مذهبهم حتى النساء .

اما الوهابية فقد شرعوا في احياء الاسلام على مذهب اهل السنة والجماعة .

ويقول وقد أصبح من الضروري اليوم مواجهة اللادينيين وملاحدة المتفرجين الذين يحاربون الدين بالشبهات الفلسفية والآراء العلمية والنظريات القانونية والاجتماعية وما يزعمون من معارضة للإصلاحات العصرية ، فنحن نعالج جمود المتفهمة ، ونكافح بدع ادعاء التصوف ونناضل شبهات الملاحدة .

ويقول : ان القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والدروز والنصيرية والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالصوفية والروافضة ومذهبهما الى بث دعوتهم .

وفي بحث مستفيض عن الفكر الشيعي والرد عليه (م ٢٩ / ٢٤) وهو في هذا البحث يتناول معظم القضايا التي اثارها الشيعة الغالية ومنها :

١ — مسألة نكاح المتعة .

٢ — وطعنهم في القرآن بقولهم بل حذف منه الصحابة بعض الآيات وسورة الولاية — أى ولاية على — ويزعمون أن هناك نسخة أخرى خصه النبي بها .

٣ — عصمة الأئمة ولا عصمة عند السنة لأحد من البشر الا للأنبياء . وهم يعصمون أئمة اهل البيت .

٤ — مسألة الامامة العظمى ويزعمون بثبوتها بالنص بحديث غدير / قم .

وقد كشف السيد رشيد رضا زيف هذه الادعاءات جميعها وقال ان الشيعة منهم المعتزلون ومنهم الباطنية الملاحدة أعداء الاسلام ودعوة النار الى الاستقلال في فهم الدين من الكتاب والسنة وترك التقليد وعصبية المذاهب فيه ، وان الاجتهاد الحقيقي هو الاستقلال بأخذ الدين من منابعه ، والسنة المرادة هي اهل السنة والجماعة في مقابلة اهل البدع كالروافض . قال على لابن عباس حين أرسله لمحاجة الخوارج : احملهم على السنة

فان القرآن ذو وجوه ، يعنى أنهم يتبادلونه بفسير المراد منه ، أما السنة بمعنى السيرة العملية فلا يمكن تأويلها ، وفي رسائل السنة والشيعه (م ٦٧١ / ٢٩) يقول :

كان مبتدع أصول التشيع يهودى اسمه عبد الله بن سبأ أظهر الاسلام خداعا للمسلمين ودعا الى الكلام فى على كرم الله وجهه لأجل تفريق هذه الامة وافساد دينها ودنياها عليها كما فعل أمثاله فى النصرانية قديما وحديثا وسبب ذلك ما كان من العداوة والقتال بين تفرقة اليهود وبين النبى وكانوا هم المعتدين وقد ابتدع اليهودى بدعة واعانه عليها آخرون من اهل ملته .

وسرت بدع التشيع وانتشرت بين المسلمين بالدعاية السرية وكانت أقوى الأسباب فى العداوة السياسية بين كبراء الصحابة بما كان يسمى بسوء التفاهم وحسن النية ومن يراجع واقعة الجمل فى تاريخ ابن الاثير مثلا يرى مبلغ تأثير افساد السبئيين لذات البين وحيلولتهم بالمكر والفساد دون ما كان يقع من الصلح وقد طعنوا فى على وهم الدعاة الى القول بالوهيته ، ولولا أن خلف زنادقة الفرس هؤلاء السبئيين فى ادارة الدعاية بين المسلمين بالتشيع والغلو فى على وأولاده وأحفاده الطاهرين . احفظ قلوبهم ما قام به الخليفتين وثل عرش كسرى والقضاء على ديانتهم المجوسية وليس لدى العجز من الثار بالقوة الحربية الا المكاييد السرية فتولى مهرة من رجال الفرس امرها ، فمنهم من تولى السعى لافساد دين العرب الذين انتصروا بتعاليمه وجمع لكلمتهم على الفرس وغيرهم ومنهم من تولى السعى للافساد السياسى بتحويل الخلافة الى العلويين ، ثم صاروا يكيدون للعباسيين ما قام به البرامكة من جعل جميع ادارة ملك الرشيد فى أيديهم ، وكان اذكى من فطن لدسائس البرامكة والحاد الشيعة الباطنية وهيمته على كثير من دقائقه العلامة القاضى أبو بكر بن العربى الاندلسى كما نوه عنه فى رحلته وفى كتابه (العواصم من القواصم) ويليهِ حكم المؤرخ ابن خلدون فقد أشار اليه فى مقدمة تاريخية وكان من تعليم غلاة الشيعة بدعة عصمة الائمة الذين استخدموا اسماءهم وشهرتهم لترويج سياسيتهم وبدعة تحريف القرآن والقصص منهم بغريبتهم ثم البدع المتعلقة بالقائم المنتظر محمد المهدي

وكونه هو الذى يظهر القرآن التام الصحيح الذى يزعمون ان عليا كتبه بيده بعد وفاة النبى وفتحهم ابواب التأويلات لنصوصه بما لا يتفق مع شىء من قواعد اللغة . وقول بعضهم بالوهية بعض ائمة اهل البيت الموروثة عن الاسماعيلية وغير الموروثة عن غيرهم من الباطنية وكان من بين من أطلق عليهم لقب الشيعة اناس من اهل السنة والجماعة كانوا يرون ان عليا احق بالخلافة ولكن لم يقل احد من هؤلاء ببطلان خلافة الثلاثة ، فاهل السنة سلفهم وخلفهم يعتقدون ان معاوية كان باغيا على الامام الحق امير المؤمنين وانه قدر بدهائه وسياسته على تأليف قوة عظيمة له ولكن الجمهور تأولوا بانه كان مجتهدا اخطأ في اجتهاده .

وقد انقسم الشيعة الذين يحافظون على اركان الاسلام الى (غلاة) أطلق عليهم اسم (الرافضة) والى معتدلين وهم الذين عرفوا باسم الزيدية لاتباعهم للامام زيد بن علي الذى أنكر على الغلاة البراءة من أبى وعمر فرفضوه ومن الغريب أن يشتد أمر زنادقة الباطنية على كثير من مسلمى الشيعة حتى اهل العلم بينهم والزكاة ووصف التشيع كان يطلق كثيرا على من عرفوا بالمبالغة في حب آل البيت النبوى ومدحهم وذم الظالمين لهم ، والشيعة الامامية قوم معتدلون قرييون من الزيدية ومنهم علاة قرييون من الباطنية وهم الذين لقحوا ببعض تعاليمهم الاحادية كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته وأغربها في زعمهم سورة خاصة باهل البيت يتناقلونها بينهم .

هؤلاء الامامية الاثنى عشرية يلقتون بالجعفرية وينقسم جمهورهم الى اصوليين واخباريين . والاستعداد في الامامية للغلو وفرت الكثير من بينهم من زندقة الباطنية ، ظهرت فيهم وراجت بينهم ، بدعة البابية والبهاية الذين يقولون بالوهية البهاء ونسخ للدين الاسلامى وابطاله لجميع مذاهبه .

كان من قواعد الاسلام التى وضعها جمال الدين وجوب السعى لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التى يحميها القرآن المجيد المعصوم ورسالة محمد والاستعانة على ذلك بالسياسة التى كانت السبب لهذا التفرق الذى البس بعد ذلك لباس الدين . وقد عنيت بالسعى للتأليف بين السنة والشيعة .

وأشار الى أنه لما أعلن الشاه مظفر الدين حكومة الشورى في ايران
نوهنا بعمله في المجلد السابع والثامن من المنار وفضلناه على سائر ملوك
المسلمين اذ بينا أن حكومة الشورى هي حكومة القرآن وقد أظهر الله دولة
السنة باستيلاء امامها عبدالعزيز آل سعود على مهد الاسلام وقيامه باحياء
السنن وهدم مباني البدع فأيدناه وسعينا للتأليف بين الوهابية والشيعة ،
والتقارب بين مذهب الزيدية ومذهب السنة لقربه من السنة ؛ وأشار الى
سوء أمر مؤتمر النجف للشيعة العراقي وامارات نشر الالحاد في ايران .

الفصل الخامس

مواجهة الأخطار والتحديات

في نطاق العمل من أجل توسيد خطط حركة الإصلاح عند حد تصحيح المفاهيم في مجال تفسير القرآن أو احياء مفهوم أهل السنة والجماعة أو الالتقاء بين السنة والشيعة مضي المنار الى الغاية في مواجهة الأخطار والتحديات في مختلف مجالاتها في مختلف ميادينها .

وقد ركز في هذا الباب على الاستثراق ودعاة التغريب من أتباعه في البلاد الإسلامية كما عرض للبهائية والقاديانية وتناول ما قدمه طه حسين ولطفى السيد وجرى زيدان وسلامة موسى ومحمود عزمى وكتاب دائرة المعارف الإسلامية .

وفي مصطلحات تلك الفترة كانوا يطلقون على دعاة التغريب عبارة (الملاحدة المتفرنجون) ولأنهم كانوا يدعون الى التجديد فقد أطلق عليهم السيد رشيد رضا « جمعية تجديد الاحاد والزندقة والاباحة المطلقة » (م ٣٨٧/٢٧) يقول : تصدى لزعامة التحديات واحتكار لقب المجددين أفراد هدامون غير بنائين يدعوى الأمة الى ترك هداية الدين والتجرد من لبوس الفضيلة والتشرف بلبس البرنيطة واباحة ملامسة النساء للرجال في الرقص والسباحة والخلو والسياسة ومعاقرة الخمر وما يتبع ذلك من ضروب الفسق وينعون على المرأة أن يكون جل همها في الحياة الاستعداد للقيام بما خلقها الله لأجله حق القيام وميزها به على الرجل . وهم يغرون الشباب بالاحاد ويزينون لهم اتباع الشهوات ليتخذوا منهم ومن النساء حقدا وحسبكم من سفه الراى التسليم لهم بأن القديم قبيح يجب تركه واحتقاره لأنه قديم » .

ولما كانت دعوة التغريبيين هي التجديد فقد وصفه بأنه « تجديد الاحاد والاباحة والخلاعة والدعوة الى الرزيلة برسم الادب المكشوف والتنفير من الفضيلة بدعوى الحرية وتحرير المرأة الشرقية وتقليد الحضارة الغربية وكلها تعابير قديمة لا جديدة كما يعلم المطلعون على تاريخ اثني عشر

ورومية وغيرها من عواصم الشعوب القديمة وهى التى اضعفت دولها
وذهبت باستقلالها :

**« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا منرفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدمرا » .**

وقد حاول انتحال هذا اللقب الشريف (التجديد) زعنة من الملاحدة
فى هذا البلد العظيم ، ليس لاحد منهم امتياز فيه بالعلم والحكمة . وانما كل
ما اوتوا او حملوا من البضاعة فى هذا السوق ثرثرة فى الكلام وسفسطة
فى الجدل وجراة على تلبيس الحق بالباطل وسفاهة فى الطعن على من يخالفهم
او يرد عليهم ولكن بالتهتك الصريح لا بالبرهان الصحيح ، فالصدق لا حرمة له
عندهم وباطراء غلاة الترك الذين نبذوا الاسلام وراءهم جهودهم حتى
فى هدم جميع اركان الحرية : هذا الذى يسطرونه من غلو ملاحدة الترك
ليس تجديد منهم بل نجم فى الجيل الماضى منهم ، وكان من تراثه فى هذا
الجيل زوال السلطة العثمانية التى كانت اعظم سلطة فى اوربا وآسيا
وافريقية وهم يريدون ان يعتدى بها فى الحادها ونبذ هداية الدين ،
وهم يقلدون ملاحدة اوربا فى عداوة رجال الدين تقليدا ، فهذا التقليد الاعمى
هو الذى يحملهم على الصد عن الدين بالتشكيك فى عقائده والطعن فى احكامه
وآدابه والتحقير لرجاله . ودعوى ابطال العلم والفلسفة له واتهام علمائه
بانهم عقبة كؤود فى طريق ترقى الأمة ، وبعد ذلك ما تحدث به محمود عزمى
فى الجامعة المصرية عن حقوق المرأة وما تحدث به فخرى فرج ميخائيل
فى الجامعة الأمريكية من وجوب مساواة النساء بالرجال حتى فى الطلاق
والميراث (م ٣١) .

٣ — ويقرر السيد رشيد رضا أن جمعية تجديد الاحاد لم تقنع بصد
الشعب المصرى والشعوب العربية عن الدين وتشككها فيه تمهيدا لابطاح
الأعراض وعبادة الشهوات وتقليد الامرنج مما يسهل التقليد فى مجال
الفواحش والمنكرات بل نراهم يعتنون بتحقيق آداب اللغة العربية ليجردوا
الأمة من هذا الفضل المنطقى الذى يفضلها عن غيرها من الأمم ويثبت لها
استقلالها خاصا بمقومات خاصة ومشخصات خاصة . وقد بدأ هؤلاء الزنادقة
بهدم الدين هدمًا مطلقًا لا هدم تجديد كما يدعون ، وهدم الشريعة الإسلامية

لاستبدال التشريع الأوربي به ، ثم أسرفوا في تحقير آداب اللغة برغم
تحديدتها بآداب لغات سادتهم الأفرنج .

وقد ألف طه حسين كتيباً كذب فيه نقله اللغة العربية ورواتها
فيما روه من شعر العرب في عصر الجاهلية وزعم أنهم هم الذين أوضعوا
المعلقات السبع وأمدوها على امرئ القيس وطرفة وغيره واستطرد إلى
تكذيب كتاب الله وتكذيب خاتم رساله في اسناد بناء بيته الحرام إلى ابراهيم
واسماعيل عليهما السلام وفي غير ذلك ، وجعل ذلك من الأساطير التي
لا يثبتها العلم ، ولم يقل أحد أن وثائق التاريخ يتوقف ثبوتها على عدم
نفي العلم لما رواه الرواة عنها ، فخير بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام
لبيت الله تعالى تناقلته الأمم العربية بالتواتر المؤيد بتقاليد دين عميلة ،
ثم اثبتته الوحي الالهي الثابت بالآيات القطعية ولا يوجد دليل علمي يعارضه
في معنى قوله أن العلم لا يثبت .

ويقول : لقد عمد دعاة الزندقة في هدم مقومات هذه الأمة ومثلخصاتها
ووصفها بالقديمية وشبهتهم عليه أن كل قديم فهو قبيح يجب تركه
ومن المعلوم أن حسن الأشياء وقيمتها الحقيقية في ذاتها ومبادئها ، لا في قدمها
ولا في جدتها ، وما من قديم الا وكان جديداً ولا جديداً الا وسيكون قديماً ،
ومن لا قديم له لا جديد له بل لا وجود له . وانما الأمم بتاريخها ، ومن الغريب
أننا نراهم يدعون إلى انتحال ما هو أقدم مما يذمون من قديم أمتهم كالادب
الاغريقي والشعر الاغريقي الذي هو دون الأدب والشعر العربي الجاهلي
والاسلامي » (م ٣٨٧/٢٧) .

٣ - ويتحدث عن دعاة التغريب هؤلاء فيقول : انما حجتهم على عامة
المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين وذهمهم
لعصبية الدين وأن لهؤلاء الملاحدة لقوة على غسيرهم لا من انفسهم ولكنهم
يعتزون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكاييد لا يفتنون لها ، وان المؤمنين
لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها ، وانما بقاء الباطل في غفلة الحق ، فإذا قذف
عليه دفعة وان بقاء الباطل لالى زوال : « وما كيد الكافرين الا في ضلال » .

ويقول : ولقد كان ملاحدة طغرنا هذا أخبث ملاحدة المسلمين وأخوفهم
من اظهار الكفر على كونهم أجراهم على الجهر بالفسق ثم تجزأ أفرادهم

منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ومنهم من كتب أو رسائل في ذلك ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الالحاد والظلم في عقائد الدين وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبعث الوسوس وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه ، وان لهم لانصارا في القصور والدواوين وفي المدارس وأكبر معاهد الدين وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كنوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم ، من أهل الحق ، وانهم ليجتلبون الباب المتحليل من الشبان والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو أشد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » (م ١٩ المنار ١٩١٦) .

٤ — وفي أكثر من موضع يتحدث عن فتنة ملاحدة الترك في سوريا ومضر الذين ينوهون بكفر الترك الكماليين ويثبون في كل خطوة من خطواتهم جريدة السياسة ومراسلها عمر رضا الذي يمدحها كل أسبوع بمقال ينوه فيها بأعمالهم ويحكي كفرهم وضلالهم (م ٢٢٧/٢٩) . ويقول : يود ملاحدة الكماليين من الترك لو يقتدى بهم مسلمو العرب في العراق وسوريا ومصر ومسلمو العجم في سائر الترك والتتار والأفغان والفرس ميثكون الاسلام مثلهم ، وان ملاحدة الترك هم الذين يثبون الدعوة الى تشويه الدولة العثمانية ويثبون الدعوة الى الالحاد ويحرضون الزنادقة والمرتابين على ترك الاسلام واحتقار تشريع وآدابه ولبس قلانس الأفرنج وأثارة الفيرة القومية والعصبية الجنسية ، ويقول انه قلما ثبت لهؤلاء الملاحدة نسب صحيح في الشعب التركي الذي صار عريقا في الاسلام ، بل هم أوشاب منهم الروسى والرومى والبلغاني واليهودى الأصل وقد سلطوا على افساد هذا الشعب بدعاية العصبية الجنسية وترجمتهم للقوانين الأوربية ولبسهم البرنيطة وان السواد الأعظم من الترك يمتقون هؤلاء الكماليين أشد مما كانوا يمتقنون اخوانهم الاتجاديين » (م ٧١/٢٧) .

٥ — ويكشف السيد رشيد رضا عن موقف المتفرنجين من دعوة الإصلاح الاسلامى فيقول : انهم فريقان : أحدهما من كان تفرنجهم أثر التعليم العصرى والتربية الفرنجية ، التى حجب اليهم ما لقنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل ان يلتفتوا ما لامتهم من ذلك ويتربوا عليه . (ثانيهما) : من يتفرنجون تقليدا للفريق الأول من قومهم الحكام والأغنياء تقريبا اليهم ، وقد فتنى هذا التفرنج فى المسلمين بالمدارس الفرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية التى انشئت لتقليد الفرنج فى تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضع الحاجة ، على حين كان العلم بمقومات الأمة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسى والاجتماعى وما بقى منه أمسى مشوبا بما ليس فيه من البدع والدخيل ، وفى أثناء هوى الأمة الاسلامية فى هذه الهاوية من الحال منذ عدة قرون كان الفرنج يصعدون فى مراعى العلم الاستقلالى والتربية الاجتماعية على علم ونظام يهتدون فيه لسنن : الله فى خلق الانسان والأكوان .

وهناك فرق بين المتفرنج المقلد والمصلح المستقل ، فالمصلحون يدعون الى الاعتبار بما أوتى الفرنج من العلوم والفنون ، وما أتقنوا من الأعمال والبحث فى أسباب ذلك وطرقه والوصول الى ما تحتاج اليه امتهم منه . ومن المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بآرائهم ، وان استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أمم أخرى مخالفة للمسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصلحتهم ، ومنهم من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من انفساد ذمتهم وهدم شرعهم الذى هو أعظم مقومات امتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الإصلاح . ان بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعى امكن الجمع بينه وبين أصوله كلها استهجانا لها بزعم أنها وضعت لقوم لم يقفوا الى الكمال الانسانى الذى ارتقى اليه هؤلاء المتفرنجون . ومن أهم أصوله اباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الاخدان بكل عذراء تجاوزت الأربعة عشر ، جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التى ترد عليها فى هذه المقالات (أحمد صفوت) .

٦ — ويشير السيد رشيد رضا الى أن اللورد كرومر فى كتابه مصر الحديثة بين من فضائح المتفرنجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا

وقد أشار الى مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون غفهم من شئون الحضارة بما قاله في أحد تقاريره عن مصر عن ذكر وفاة الأستاذ الامام وهو أن الشيخ وحزبه المعتدل يشترطون في ذلك المحافظة على أصول الاسلام خلافا لمن لا يبالون في هذا السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الأمة ، وأشار الى غلاة المتفرنجين المارقين من الذين يحاربون اصوله وفروعه وينفتون سموم الكفر والفسق في اهله ، وشذوذ الغلاة في وجهة بعضهم في انكار ما عليه الأمة من العقائد والعادات ، وقال صاحب المنار : ان من المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين بعضها حكام كل قطر بآرائهم وان استمدوا اصولها وفروعها من قوانين الأمم الأخرى المخالفين للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم وان من هؤلاء المتفرنجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد دينهم وهدم شريعتهم التي هي اعظم مقومات امتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من دعاوى الاصلاح (م ٢٠ / ١٩١٧) .

٧ - ويتناول السيد رشيد رضا هذا الموضوع في موضع آخر فيتحدث عن دورهم في الصحافة ويقول انهم ابتدعوا دعاية شرا من دعاية المبشرين وهى دعوة جمهور الأمة الى التعطيل والاحاد وما يترتب عليهما من الزندقة وإباحة الأعراض والأصول وانتهاك حرمت الفضائل والآداب وحل جميع الروابط التي تتكون منها الأمة من مقومات ومشخصات ، لا يراعى في شيء من اقتراح هذه المفاسد الا القاء عقاب الحكومة على مخالفة قوانينها . وحجتهم على هذا الانسداد كله أن كل ما كانت به الأمة أمة في الماضي قد صار قديما باليا ضارا يجب أن يستبدل به غيره من الجديد نقتبس من النظريات والآداب والتقاليد والأزياء الأوروبية . وقال : اشتد عصف هذه الرياح المتناوحة التي تهب عليهم مما ينشر في الصحف الضارة من المصنفات المفسدة وقلما توجد في البلاد جريدة أو مجلة تتجنب ما يضر الجمهور في عقائدهم وآدابهم وتتحرى ما يعتقد أنه النافع . ويقول : توجد جرائد يومية وأسبوعية ومجلات تتوخى وتتحرى وتتعمد الدعاية الى هذا الهدم والتجديد على تفاوت بينها في التصريح والتعريض أو التفرنج وأشدّها جريدة « السياسة » التي يكلها الحزب الحر الدستوري ومعها في ذلك بل أشد « مجلة الهلال »

المشاركة لها في أشهر محرريها التي تدعى أنها لسان حال الشبان العصريين
ففى كل جزء من أجزائها عدة مقالات لدعاة تجديد الاحاد والزندقة والاباحة
المطلقة وقلما تنشر لغيرهم شيئا يخالفه ، وحسبك أن (سلامة موسى)
هو الركن الثابت المتين فى تحريرها وهو لا يكتفى بما ينشر له من المقالات ،
فى ذلك ، بل يطبع له فى كل عام كتابا فى تأييد هذه الدعاية الهادمة للأمة
المصرية ولكل أمة شرقية تعترز بفلسفة المادية الامسادية .

وقد زاد هذا الرجل على اخوانه بأنه يدمو الى خلع الجنسية والوطنية
والانضمام الى دولة أجنبية ، ثم انها تنشر مجلات أسبوعية مصورة
(أى دار الهلال) تجرى قراءها على نبذ كل عفة وصيانة وفضيلة سمعت
عنها ، ثم ظهرت منذ سنين مجلة أخرى أشد جراءة على هدم الدين والجهر
بالطعن فيه بسخافات من النظريات الفلسفية العصرية ظهر غرور صاحبها
فى دعوى العلم والفلسفة ، وفى معرفة الدين أيضا ، كما يترجمون بعض
الكتب والصحف الامرنجية يأخذونها قضية مسلمة (لعله يقصد مجلة
العصور لاسماعيل مظهر) ، وقد اقتفت أثر هذه الصحف مجلة جديدة
انشئت فى حلب فأنكر عليها بعض الناس ما نشرته من حكاية طعن فى الاسلام
لأن أكثرهم لا يزال غافلا عما تعنيه بالجديد والحديث والاستغناء عن القديم
وان المراد ترك الاسلام من أساسه (مجلة الحديث لصاحبها سامى الكيالى)
ولولا جهود مقلدة الفقهاء الذين احتكروا التعليم الدينى فى بلاد الاسلام
منذ قرون ولولا بدع أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم وهم الذين كان سلفهم
يعنون بالتربية الدينية ليكون الدين وجدانا عند صاحبه لا يقبل البحث
والجدل فانقلبت بعدهم الى افساد لا يقبل الاصلاح لولا هؤلاء وأولئك
لما كان لهؤلاء المفسدين ولا المبشرين أدنى تأثير فى اغواء المسلمين . ويرى
السيد رشيد رضا اشراك هؤلاء مع الملاحدة فى هدم الاسلام من حيث
لا يشعرون : « فهم يفتنون جميع المتعلمين على الطريقة العصرية الاستقلالية
عن الاسلام من جانب ويقطعون الطريق على حكماء الدين الراسخين
أن ينشروا حقيقتهم التى لا يمكن المراء فيها من جانب ثان وأن يدحضوا
شبهات الماديين والمبشرين عليه من الطرق العلمية التى لا يمكن اقناعهم
أو الزامهم الحجج بدونها من جانب ثالث ، وعنده أن رجال الدين قد انقطعوا
فى عصورهم المتأخرة عن الكتاب والسنة وعن مهنتها على الوجه الصحيح

وهما بلا شك مصدر الحياة والقوة وعليها مدار السعادة التامة ، ومن ذلك قول الشيخ على سرور الزنكلوني : ان سبب التأخر الحقيقي هو عدم فهم الكتاب والسنة على الوجه الصحيح لأن فهمهما كذلك يولد الايمان بهما ايمانا قويا والايمان بهما كذلك لا محالة يولد السعادة والقوة والعمل الصالح رغم الصوارف التي ازدحم بها الوجود فالوجود ملوث بمثل هذه الصوارف منذ بدء الخليقة والصراع قديم بين الخير والشر وبين النور والظلمة .
(م ١١٧/٢٩) .

— ٢ —

وفي ضوء هذه الوجهة مضى السيد رشيد رضا في نقد الفرق الهدامة والنحل الباطنية وكان الاستشراق في مقدمة هذه الموسعات وقد بدأ الشيخ محمد عبده هذه الخطة برده على هانوتو ، وتزييف المفاهيم التي قدمها (فرح أنطون) صاحب مجلة الجامعة وقد انطلقت دعاوى المستشرقين من الخطة التي بدأها اللورد كرومر في تهجمه على الشريعة الاسلامية ، ووصفها بأنها صحراوية وقد رد عليه فريد وجدي ومصطفى الغلاني وتناول جانباً من الرد عليها السيد رشيد رضا بعد صدور كتاب (مصر الحديثة) لكرومر الذي أعاد نشر هذه الشبهات .

وقد مضى هانوتو على نفس المخطط حين قال بأن الدين الاسلامي يحول دون تقدم المسلمين .

ودخلت جريدة المؤيد وجريدة اللواء الميدان وترجم أحمد فتحي زغول كتاب (الاسلام خواطر وسوانح) من تأليف الكونت هنري دي كاستري وهو من أحسن الأوربيين رأياً في الاسلام وأحسنهم دفاعاً عنه ، ليكون عبرة في بيان حقيقة الاسلام وكان رد الشيخ محمد عبده عليه مقحماً وقد نشر الرد في المؤيد وفي المنار بأَمْضاء رمزي وقد خطأ الذين كتبوا دعوته الى الفصل بين السلطة الدينية والسياسية وقال السيد رشيد رضا انها من أهم المسائل التي تطلبها أوربا من المسلمين ، وان الجرائد التي تدعو الشرقيين من المسلمين الى مدنية أوربا تجتهد في اقامة الحجة على أن هذا النجاح موقوف على هذا الفصل ، وقد كتب المنار في هذا تحت عنوان « الدين والدولة » والخلافة والسلطة » (م ٣٣٧/٣) وما بعدها و (م ٥٧٧/٥) .

وتابع السيد رشيد رضا كل دعاوى الاستشراق ورد عليها وفي مقدمتها كتاب مرجليوت عن النبی صلی الله علیه وسلم قال السيد رشيد رضا (م ٥٢٣/٩) :

قال في مقدمته : انه يعد النبي محمدا من أعظم الرجال وانه حل معضلة سياسية هي تكوين دولة عظيمة في قبائل العرب وليس من غرضه الدفاع عنه ولا ادانته وليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولا تنقيحه والطنن فيه . يقول : وترى فيما ينتقده على الدكتور مرجليوت أن السبب في أكثر غلطه وخطأه في هذه السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجريء ، وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الأقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله مدم فهم اللغة « وقد أورد له مجموعة من الأخطاء ، منها قوله : كيف أتته فكرة النبوة لمحمد ذلك الرجل العربي دون سواه ، وقوله : ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كأحد أنبياء اسرائيل ، يقول ان هذا يتنافى مع ما زعمه في غير موضع من أنه قام بهذا الأمر عن فكر وتدبير وانه كان يتعلم ويستفيد ، ويدعى أنه ما استفاده من الناس وحى من الله » وكشف السيد رشيد رضا أن مرجليوت في حقيقته حاقد على الاسلام حقد اليهود الدفين وذلك في مغالطاته وشبهاته ، كذلك أشار الى أخطاء لامنس في دعواه عن عرب الاندلس بأنه لم يكن بين المسلمين الذين قاموا بفتح الاندلس الا القليل من العنصر العربي الخالص ، وذلك ليذهب الى القول بأن أكثريتهم من البربر والافريقيين ، يقول : يريد لامنس الشيعوى انكار حقيقة العرب ومدنيتهم الاندلسية والاسلامية ليتخذها حجة على عدم أهليتهم للتمدين والثقيف والسبق في ميدان الحضارة التي تأتي بعكس ما يقرره المتحاملون من أن الاسلام لم يوفق حتى الآن الى تأسيس مدنية راقية .

وأشار الى المستشرق فامبرى اليهودي الذي خدع المسلمين فقد كان استاذاً خصوصياً للسلطان عبد الحميد وأقام في قصر النجم (يلز) زمناً طويلاً وكان يطرى سياسة السلطان عبد الحميد فلما عزل السلطان غير رأيه وكتب مقالات في مجلة القرن التاسع عشر على اثر خلع عبد الحميد بسط فيها آراءه في ذلك الخلع وفي رجال الدولة العثمانية كافة وتوسع

فى نقد عادات الأتراك وسلاطينهم وطعن بهم وبوزرائهم أقبح طعن ونسب الى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب ونسب الأخلأق وسوء التربية وكثف عن ما أسماه رياء هذا المستشرف وخداعه الرأى العام وطعنه فى النهضة الآسيوية والحركة الإسلامية وكان سابقا يؤيد المسلمين ويتظاهر بمصادقة عموم الآسيويين قائلا بوجود مساعدة زعمائهم المفكرين ورجالهم الناهضين فما بال يكتب الآن : « اقطعوا البرعم قبل أن يزهر وبثمر » (م ١٦ / ٦٢٧) .

وفى السنوات الأخيرة للمنار اتسع نطاق البحث فى كتابات المستشرقين فكتب الأمير شكيب أرسلان فى المنار (م ٣٣ / ٤٣٥) فصلا غافيا أشار فيه الى هدف المستشرقين الأساسى حيث يقول : انهم ما استشرقوا ولا خطوا خطوة فى هذا السبيل الا لأجل أن يتعقبوا عورات الإسلام ومثالبه ويخوضوا فى أعراض المسلمين ويبحثوا عن زلاتهم ليجسموها ويعرضونها لأنظار الأوربيين بالشكل المستتب الذى تفتر منه طباعهم وتثور حفاظهم وذلك حتى يزدادوا بغضا للإسلام وبعدا عنه ، هذه الفئة من حيث أن استشراتها هو العمل لخدمة المسيحية وتشويه الإسلام بما أمكن لا تقتصر على تجسيم العورات اذا وقعت عليها بل تبلغ بها سوء القصد أن تقلب الحقائق قلبا وأن ترتكب التزوير عمدا وأن تأخذ بالخواث الجزئية فتعممها فتجعل منها قواعد وكل شئ تعمله هذه الفئة على قاعدة أن الغاية تبرر الوسيلة فالإسلام بزعمها هو شر محض فينبغى أن تنقذ الناس منه بالحق وبالباطل . ومن جملتها لامانس الشيوعى البلجيكى ومارتن هاريمان الألمانى ومرجليوت الانجليزى وفنسفك الذى ذكر عنه الدكتور حسين الهرأوى أنه طعن فى الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن المستشرقين فئة أخرى غرضهم أيضا أن يخدموا المدنية الأوربية والثقافة المسيحية وأن يثبتوا بما أمكنهم بين المسلمين ولكنهم لا يستبجحون ما تستبيحه الفئة الأولى من الكذب والبهتان وقلب الحقائق واللواذ بكل غرض للتمثيل بالإسلام وأهله، هؤلاء يلتزمون فى مباحثهم الطريقة العلمية ولكنهم لا يتخرجون عند أول فرصة تلوح لهم أن يهملوها ويحملوا على الإسلام باسم العلم يزعمهم وأن يجسموا الهنات وأن يعمموا الجزئيات فى الأحايين وأن ينجأهوا

من عندهم من الطاقات الكبرى التى لا تقاس اليها معايب الاسلام فى كثير ولا قليل .

قال مهندس سويسرى لاحسان الجابرى : لقد نشأنا من الصفر على بغض الاسلام ، وريانا آباؤنا ومعلمونا على مبادئ من العداوة للاسلام ، نحن الآن نعلم بطلانها لكننا بنحكم الاستمرار لا نقدر أن نتخلص منها » (م ٢٣ / ٤٣٥) .

وكتب العلامة محمد تقى الدين الهلالي مقالا عن أخطاء المستشرقين وخطاياهم (م ٣٤ / ٥٣٥) قال : ان لهم أخطاء ولهم خطيئات أيضا ، أما أخطاءهم فمنشؤها القصور فأكثر المستشرقين صحفيون فى العلوم الشرقية (الصحفي من يأخذ العلوم من الصحف بدون تلق من العلماء ، والمصحف من يتلقى القرآن من المصحف لا عن القراء والحفاظ) ولنضرب بذلك مثلا حول جورج ساييل أول من ترجم القرآن الى الانجليزية وحدث فى الجزء الأول من القرآن أربعين غلطة وله ترجمة رسائل أبى العلاء مشحونة بالأخطاء ، أما الخطيئات فمرتكبها ثلاثة آخر من المستشرقين (الضرب الأول) : القسيسون المتعصبون كجورج ساييل ومرجليوث وزوير ومن على شاكلتهم الحامل عليها شدة بغضهم للاسلام وللشرق كله من أجل الاسلام . (الضرب الثانى) : السياسيون المستعمرون وفرضهم معروف . (الضرب الثالث) : الأدباء الذين لا يدفعون عن الكذب وزخرف القول ليكتسبوا بذلك المال الوافر والشهرة الواسعة واعجاب القراء الأوربيين الذين يصدقون كل ما يقرعون عن الشرق والشرقيين ، وهناك قسم رابع من المستشرقين بريئون من تعدد الخطيئات منهم توماس كارليل ، وجيبون ، وكوتى .

ويواجه السيد رشيد رضا أخطاء كرومر فى كتابه (مصر الحديثة) فيقول : انه فضل القبط على المسلمين تفضيلا من حيث دينهم وما فيه من المرونة التى تساعد على مجارة المدنية مما لا يساعد الاسلام أهله على زعمه رفع نفسه الى مستوى الحكم فى الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعى محكم من الحيثية الأولى له وعليه

ومن الحيثية الأولى عليه لاله ، وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على اهله عامة حتى في مستقبل أمرهم ، وهو كتاب كتب بمداد الحق والحق وقلم الحفيظة والانتقام من المصريين بما فوقوا اليه من سهام وصوبوا اليه من أسنة أقاتلهم في وقت مفارقتهم لديارهم ، فهو يريد أن يستل من نفوس أحرار قومه فكرة توقيت الاحتلال والخروج من مصر في يوم من الأيام ويقنع أوربا معهم بأنه لا ضمان لحفظ مصالح الأوربيين في مصر بل ولا حفظ مصالح المصريين الا ببقاء الانجليز في مصر ، لأن المصري شديدا التمسك بدينه الذي لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع المدنية كما يحب الأوربيون ويغفون كانت مدنيته تقليدية لا حقيقية ، وكان ذلك شرا على المسلم المتدين واشد عداوة للأوربي وللمسيحي ولو غير أوربي .

ويرى أن تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى املاك انجلترا وما أظهره من الميل الى اعدادهم للاستقلال هو من التمويه وذو الرماد في العيون والهاء المصريين بالأمان والأحلام . (م ١١ ابريل ١٩٠٨) .

- ٤ -

ويواجه السيد رشيد رضا كتاب مصر من دعاة التغريب فيكشف زيفهم ، فهو يدحض مزاعم فرح انطون عن الاسلام التي أوردها في دراسته عن ابن رشد فيقول : انه خطأ اعتماد فلسفة ابن رشد على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رينان أو من الكتب الغربية ، فان صاحب الجامعة شاب لم يتعلم الا مبادئ علوم المدارس في مدرسة كفتين فهو لا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد في بيان ما يفهم كما علم وتعلم مما ينشره فان دين الاسلام مبني على العقل كما صرح القرآن الكريم ، وقد زعم صاحب الجامعة أن الامام الغزالي وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أي بخلاف ما يتفق به كتاب الله ، حاش الله .

ويعارض فكرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في محاضراته التي القاها في احتفال الجامعة المصرية بذكرى « رينان » المفكر الفرنسي الذي هاجم الاسلام يقول السيد رشيد رضا (م ٢٤) : لقد طعن رينان في الاسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن في العرب بأن عقولهم قاصرة بطبيعتها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة وما ذكر في المحاضرة من تلخيص

كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الاسلام شيئاً الا بعض كلام دعاة النصرانية في الجزائر ورجال السياسة الفرنسية ، وقال انه اخطأ في تصوير العقائد المنسوبة الى الاسلام وانه فضل البربر على العرب في العلم والمدنية بدعوى أن أصلهم من برابرة الشمال الأوربيين لا من همج الساميين ، وقال : ان ثناء رينان على جمال الدين وقومه الافغان يرجع الى أنهم من الأرومة الآرية ذات العقل الراقى المستعد للفلسفة العليا التي تستعصى على عقول العرب .

كذلك فقد عارض دعوى محمود عزمى فيما أسماه : « مدنية القوانين » (مجلد ٢٣/٤٣٥) حين دعا الى وضع قانون مدنى للأحوال الشخصية يسمح للمسيحي بأن يتزوج بالمسلمة ، وقال السيد رشيد رضا : ساء بعض المتفرنجين أن دين الدولة المصرية الرسمى « الاسلام » وساعت ملاحدة المتفرنجين المقلدين لأعداء الأديان من الافرنج في الدعوة الى التقصى من روابط الدين ولا سيما السياسية والاجتماعية منها فقام منهم من يقترح من الاصلاح لصر في عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها فتجعلها كلها مدنية لوضع قانونى مدنى للأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغير ذلك ويعنون بالمدنى ما يقابل الدينى وأصبح المقترح على رايه بأن الشريعة الاسلامية غير عادلة لأنها تبيح للمسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية ولا يبيح أن يتزوج غير المسلم امرأة مسلمة .

وقد رد عليه كثيرون في جريدة الاهرام (مايو ١٩٢٢) ومن ذلك السعى لالغاء المحاكم الشرعية (م ٢٣/٤٣٥ ، ٥٣٩ ، ٦٢٥) من سعى المتفرنجين والافرنج لابطال الشريعة ، وقال السيد رشيد : ان النص القطعى في القرآن انما ورد بالنهى عن نكاح المشركات ونكاح المشركين ويحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم انكاحهم .

كما وقف السيد رشيد رضا وقفة حاسمة بالنسبة لكتاب الاسلام واصول الحكم للشيخ على عبد الرازق وعرض لفساد رايه ولحكم هيئة العلماء عليه وقال انه جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا وان الدين لا يمنع من أن جهاد انبى كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لابلأغ الدعوة الى العالمين

وان نظام الملك في عصر النبي كان موضع غموض وابهام واضطراب وكان موجبا للحيرة وأن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشرعية مجردا عن الحكم والتنفيذ وأنكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى أنه لابد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا وإنكار أن القضاء وظيفية شرعية وأن حكومة ابي بكر والخلفاء الراشدين من بعده كانت لا دينية » .

وهاجم سلامة موسى في مطالع حياته وفي أول مؤلفاته (مقدمة السبرمان) مجلد ١٣ ، وقال اننا رأينا المؤلف يتحمس لآراء نيتشي وبليك وشوبنهاور وغيرهم من أصحاب الفلسفة الشاردة التي روحها وملاكها حمل الناس على التفلت من جميع القيود الدينية والأدبية وتقوية الحياة الحيوانية فهم يجب أن يكونوا متسلطين جبابرة أقوياء بدل أن يكونوا عادلين مهذبين رحماء وكان لمثل هذا المؤلف الجديد أن يريد أهل الشرق على التمسك بتلك المذاهب الشاذة ولو أنه رأى لها أثرا قائما بتلك البلاد التي نبت فيها أولئك الفلاسفة أنفسهم ولا يمنع أن يكون لكل ناعق متبعون فإن الشذوذ واختلاف المناحي كان ولا يزال دأب البشر ولكن المتفرنجين منا يريدون تعميم ما يرون لهم في كل بقعة من بلاد الشرق ناصبين أنفسهم من أمتهم منصب المصلحين النافعين وانما هم من المقلدين المساكين الذين لم تقو عقولهم على تمييز الغث من السمين (م ١٣) .

وعرض لكتاب اميل درمنخيم (حياة محمد) وترجمة الدكتور محمد حسين هيكل له ، وقال ان درمنخيم من أقرب المستشرقين الى الصحة في الرواية لأنه اعتمد على المصادر الاسلامية وأوسعها عنده سيرة ابن هشام وأجدرهم بحسن النية فيما أخطأ فيه فإن حاول الجمع بين اعتقاده واعتقاد المسلمين والتقريب بينهما بقدر ما تعطيه بلاغته الفرنسية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتصوير فضائله وأشار الى خطأ درمنخيم في القول بالوحي النفسى للنبي صلى الله عليه وسلم « ويعنون به أنه نابع من نفس النبي وصادر من استعداد فيه وهو ما يعبرون عنه في هذا العهد بالعقل الباطن ونعنى به الروح الغيبى المعبر عنه بقوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

ويقول ان ما نقله هيكَل عن درمنخيم من الكلام عن بدء الوحي المحمدي ومقدماته قد جمع فيه الشبهات التي يمكن الاحتجاج بها على ان هذا الوحي « نفسي » .

وقال انه رد عليه في كتابه (الوحي المحمدي) واثبت ان وحي القرآن من عالم الغيب بما بسطه من كليات مقاصد القرآن العشر واستحالة كونها من عقل محمد واستعداده واستحالة ان يكون ما دونها من العلم والفهم والعمل مما وقع أو يقع مثله لأحد من البشر في سن الكهولة . ويقول : لما قرأت مقدمة (بدء الوحي) عجبت لؤلؤه كيف أقر درمنجم مؤلف الأصل على مزاعمه فيها بعد تفنيدي لها في كتاب الوحي المحمدي وقد اطلع عليه وذكره في الكتب التي استمد من مباحثها في وضعه فان أدري أغفل عن تفنيدي لشبهاتها العشر واثبات الوحي الالهي بكليات ومقاصد القرآن العشر أم ماذا ؟ فهذه المسألة انكر المنكرات في أصل الكتاب ولم يهطن لها الجمهور فيه ولا لفروعها المنكرة وهي كثيرة وقد أنكروا ما هو دونها .

ونشر السيد رشيد رضا بحثاً للأستاذ محمد محمد زهران في نقد كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكَل فقال ان الناس استبشروا به عندما بدأ يكتب عن السيرة ، ولكن بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون من تشويه الحقائق القطعية والاغراق في الباس الباطل ثوب الحق وصوغ الخيالات في قالب الحقائق واقرار ما ليس بثابت عن أئمة الدين وانكار ما هو معلوم للخاصة أو جلها الا وهو انكار جميع المعجزات المحمدية سوى القرآن ولو انه اقتصر على مجرد هذا الانكار لتأولنا وقتلنا لعله أراد ان القرآن هو المعجزة العظمى التي تتضائل في جنبها سائر المعجزات ولكن قد حلل الانكار المذكور بان تلك المعجزات بأسرها مخالفة لسنن الله عز شأنه وأن تجويز شيء منا مناف لما نطق به القرآن من أن تلك السنن لا تتبدل وزعم أن أحاديث المعجزات كلها موضوعة اما لمحاولة ان يجعل له صلى الله عليه وسلم من الآيات مثل ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام واما لتشكيك من يؤمنون بقوله تعالى : « **ولئن تجد لسنة الله تبديلاً** » فهذا نص لا يحتمل تأويلاً في أنه لا يدين بشيء من المعجزات الكونية فانه قرر أن وقوع شيء منها تبديل للسنن الالهية وانه محال ، ويا ليت شعري ماذا يصنع بالآي القرآنية والعامّة من المسلمين . وقال انه هناك أمر واحد أساسي لجميع أخطاء المتضمنة للمعجزات الانبياء من نحو انقسلاب العصا حية وخلق البحر لموسى

وابراء الاكمه والابرس واحياء الموتى لعيسى عليه الصلاة والسلام .

واشار الباحث الى ان الدكتور هيكل انكر :

- ١ — قصة ابراهيم والكعبة .
- ٢ — أسطورة ثقب الصدر .
- ٣ — بدء الوحي .
- ٤ — ما نسبته الى السيدة خديجة .
- ٥ — ما قال في الاسراء .
- ٦ — ما عقب به على معجزة الفجار .
- ٧ — تلبيسه في قصة سراقه .
- ٨ — دعواه بأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر المنكر .
- ٩ — عزوه الى عائشة ما لا يليق .

وقال السيد رشيد رضا معلقا على ذلك بقوله : ان اكبر خطأ رأيته تبعا لأصله الفرنسي من تشبهات الوحي النفسى يخفى على أكثر قرائه أن على من لم تتمكن هذه التشبهات من نفسه من قبل قراءته ، فإن درمنجم نفسه ينقل رواية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لملك الوحي والتلقى عنه . والدكتور هيكل زاد هذه المسألة بسطا وان أخطأ كل منهما فيما ذكرا من مقدماتهما باجتهادهما وما اعتمد عليه في رواياتها الباطلة لقلّة اطلاعهما وعدم اضطلاعهما بالتمييز بين الراجح والرجوح فيها وان ابن هشام وأستاذه ابن اسحق اخذا بالرواية المرسلة في حديث بدء الوحي وأن قوله أنها رؤيا منامية مخالفا رواية الصحيحين المسندة المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم « .

ثم هون السيد رشيد رضا من المسائل الأخرى .

كذلك فقد اهتم السيد رشيد رضا بصدور دائرة المعارف الاسلامية المترجمة (م ٣٨٦/٣٤) فقال ان هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الاغلاط والمطامن ومخالفة الحقائق هو أخطر من نشر كتب دعاة النصرانية المبشرين وصحفهم لأن هذه قلما تخذع أحدا من عوام المسلمين بما فيها من الباطل أما هذا المعجم فإنه يخدع أكثر القارئین له فيه ولعل فيهم من يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة ممن يتريصون بهم

الدوائر (عليهم دائرة السوء) وكان الأمير شكيب أرسلان قد علق على هذه الدائرة فأشار في (م ٣٣/٤٣٩) فقال ان دائرة المعارف الاسلامية لا تخلو من تحاملات منكرة على الاسلام ، ومن غلطات وخبطات علمية في مباحثها التي تولاهها بعض الفئة الاولى المتحاملة على الاسلام وعلى لجنة الترجمة العمل لتصحيح تلك الأغلط ، وتستدرك أيضا على فوات المتن ، والا يكون قد أدخلنا في عقول ناشئتنا الجديدة ضلالات لا تخفى باسم العلم والفن وحرية الفكر والاستنتاج التحليلي . وقال : ان « دائرة المعارف » اسم خادع كسور له باب ظاهره منه الرحمة وباطنه من قبله العذاب وهو معجم لفقه طائفة من علماء الافرنج المستشرقين لخدمة دينهم ودولتهم المستعمرة لبلاد المسلمين بهدم معادل الاسلام وخصومه بعد أن عجز عن ذلك دعاة دينهم بالطعن الصريح على كتاب الله العزيز ورسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وبعد أن عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن بترجماتة الباطلة والذين شوهوا تاريخ الاسلام بمفترياتهم فلك بأن هؤلاء الملقين لهذا المعجم الذي سموه دائرة المعارف الاسلامية لم يتركوا شيئا من عقائد الاسلام ولا فضائله ولا من تشريعه ولا من مناقب رجاله الا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف صورته الصحيحة من بعض الوجوه وان اتقان الافرنج للكذب والافتك قد ناقى اتقانهم لغيره مما أقتنوه من علم وعمل . هذه الدائرة من عيوبها أنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لاجل بيان آرائهم وأهوائهم والاعلام بما سبق لهم ولعلمائهم منها من بحث وطعن في كتبهم ورسائلهم المتطرفة وقال ان التذييلات والتصحيحات والانتقادات التي تقدمها النسخة العربية غير كافية في موضوعها وان هناك مواد كثيرة نشرت بغير تعليق .

وعارض السيد رشيد ترجمة القرآن وعرض لها في مناسبتين الاولى عام ١٩٠٩ فقال : ان ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصل متعذرة كما يعلم والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون الترجمة هي القرآن وانما هي فهم رجل للقرآن يخطيء في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة ، ان القرآن هو أساس الدين بل هو الدين كله اذ السنة ليست ديننا الا من حيث أنها مبينة له ، فالذين يأخذون

بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لا نفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والاجتهاد بالقياس انما هو فرع من النص والترجمة ليست نصا من الشارح والاجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا فعلى هذا لا نسلم أن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وان أخطأ في فهمه اذا بذل جهده والاهتداء بما أنزله الله هداية له . ان القرآن ينبوع الهداية والمعارف الالهية لا تخلق جدته ولا يفتأ تتحدد أسرارها ما لم تظهر لأن قلبه تصديقا لعموم حديث « نرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تفيد القارئ بالمعنى الذى صورته المترجم بحسب فهمه ، وقد ذكر الغزالي ان ترجمة آيات الصفات الالهية غير جائزة » .

ولما تجدد الكلام عن ترجمة القرآن في تركنا بعد الانقلاب عرض السيد رشيد لموضوع الترجمة مرة أخرى (م ٢٦ / ٤٨١ ، ٥٦١ ، ٦٤١) وما قاله أن ملادة الترك ودعاة العصبة الجنسية فيهم قد بثوا في قلوبهم فكرة الاستغناء عن القرآن المنزل من الله تعالى باللسان العربى بترجمته باللسان التركى قبل عهد الحرية الدستورية بسنتين وقد أنكرنا عليهم ذلك قولا وكتابة ودحض السيد رشيد رضا قولهم ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن المنزل من عند الله آية للعالمين معجزا للبشر على مر السنين بترجمته الى التركية والفارسية وغيرها من اللغات . وقال : « ان الترجمة لا يمكن أن يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله تعالى ولا يصح التعبد بتلاوتها . ولا يتحقق منها غير ذلك من خصائص القرآن . ولا يهتم الاهتداء بالكتاب والسنة الا بالعناية باللغة العربية ولا شئ أضر على الاسلام في هذا العصر من يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستغنى المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله تعالى بلسان عربى مبين ، فالغاية هي هذه المفسدة واذا وقعت فان الاعاجم من المسلمين يكونون عرضة لشرك الدين » .

كذلك فقد واجه سموم طه حسين : ومفكرات طه حسين وتابعه متابعة متصلة منذ صدور كتابه « في الشعر الجاهلي » وما تبعه من أفكار شعوبية وتفريجية ، وقد طاردت حركة اليقظة هذا الخطر حتى سقط ، وصور السيد رشيد رضا هذه المحاولة (٢٩٩/٣٢) فيقول لقد كان هدف الاختلاط هو السيطرة على المدارس وتخريج نثر جديد لا هم لهم في الحياة الا التمتع بالذات الجسدية والزينة في اللباس والأثاث والرياش والتنافس في خدمة الحكومة والتوسل الى ذلك بالشهادات المدرسية ، والتلق للرؤساء المسيطرين من الانجليز .

وأهم ما عني به المسيطر على وزارة المعارف منهم الا وهو القسيس مستر دنلوب ان يطمس كل اثر كان للدين الاسلامي في المدارس الاميرية والا يدع للتربية الاسلامية ولا للتعليم الديني منفذا يشرف منه على القلوب ينشر الاحاد والاباحية بان ينفثا سمومهما في افساد الاخلاق وعبادة الشهوات وعدم الخضوع لاي سيطرة اجنبية ان تتمكن من الاذهان وتغلغل في أعماق الوجدان والهاء للمعلمين والمتعلمين عن ذلك بمظاهر التربية الوطنية الاقليمية التي تفصل بين مسلمي مصر ومسلمي سائر الاقطار ولاسيما العربية .

وقد نجح دنلوب في سياسته اتم النجاح وشغل المدارس بالرياضة الجسدية عن ترويض الأرواح ، وكان ان طبع وزارة المعارف بطابع سياسته ووجهها شطر مقصده ، حتى جاء الاستقلال المقيد وصار امر التعليم في ايدي الوطنيين ، كان بعض وزراء المعارف من بعده شرا على التربية والتعليم مما كان في عهده بل لم ينهض وزير منهم لاصلاح التربية الدينية ومقاومة نزعات التفرنج وصد تيار الاباحية والاحاد الذي يقترف بالامة في فوضى الاخلاق والفساد . وأعجب من هذا اننا لم نر من حزب من احزاب البلاد السياسية ولا من تقاليد الحكومة طريقة متبعة في اختيار وزير المعارف من رجال الاصلاح الملى والادبي الذين يهمهم حفظ دين الامة والدولة ووقايتها من الفساد والفوضى . وكان مثار العجب ان جعل الأستاذ احمد لطفى السيد المحامى وزيرا للمعارف ، حتى اذا ما تولى هذا المنصب مراد سيد احمد القاضى الاهلى زال ذلك العجب واعتقد كل غيور على الدين ان الحكومة المصرية متعمدة القضاء على هداية الدين في الامة بتربية بنيتها وبناتها على الاحاد والاباحية المطلقة . لئن كان الدكتور طه حسين من سيئات الاول بتغذيته بمبادئ الاحاد في نفسه وتجربته على بنيتها بعلمه أولا وفي دروسه

فى الجامعة أخيرا فان الثانى قد ابتدع فى وزارة المعارف من فنون التربية على الإباحية والقاء جلاليب الحياء والصيانة من تشجيع التهتك والخلاعة وتصوير الشبات والشواب مجردين ومجردات من الثياب ما يتضائل أمام ذلك الافساد القولى .

ليس بكثير على مراد سيد أحمد أن يفترض ارتقاءه الى منصب وزارة المعارف فيبتدع فيها تعليم النابتة المصرية من البنين والبنات لتمثيل الاباحى والرقص التوقيمى وتربيتهم على التجرد من الثياب بحجة الترقى فى صناعة التصوير وهو الذى كان قاضيا فرمعت اليه قضية رجل يطلب فيها عقاب أستاذ فى المدارس على التصدى لتحبیب امراته وافسادها عليه بمخاطبته اياها فى الطريق بمبارات التصبى والاستمالة فحكم القاضى الذى ارتقى من كرسى القضاء الى كرسى الوزارة بأن ما وقع من الأستاذ المعلم المربى هو مظهر من مظاهر حب الجمال وهو فضيلة من الفضائل وأن القاتون بعاقب على الرذائل فحكم ببراءة الفاسق المتصدى لافساد نظام الزوجية وكفى به افسادا للأمة . والغريب المريب أن يجعل مثل هذا القاضى المجدد الاباحى وزيرا للمعارف ولقد ظننت أن الحكومة المصرية قد أجمعت امرها على القاء هذا الشعب المتدين فى فوضى الاباحية المطلقة وقذفه فى نهور الالحاد والزندقة . وقد أبطل حلمى عيسى البدعتين الاباحيتين متضمنا أن ابتداءهما كان بسوء رأى الوزير ثم أن هذا الرجل جعل طه حسين عميد كلية الآداب فى الجامعة مفتشا للغة العربية فى الوزارة فأخرجه من الجامعة التى كان يبيت فيها الالحاد فكان لاخرجه ضجة شديدة وقدم الدكتور عبد الحميد سعيد استجوابا فى مسألة طه حسين واستنكار بقائه فى وزارة المعارف واستقال أسناده ومربيه أحمد لطفى السيد .

لقد خدم طه حسين دعاء النصرانية بالصد من الاسلام وبغيه عوجا وقتل بعض فلاسفة الافرنج فى الشك والتشكيك وهو ضرب من السفسطة قديم ، ولعل سبب تأييد بعض كبار الملاحدة لهم أنهم رأوه مستولفا مستهترا لا يبالى فى سبيل الشهرة بالالحاد والاباحية ذما ولا عارا وهم حريصون على نشر هذه الدعوة فى الجامعة المصرية ليهدموا بمحاول المتخرجين بها كل ما بقى للاسلام فى مصر من هداية دينية وجنسية عربية

لهم أرادوا جعل الجامعة حرباً على الأزهر والمعاهد الدينية وعلى دار العلوم وخرجوا بأن ثقافة الجامعة المصرية ستحل محل ثقافة الأزهر الدينية في مصر وكان أظهر الأسباب لعناية أولئك الملاحدة ببيت دعايتهم في الجامعة هو اعتقادهم أن الشعب ما زال يغلّب عليه الدين .

كذلك فقد كتب (الشيخ رشيد) مقدمة كتاب الشيخ محمد عرفة « نقض مطاعن في القرآن الكريم » الذي فصل الرد على شبهات طه حسين . فقال السيد رشيد رضا : « حذق في صناعة الكتابة فكان ذا رشاقة وطلاقة وألف كتباً وأنشأ مقالات دس في بعضها سموم الإلحاد وفي بعض آخر مخدرات الإباحة والأغراء بالشهوات فنهد للرد عليه فريق من العلماء والأدباء . سر جميع أهل الغيرة على الدين بإخراجه من الجامعة واليوم يسمعون من الأزهر الشريف صوتاً جهورياً في نقض ما أذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، هذه المطاعن التي ألغها في دروسه كانت بعد تلك الكلمة التي كانت سببها تحقيق النيابة العامة معه في مطاعن كتابه في الشعر الجاهلي . وقال السيد رشيد : ان موقف الأوربيين من الطعن في الإسلام مقيد به باعتبارين : ديني وسياسي ذلك أنهم رأوا ان الإسلام قد غلب النصرانية على أمرها في الشرق وكاد يغلبها في الغرب أيضاً بعد اعتزاز دولها واستبحار ثروته كنائسها فلم يجدوا وسيلة لصد تياره من بلادهم وسلبه لمسلكتهم وتغريبه لشعوبهم إلى محاربتهم بالامتناع عليه والطعن فيه ، وقتل أهله بالسلاح ثم بالسياسة فأحكموا نظراسم الحريين بعد التهديد لها بتقريبه الشعوب النصرانية على بغض المسلمين وتلقيهم في البيوت والمدارس أن الإسلام هو العدو الأكبر للمسيحية وما هو في الحقيقة إلا أخو المسيحية وصديقها والمدافع عن حقها والمتهم لاصلاحها والمبريء لفضيحتها من طعن المفترين وشطط المغالين .»

وقوم آخرون رأوا من معجزات القرآن ما أنزل عليه القرآن في العلم وهداية البشر واصلاح شئونها ما يلجئهم إلى الإيمان والاذعان ان لم يجدوا لهذه المعجزات تأويلاً ينظمونها به إلى سبط السفن الكونية فتكلموا التاويل لها لا بطل كونها من خوارق العادات والآيات الالهية فهذه أسباب طعن الامرنج ومريديهم وتلاميذهم من النصاري والملاحدة (١٦٣/٢٣) .

وعرض السيد رشيد رضا آراء الدكتور طه حسين في مسألة الحروف المفردة في أوائل السور فقال : ان هذه المسألة ما كان ينبغي لمسلم أن يقلد دعاة النصرانية في تشكيك طلاب العلم في القرآن بها وجعلها من مباحث انتقد التحليلي في الأدب كما فعل طه حسين وقد فند الأستاذ الناقد لطاعنه رايه فيه وذكرنا فيما علقنا عليه في حاشية ما سبقه اليه بعض المستشرقين وقال ان المختار عندنا في حكم افتتاح هذه السور (السم ص) وغيرها بأسماء وحروف ليس لها معنى مفهوم غسير مسمى لتلك الحروف التي يتركب منها الكلام هو نبذ السامع الى ما يلقي اليه بعد ذلك الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء ، وانما خصصت سور معينة بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم الى الاسلام واثبات الوحي والنبوة وكلها مكية الا الزهراوين (البقرة وآل عمران) وقد علمت ان الدكتور طه حسين تكلم في القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا باخلاص في النقد التحليلي الذي يعلو القرآن على مدارك اهله وعقولهم وعلمهم باللغة والدين والشريعة ، واذا كان القرآن أصل الدين فلا ينبغي لمسلم أن يأخذ علم بلافته وآدابه ولا علم هدايته وتشريعه الا من خواص العلماء بتفسيره ويجب عليه أن يرجع اليهما فما عسى أن يقرأه أو يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو رأى فيه يخفى عليه .

وقال : ان الأسلوب العصري في النقد الذي مررنا بحسنه في جملة هو قديم أيضا وأول واضح لأصوله حكيمنا ابن خلدون وجرى عليه شيخنا الأستاذ الامام في رده على هاتوتو وجرى عليه في مقالات الاسلام والنصرانية في العلم والمدنية ، أما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله في مسائل الأدب اللغوي والتاريخي فمنه الصحيح المقبول ومنه الزائف المردود . (٢٠٧/٣٣) .

كذلك فقد كشف السيد رشيد رضا من أخطاء جرجي زيدان في رواياته وفي أبحاثه بما كتبه الأستاذ أحمد السكندري عن تاريخ آداب اللغة العربية وما كتبه السيد شبلى النعماني من تاريخ التمدن الاسلامي ، أما هو فقد كان يمرض لروايات الهلال كلما صدرت حلقة منها .

فيقول في نقده لروايتي فتاة غسان وفتح الانجلس (م ٦/٣٩١) :

يحتج هؤلاء بأن في هذا القصص أغلاطا تاريخية حتى في الأمور المشهورة ومثل هذا لا يسلم منه كتاب منها قوله أن أمير العرب على فتح العراق هو سعد بن مالك وهو أغراب فقد كان يدعى سعد بن أبي وقاص وإن كان اسم أبيه مالكا .

ويعدون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه إلى نقل صحيح كهذا أو ضعيف فمن الأول قوله أن أبا سفيان حيا هرقل بقوله : ابيت اللعن ، وهم ينكرون ذلك محتجين بأنها تحية الحميريين للملوك دون المزيين وله أن يحتج هو بإطلاق بعض علماء اللغة والتاريخ أنها تحية الملوك في الجاهلية .

ومن الثاني نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل فانه نقلها من الأغاني فقد أنقص منها قوله : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولا شك أن المؤلف قصر في اعتماده على كتاب أدبي دون كتب الحديث وكتب السير في أهم شيء في موضوع قصته . كما ذكر في آخر الكتاب صورة خاتم النبي صلى الله عليه وسلم نقلا عن الواقدي وهي أن لفظ محمد في السطر الأول ولفظ رسول في السطر الأوسط ولفظ الجلالة (الله) في السطر الأدنى والمشهور العكس .

أما ما ذكره المؤلف عن أبي سفيان مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فأبو سفيان لم يقله ولا هو ينقله عنه بالرواية وإنما جمع المؤلف أقوالا من الكتب والفهسا مع بعض آرائه وأسندها إلى أبي سفيان لأنهم يحبزون ذلك في القصص لأن العبرة عندهم بالمسائل لا بالرواية وإن سمى أهل العربية هذه القصص روايات كذبا ومينا ، والمصروف في الصحيح أن أبا سفيان لم يتجاوز أجوبة أسئلة هرقل ومن المسائل الباطلة التي حكاه المؤلف عن أبي سفيان مسألة الغرائيق رآها في الطبري فنظمها في سلك الحكاية والسبب في ذلك اعتياد القوم على التساهل في النقل ويحسبون هذا التساهل هينا حتما في الأمور الدينية وهو عند الله عظيم .

كما نقد قصة فتح الأندلس فقال : انتقد غيرنا من نبيهاء المسلمين على هذه القصص . انها تصور للقارىء أن انتصار المسلمين في الفتوحات لم يكن الا لسبب ما ألم بالأمم التي فتحوا بلادها كالرومان والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق وهذا غبط لحقوق المسلمين وعدم اعتراف بشجاعتهم وعناية الله بهم وقد حمل المؤلف عليها التعصب الدينى .

وبالنسبة لرواية الحجاج بن يوسف يقول : وقد رأيت من المسلمين من ينتقد هذا الوضع من وجهتين : احدهما أن من شأن القصص أن تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارىء الحق بالباطل ، وثانيهما : استغلال نسبة العشق والغرام الى رجال سلفنا الكرام وقد كان بعض المتقدمين كتب رأيه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بأن الحوادث الغرامية لم تسند الى أحد من رجال السلف العظام والأئمة الذين يجلون عن الاشتغال بغرام .

كما عرض لكتاب تاريخ التمدن الاسلامى الذى ألفه جرجى زيدان (م ١٤٩/٥١٤) وقد راجعه في كثير من آرائه التى انحرف فيها كما أنه أشار الى أنه يضع أرقام توهم القارىء أن ذلك الأمر كله من ذلك الكتاب وربما كان المراد بعبثه وهناك أخطاء عن مال الزكاة في الخيل والصواب أنه لا زكاة فيها ومثل هذا الغلط لا يسلم منه من يأخذ العلم الدينى من الكتب التاريخية من غير تلقى أحكامه من أهله .

وبالنسبة للجزء الثالث من كتاب التمدن الاسلامى أشار جرجى زيدان الى مسألة دينية تحت عنوان (المأمون والاعتزال) وهى مسألة الخلاف في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق ، فانه حرقها بظنه وقسرها برأيه حيث قال بعد أن نوه بفطنة المأمون وميله الى البحث العقلى ما نصه : (فتمكن من مذهب الاعتزال وأخذ يناصر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء ومن جعلتها القول بخلق القرآن أى أنه غير منزل) فنستلفت قطرك الى قوله : انه غير منزل بل الى الكتاب كله وقوله ان الاسلام نهضة عربية ولذلك أمر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب ويقول ان هذا غلط سرى للمؤلف من استعمال الأجانب له من عهد بعيد فأطلقه والصواب أن المسلمين في صدر الاسلام كانوا يطلقون كلمة العرب أحيانا في مقابلة المسلمين فيعونون بهم

المشركين ولم يكن اللفظان مترادفين عند المسلمين في وقت ما على الإطلاق بل كانوا يطلقون لفظ المسلم والمسلمين على كل من دخل في الاسلام واذا أطلق على العرب خاصة كان تجوزا بصرف القرينة ولم يخرج عمر بن الخطاب عن المسلمين من الجزيرة اجتهدا منه لهذا بل عملا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فقد أوصى بذلك في مرض موته .

وكذلك فقد حاول القول بأن القرآن دعا الى سيادة العرب ، قال رشيد رضا : ليس فيه ما يدل على أن العرب يجب أن يكونوا ممتازين على غيرهم بل يقول :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من نكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) نعم ان تأثير العرب له تأييد لهم اذ لولاه لم يخرجوا من ظلمة جاهليتهم ولكن فتح بلاد الروم والفرس لم يزد الصحابة اعتقاداً بما ذكره .

ونظرا لظروف اشتراك السوريين النصاري في العمل الصحفي فقد كان الشيخ رشيد جريصا على مجاملتهم خاصة صاحب الهلال وصاحب الأهرام ، ومن أجل ذلك نشر مقالات النقد لكتاب التمدن الاسلامي التي بعث بها السيد شبلي الشمساني واعتذر بأنه كان غائبا في الهند ايان نشرها وانه لو كان حاضرا لأزال منها بعض العبارات غير أنه بعد أن توفي جرجي زيدان كاشف قراءه بحقيقة الرجل فقال :

« ظهر بعد الانقلاب العشمانى نزعة جديدة تعظمها نزعة عبرية احياء لذهب الشعوبية ذلك بأنه - أى جرجي زيدان - زار الاسكندرية ولقى فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي ثم عسباد متحسبا بالنهضة التركية مستفكرا مجاراة العرب لادخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستنصوبا خطة الاتحاديين الأولى في تنريك العناصر وادغام العرب في الترك وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة فهاج عليه قراءه . وقال ان لجرجي زيدان مطامع في العرب وأودمها في تاريخ التمدن الاسلامي فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها وزادهم التناقا اليها ترجمة جريدة (اقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامي ونشره بالتتابع .

كذلك فقد واجه السيد رشيد رضا الدعوى الى القاديانية والبهائية وكشف في فصول متعددة على سنوات متصلة أخطار هاتين النحلتين ولقد اتصل الحديث عن القاديانية منذ المجلد الثالث من المنار حتى المجلد الواحد والثلاثين :

مقد كشف أن غلام أحمد القاديانى رجل مضلل ادعى أنه هو المسيح ميسى بن مريم وأن الله تعالى قد أوحى اليه بذلك وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد وكان يستدل على صدق دعوته بقصيدة نظمها وادعى أنها معجزة كالقرآن ويكتاب في تفسير الفاتحة سماه اعجاز أحمدى وأكثره لغو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها الألفاظ بحقيقتها وقد رد عليه علماء الهند وفتدوا دعوته وقد مرن أتباعه على المناظرة والجسدل وانصرفوا الى دموع الأسر في الهند وانكثرا والولايات المتحدة (م ٣) .

وفي فصل آخر مطول تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية) يقول : ظهرت بدمسة القاديانية في مصر بعد أن كانت محصورة في الهند فصارت كالبهائية ذات دعاة وأتباع يثبون تعاليمها في رسائل يطبعونها ويوزعونها وقد ادعى ميزرا غلام أحمد القاديانى في الهند أنه المسيح المنتظر وأن الوحي نزل عليه بذلك وقد رددنا عليه في مصر .
وخلل كثير من المسلمين بدعوى البهائية والقاديانية فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة وبمساعدة لهما في الهند وإيران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها . وقد نسخ وجوب الجهاد ثم علمنا أنهم يدمون باستمرار الوحي والنبوة في أتباعه أى في زعيم القاديانية بعده ميزا بشر الدين محمود أحمد زعيم الحركة الأحمدية (م ٥٧٨/٤) .

وماود السيد رشيد رضا الحديث عن القاديانية فاشسار في المجلد ٣٩١/٣١ أنه قد طبع في سوريا رسائل متعددة في الدعوة الى نحلهم فانخدع بها شباب دمشق عنده هوس اسمه منير الحصنى جاء مصر متمنيا لو يلتاقا لنتكلم معه . وأشار الى أن أخطر ما يدعو اليه مسيح الهند القاديانى الدجال : نسخ الجهاد وخدمه للانجليز وادعاء النبوة وقد خالف القاديانيون في ذلك اجماع المسلمين فيها هو قطعى معلوم من دين الاسلام بالضرورة نخرجوا بذلك عن الملة الاسلامية ، وقال ان أخطرها مسألة نسخ الجهاد

وما فيها من اطراء الانجليز بالمدح والحكم بوجوب شكرهم على حماية المسلمين وتحريم جهادهم ومن قوله أن الجهاد انقطع بطبعه بظهور المسيح اذ زالت غربة الاسلام وضعفه وانتصر أهله على النصارى .

وأولى السيد رشيد رضا اهتماما بالغا للبهائية فقد استكشفتها في مطالعها الأولى ١٨٩٩ وتحدث في السنوات التالية عن البابية فقال انهم قوم ارتدوا عن الاسلام وحدثوا لانفسهم ديناً وضعياً مؤلفاً من أمشاج الوثنية والمدنية وهم يستخفون به ويظهرون من مظاهر النفاق ليتمكنوا من تشكيك كل أهل دين في دينهم ولا يزال دينهم سرياً ولذلك يتمكنون من مخادعة أهل دين ولاقتناعهم بأنهم منهم ولكنهم يريدون اصلاحهم ولا يطلعون أحداً على كتبهم الأساسية (م ٢٣٢/٦) .

وواصل السيد رشيد رضا مواجهة البابية والبهائية بعد أن كشف عن البابية وزيف دعواها في مقالات متعددة متصلة في المجلد السابع (٣٥٣/٣٤٤/٣٣٨) فقد أورد أقوالاً للباب التي يدعى أنها منزلة ليحكموا حكماً صحيحاً . ولما كانت البابية هي باب البهائية فقد أخذ يكشف زيف البهائية والاعتقاد بربوبية والوهية البهاء وأنه هو الذي بعث الأنبياء والرسل وقد ظهرت البابية والبهائية في إيران .

وأشار الى كتاب تاريخ البابية ومفتاح باب الأبواب لمؤلفه ميرزا محمد مهدي خان كما عرض تاريخ البابية ومناظرات العلماء للباب (ميرزا علي محمد الشيرازي) الى أن قتل ثم ذكر مزاعم البابية وما جرى لأصحابه من بعده من الفتن والتفرق والنفي ، الى أن قام منهم حسن علي الملقب بالبهاء واستمال أكثرهم ونجح لهم دين الباب وادعى أنه الأصل .

ثم جدد السيد رشيد رضا دعوته في المجلد الثالث عشر فقال : ان هؤلاء الباطنية قد قصدوا من وضع تعاليمهم الأولى محو الاسلام وازالة سلطانه من الأرض ، وضعها بعض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم وأزالوا ملكهم واستعانتوا عليها بالشيعة وهم حزب سياسي يرى أن الحكومة يجب أن تكون (أرستقراطية) للأشراف من آل بيت النبي صلى الله عليه

وسلم فصاروا يبتون دعوتهم في هذا الحزب لحمله على الغلو في بغض عمر بن الخطاب (الذي فتح بلادهم) وأبى بكر وجمهور الصحابة الذين كانوا أقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وقد وجد هذان الحزبان في الاسلام ووجد فيهم حزب الفوضوية أيضا وهم الخوارج كما وجد ذلك عند غيرهم . وخلق الغلو طبعى في البشر ، ولذلك نجح الباطنية في دعوة غلاة الشيعة الى تكثير جماهير الصحابة ورميهم بكتمان بعض القرآن ولم يدروا أن ذلك يعد طعنا في أئمة آل البيت الذين يتعصبون لهم لأن رئيسهم عليا كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهر المكتوم على أنه كان يمكن أن يثبت ذلك سرا في أهل بيته وأشار الى أن غرض الباطنية اخراج الشيعة من الاسلام ، ولما ظهر غلاة المتصوفة توسل الباطنية بهم الى مقصدهم أيضا فاضلوا كثيرا من الناس ولكن الاسلام ظل غالبا على أمره في الصوفية أيضا الأمن كان من أنصار الباطنية . .

وقال انهم يعبدون البهاء عبادة حقيقية ويدينون بالوحيته وربوبيته ولهم شريعة خاصة بهم ، وقد جاء الاسكندرية ١٩١٠ وهاجم المؤيد الذي تحدث عنه بتقدير كانه مصلح عظيم .

وفي المجلد الرابع عشر واصل السيد رشيد رضا حديثه عن البهائية فقال ان الباطنية هم سلف البهائية وأشار الى عباس أفندى وسعيه الى نشر البهائية في أمريكا وكان سبب دخول الملايين في هذا الدين وقال انه أجرى مع داعيتهم مناظرات متعددة وثبت عندي أنهم من الباطنية الذين كانوا يظهرون للمسلمين وكذا لغيرهم أنهم منكم وعلى ملتهم ، هؤلاء البهائية اذا دعوا النصارى في أمريكا مثلا الى نحلتهم قالوا لهم انا نصارى مثلهم نؤمن بالوحيه المسيح وبمجيئه يوم الدينونة وقد جاء المسيح كما وعد في ناسوت البهائية وكذلك يقولون للمسلمين انا معكم ونطلب اصلاح حالكم باتباع المهدي المنتظر والمسيح الموعود بل يقولون ان دين برهما ودين زردشت حق وان ربنا وربكم هو البهاء أو بهاء الله دفين عكا في بلاد الشام ولا يفصحون عن عقيدتهم كلها لأحد دفعة واحدة وانما يرتفعون به درجة بعد أخرى وقد وضع سلفهم هذه الدرجات وجروا عليها وقلدهم المانسون

ففيها (أى الدرجات نقط) وتصارى دعوتهم الرجوع الى نوع من الوثنية ملون بلون جديد من ألوانها .

ويقول السيد رشيد رضا : اذا كان عباس افندى مسلما فليكتب لنا مقالة ينص بالنص الصريح على أن سيدنا محمد بن عبد الله هو خاتم النبيين والمرسلين ولا دين بعد دينه ولا شرع ينسخ شرعه وأن القرآن هو آخر كتب الله ووحيه لأنبيائه ورسله وأن معانيه الصحيحة هى ما دلت عليه مفرداته وأساليبه العربية . نكتفى منه بهذا ولا نكلفه أن يتبرا مما سمعناه من أتباعه فى القول بالوهمية والده ونسخ للشرعية الإسلامية كجعل الصلوات اثنين بدل خمس بكيفية غير كيفية صلاة المسلمين وان كان لا يكتب من تلقاء نفسه فأننا نكتب له أسئلة ونطالبه بالجواب عليها .

وفى معرض الحديث أورد نصا للشهرستانى تحت عنوان الاسماعيلية فى دين الباطنية الاسماعيلية الذين كانوا يخادعون الناس زاعمين أنهم مذهب اسلامى وان أهلهم هم الفرقة الناجية وكانوا يستدرجون الضعفاء بهذه السفسطة الموهمة ويستدلونهم بما يحملون اليهم من حجج العتسل فيستدنفهم به من العقل ويسترضونهم بالخضوع الأعلى لكل ما ينقلونه من أمامهم وقد هدم سقطتهم العلماء الاعلام كالغزالي فى كتابه القسيسطاس المستقيم وغيره .

وأشار السيد رشيد فى المجلد الخامس عشر (٢٢٣ / ٧٣١ / ٩٠١) الى كتاب جديد صدر بعنوان (الحراب فى صدر البهاء والباب) لمحمد فاضل كته بعد مجيء عباس افندى زعيم البهائية الى القطر المصرى كشف فيها عن زيف هذه النحلة وواصل صاحب المنار حملته عاما بعد عام ففى المجلد ٧٠٨ / ٣٣ أشار الى « هذا الدين الجديد الذى هو طور عصرى لضلال الباطنية القديم » وكان عباس افندى أوهى مؤسسيه وناشريه حتى انه حظر الى اليوم اظهار كتابهم الذى يسمونه (الكتاب الاقدس) لأنه اذا تناولته الأيدى يتعذر نشر الدعوة فى كل شعب وقطر بما يناسب أفكار أهلهم وعقائدهم ومشاربهم وقد خدع كثير من عقلاء المسلمين وأذكياهم بشنائعهم ودهاء عباس افندى الذى كان يدمى أنه من المستطمين المصلحين

فانخدع غيرهم لهم . وان منهم (أحمد صفوت) الذى اقترح على المسلمين هدم نصوص القرآن والسنة والاجماع والأخذ بمقاصد القرآن دون دلالة لفظه فى الأحكام .

ولم يتوقف السيد رشيد رضا عن مهاجمة كل منحرف فى هذا الطريق ومن هؤلاء الشيخ محمد الوزير الذى ألف كتابا جحد فيه معجزات الرسل عليهم السلام وحاول تفسير القرآن بالقرآن دون اللغة والسنة ، وأباح مخالفة الرسول بمحض الرأى وتقرير النزعة المادية فى انكار ما وراء المادة المحركة بالحس ، (م ٣١) .

الفصل السادس

شبهات التبشير والتشكيك في حقائق الاسلام

لقد اقتحم السيد رشيد رضا في نطاق دعوته الى الاصلاح وتحرير العقيدة الاسلامية من زيف الجمود والدعوات الهدامة ، هذا المجال الجديد في الدعوة الاسلامية في العصر الحديث ويمكن القول بأنه من رواد مقارنات الاديان التي بداها تحت تأثير التحدي الخطير الذي وجهته كتابات المبشرين في الهجوم على الاسلام ، فكان لابد من تعرض واضح للكتب القديمة والكشف عن أخطائها من خلال كتابات الغربيين أنفسهم عنها ومن أقلام أناس اهتموا الى الاسلام حديثا وكان لهم الملم بهذه الكتب وما تحويه وقد صادف ذلك الوقت الذي بدأت فيه اوربا تهاجم الكتب القديمة وتعرضها على المنهج العلمى الحديث وتتهمها بأنها بشرية وانها ليست منزلة كذلك اتسع نطاق البحث بعد ان كشفت الكنيسة الكاثوليكية عن مخططاتها في التبشير والتبصير بين المسلمين على طول هذه المنطقة من جاوة الى الجزيرة العربية . كذلك فقد استعلن الحق عندما عثر على انجيل برنابا الذي كتبه أحد حوارى السيد المسيح والذي أنكرته الجامعات المقدسة لانه يكشف حقيقة واضحة هو أن السيد المسيح نبي مرسل وليس الها . كل هذا ، عنى السيد رشيد رضا به وتابعه في جدارة وبراعة خلال حياته كلها .

ولقد واجه السيد رشيد رضا هذه المعركة بنكاء وحكمة شديدين ، ذلك أنه في نفس الوقت الذي كانت قوى الاستعمار توجه حملات التبشير الى بلاد المسلمين كان هناك في اوربا زلزال يواجه النصرانية وتتكشف أبحاث علماء اللاهوت على حقائق جديدة بالنسبة للكتب المقدسة ، وللتوراة والانجيل ، كما ظهرت في نفس الوقت آراء لأعلام أمثال تولستوى عن حقيقة الانجيل كذلك فقد أعلن لكثير من المفكرين الغربيين موقفهم من الاسلام أمثال اللورد هدى وعبد الكريم جوصو فكان ذلك كله من العناصر التي آزرت الشيخ في دعوته ورجحت كفته .

تحدث النار من التفسير الغربى لأول مرة في المجلد الثالث (١٩٠٠)
وأشار الى مقال نشر في المؤيد عن انتشار النصرانية في أفريقيا وما يتصل
بمهمة المبشرين المسيحيين الى مستعمرة السنغال ومستعمرة الكونغو
البلجيكية وأوغندا ، (كاثوليك وبروتستانت) ثم توالى الأحداث فنشرت
الجمعية الانجليزية المكلفة بالدعوة الى النصرانية كتابا أطلقت عليه
« تنوير الأنعام في مصادر الاسلام » .

سلك الكتاب في الرد على الاسلام المسلك الذى جرى عليه بعض
علماء أوروبا في هدم الديانتين اليهودية والنصرانية اذ الفوا كتابا بينوا فيها
مصادر كتب العهد العتيق المسمى بالتوراة وكتب العهد الجديد المسمى
بالانجيل أو الاناجيل ورسائل الرسل .. وقد بين العلماء مصادر اليهودية
والنصرانية وبينوا بالدلائل التاريخية والأثرية واللغوية مصدر عقائد هذه
الكتب وماخذ أحكامها من ديانات الأولين وتقاليدهم واثبتوا أن الأسفار
المنسوبة الى موسى قد كتبت من بعده ، كذلك سائر الأسفار قد كتبت
بعد من نسبت اليهم .

وأشار الى أن شريعة حمورابى قد ظهر أن معظم التوراة الحاضرة
ماخوذة منها ، وقال انهم أرادوا أن يحاربوا الاسلام بالسلاح الذى حاربوا به
فقد أخذ مؤلف الكتاب الفاظا وردت في الكتاب والسنة مما كان مستعملا
عند العرب أو غيرهم من الأمم والفاظا أعجمية أخرى ولكن لم يعرف أن العرب
نقلوها عنها وجعلوا هذه وتلك دلائل على أن دين الاسلام نفسه ماخوذ
من الأمم التى وجد في الفكر العربى ما هو معرب عنها أو يشبه أن يكون
معربا ، ومن ذلك زعمه أن الاسلام أخذ حكم توحيد الله تعالى من العرب
لأنه ورد اسم « الله » واسم « الاله » في أسفارهم قبل البعثة ، فقد جهل
المؤلف المسكين أن كل الأمم تعتقد بالله تعالى ولكنها تشرك به وتزعم أن له
أبناء أولياء يعمل بواسطتهم فهو قسير مستقل بإرادته تمام الاستقلال
ولا يقدر أن يكرر خطيئة آدم مثلا بدون خطيئة صلب المسيح .

وقال السيد رشيد رضا : ان الكلمة التى أهدم بها هذا الكتاب
هى أن محمد النبى الأمى بعث ليهدى الناس الى صراط الفطرة السليمة
باصلاح ما أفسدوا من دين الأتبيساء وإقامة الدين على أسس الاستقلال

والعلم دون التقليد للرؤساء . وهذا الكتاب يثبت للنبي الأمي الاطلاع على جميع أديان الأمم وتقاليدها وعاداتها ولغاتها واستخراج قواعد الاسلام وأحكامه منها (م ١٠١/٧) .

٢ — وأشار الى ما نشرته صحيفة كبرى لأحد المشتغلين بقراءة الكتب التي نشرتها البعثات النصرانية في الطعن بدين الاسلام يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علقت في ذهنه من مطالعة تلك الكتب ، يقول السيد رشيد رضا : ومن الواجب أن نجيب عن هذه الشبهات لأن المدافعة عن الدين أهم ما أنشئ له المنار ، ولكن سننتنا التي جرينا عليها من أول يوم هي مسألة المخالفين لنا في الدين ولاسيما المسيحيين بل السعى لإزالة الأحقاد والاتفاق على ما فيه نجاح البلاد ونود ألا يطعن أحد في دين الآخر لا قولاً ولا عملاً ولا كتابة ، ولكن المسيحيين لا يوافقوننا على هذا كما يوافقنا المسلمون ولذلك نراهم يعتقدون الجمعيات للطعن اللسانى في الاسلام وينشر في الجرائد (كراية صهيون) ويؤلفون الكتب للطعن الكتابى وانتنا نصبر على هذا المعتدى ونكتفى بكشف شبهات السائلين من أهل ديتنا مع مراعاة الأدب فنقول : المطالع لكتب المسيحيين كيف اكتفى بمطالعتها من غير أن يطالع الكتب الاسلامية التي يقابلها بالمثل وتدفع شبهاتها وردت عليها ما لا دافع له ككتاب (اظهار الحق) وكتاب (السيف الصقيل) وغيرها ، على أن يطالع تلك الكتب وبعد مطالعتها يقوم بالموازنة بينها .

وشبهاته تنقسم الى ثلاثة اقسام :

١ — مخالفة بعض نصوص الدين الاسلامى لما ورد في كتب اليهود والنصارى .

٢ — ورود أشياء في القرآن لم ترد في تلك الكتب .

٣ — ورود أشياء في الكتاب والسنة مخالفة للواقعة والتي تثبت في العلوم الحديثة بزعم من تلقى عنهم .

والتوراة التي يشهد لها القرآن هي كتاب شريعة وأحكام لا كتاب تاريخ مقتبس من ميثولوجيا الاشوريين والكلدانيين وغيرهم فيتأتى بتكذيب علم الجيولوجيا وعلم الآثار العادية له أو موافقة هذا لبعض ما ورد فيه ما لا يليق نسبته الى الله كقوله : انه تعالى ندم على خلق الانسان ، فالتوراة

حقّ وهى الشرائع والأحكام التى كان يحكم بها موسى ومن بعده أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام وأحبارهم ، ولم يشهد القرآن لهذه الكتب الكثيرة التاريخية التى منها ما لم يعلم مؤلفه وكلها كتبت بعد موسى صاحب التوراة بزمان طويل وبهذا تصح شهادة القرآن وتبطل أسئلة المشتبه فى الخلاف التاريخى من القرآن وكتاب حزقيال وأشعيا ودانيال لأن هذه الكتب لم يشهد لها القرآن ولا تقترب بسمه القدم لجميع كتب العهد بالتوراة فذلك اصطلاح جرى فى سبيل التغليب بل اننا نرى من النصارى كثيرا ما يسمون مجموع كتب العهدين العتيق والجديد التوراة عندما تكون مجمعة .

أما الانجيل فهو فى اعتقاد المسلمين ما أوحاه الله تعالى الى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من المواعظ والأحكام والحكم وكان يعظ به ويعلم الناس ، وما زاد على ذلك من هذه الكتب التى يسمونها فهو فى نظر المسلمين من التاريخ ان كان خبرا وان حكما أو عقيدة فهو لمن فاهه والنصارى يسمون مجموع كتب العهد الجديد انجيلا ويعترفون بأنها كتبت بعد المسيح بأزمنة مختلفة . والقرآن يشهد على النصارى بأنهم لم يحتفظوا بجميع ما وعظهم به المسيح من الوحي المسمى بالانجيل حيث قال : « ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » والانجيل يطلق على بعض ذلك الوحي لما يطلق لفظ القرآن أو قرآن على بعضه .
(م ١٧٩/٤)

٣ — ولم يلبث السيد رشيد رضا أن كشف عن موجهات للنصرانية فى أوربا مكتب تحت عنوان زلزال النصرانية فى أوربا (م ٩٤/٦) فقال :

أنس النصارى واليهود بها فى كتبهم من الدلائل على عدم الثقة ، بنقل التوراة والانجيل ، وكابروا أنفسهم والناس بدعوى تواترها مع أن شرط التواتر أن ينتهى سند الرواة الذى يسجل تواطؤهم على الكذب لكثرتهم الى ما جاء بالكتاب كان ينتهى تواتر التوراة الى موسى نفسه لا الى عزرا الذى لا يعلم أحد من أين جاء بما جاء به . ولكن القيامة قائمة فى أوربا لاكتشاف شريعة حمورابى (ملكى صادق) وبيان أنها توافق هذه التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة فى تاريخها لأنهم لم يرو محللا فى هذا للمكبرة والموارية . خطب العلامة اللاهوتى الأثرى (دليتنش) خطبة

مطولة في برلين حضرها قيصر الألمان وقال في خطبته على رموس الأشهاد ان شرائع التوراة منقولة عن الشرائع الباهلية وليست وحيا من الله واستنتج من ذلك أنه لا حاجة الى دين وراء وجدان الخير المغروس في الفطرة . وقد فزع هذا العالم النصراني بهذه القارعة في ذلك المملأ العظيم فتزلزلت هي ولم تزلزل مكائد من نفوس القوم ، وقد عجب الناس أن رأوا غليوم الثاني الذى اقام أوربا واقعدها ثم دعى الى محاربة الصين ، يلاطف عالما لاهوتيا اثريا بعد أن قضى على هذا الدين القضاء المبرم . بعد هذا اجتمع القيصر بهذا الخطيب ليضع للنصرانية مذهبا جديدا يستبقى به كونها الهة سياسية تنتفع بها أوربا في مقاومة الشرق ، ذلك أنه رأى أن يخطو في هذا السبيل خطوة بعد خطوة وأن يختص بهذه الآراء رصفاء اللاهوتيين ويودعها كتبهم . وقال السيد رشيد رضا انه (أى الامبراطور) لا يعتقد بلاهوت المسيح ويرى أن ليس في التوراة شيء من الوحي والنبوة عن يسوع أنه المسيح وقال : ان محمد رسول الله الذى جاء من الله تعالى بعلوم وعمل بعناية الله تعالى اعمالا لم يسبق ما يقارنها لغيره ولن يلحقه بما يقارنها غيره فشريعته اعدل من شريعة التوراة ولا يمكن أن يوجد اكتشاف يظهر أنها مستقاة من شريعة أخرى والوحدة التى كونها بنفسه أحوج الى المعونة الالهية المحضة من الوحدة التى كونها بسمارك وغليوم الاول .

٤ — وتابع السيد رشيد رضا ما ينشر في الغرب من دراسات للاستفادة بها في دفاعه وفي تأييد ما جاء به القرآن من فساد نسبة التوراة التى في أيدي الناس الى الوحي ، ومن ذلك ما ذكر من أن الكلمات التى مزجت لفة هذه الكتب العبرية لم تكن معروفة على عهد موسى عليه السلام واستنتج من مباحثه أن هذه الكتب الفت بعد أن سبى البابليون بنى اسرائيل بآزمنة مختلفة بعد هذا ظهر من علماء الألمان نبأ أخطر من هذا وهو أنه وجد في الآثار التى اكتشفت الى عهد قريب في خرائب سوس من بلاد بابل شريعة حمورابى أو ملكى صادق منقوشة على عمود حلم الصفا (الصوان) .
(م ٩١/٦)

وكان قد تناول هذا في المجلد الرابع واضاف الى هذا ما ذكره صاحب كتاب (بسلاية الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية) صرح يفقدها

وانقطاع عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين في مدة ملك منسا وآمون ة
وقال الأمر مستحيل أن ينفى نسخ موسى الأصلية في الوجود الى الآن
ولا يعلم ماذا كان من أمرها والمرجح أنها فقدت مع التابوت لما ضرب
بختنصر الهيكل .

ومن مجموع ما كتب في هذا الشأن يمكن تقرير النقاط الآتية :

خلاصة ما يقوله علماء أوربا هو أن شريعة حمورابى التى وجد أنها
توافق التوراة في أحكامها وتخالفها بعض المخالفة ، هذه هى التى نقلها
ابراهيم عليه السلام من بابل الى فلسطين عند قدومه اليها ، وان موسى قد
اقتبس منها كل ما رآه يصلح لسياسة بنى اسرائيل وبذلك تكون الشريعة
التي يفخر اليهود والنصارى بأنها الهية ، مقتبسة من الشرائع الوثنية ويكون
موسى مزورا بادعاء أنها أوحيت اليه من الله . (حاشاء حاشاء) .

ويلقى السيد رشيد رضا على هذا فيقول : ان هذه التوراة لا خلاف
ولا نزاع بين أهل الكتاب في أن التوراة التى لقنها موسى عليه السلام قد
فقدت ثم وجد عندهم غيرها والأخبار في ذلك معاه ، يستدلون على أن عزرا
كتب التوراة بعد فقدتها لما اذن لهم ملك بابل ارتجسنا بالعودة الى بلادهم
أمر كاهنهم عزرا أن يضع لهم قضاة وحكاما يعملون بشريعته وقد كتب لهم
عزرا هذه التوراة الحاضرة وأودعها ما كان لا يزال يحفظه من وصايا
الرب وأضاف اليه ما حفظه من شريعة الملك فجاءت هذه التوراة مزيجا من
الشريعتين كما تبين الاكتشافات الجديدة وكتب العهد العتيق الذى يسمون
مجموعها التوراة تؤيد كون الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى قد كتبت بعده
بزمان طويل .

٥ — كذلك فقد نشر المنار مقدمة كتاب الأناجيل للفليسيوف تولستوى
(م ٢٢٦/٦) وقال ان تولستوى ألف كتابا أرجع فيه الأناجيل الأربعة الى
انجيل واحد حذف منها ما لا يوثق به من الأقوال التاريخية والخوارق
الكونية .

كما أشار الى مناظرة عالم مسلم لدعاة البروتستانت في بغداد (السيد
هبة الدين صاحب مجلة العلم في النجف) حول قضايا عديدة منها تقديس
الانجيل والمسيح النبى ، ورجعة المسيح ونزول عيسى .

كما نشرت المنار مذكرة عن أعمال المبشرين في السودان ومساعدة الحكومة الانجليزية لهم وقد جاء فيها ان المبشرين يعمدون في حمل الاهالى الى ارسال اولادهم الى مدارسهم الى الآباء والتودد اليهم واعطائهم الطعام والاقمشة ، ويعلم المبشرون في مدارسهم اصول الدين المسيحى والقراءة والكتابة وبعض العلوم الضرورية .

٦ - في هذه المرحلة كان الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى دخل في الاسلام قد بدأ ينشر في المنار جملة مقالات مستفيضة حول القضايا المثارة وموقف الاسلام منها تحت عنوان [الدين في نظر العقل الصحيح] (المجلد الثامن) من المنار وقد تناولت هذه الفصول شبهات الماديين وشبهات النصراني وتضايي النبوة ومسائل مختلفة حول السيدة مريم أخت هارون والسامري ، وآزر أبو ابراهيم وجبل الجودى ..

كذلك فقد بدأ السيد رشيد ينشر فصول انجيل برنابا التى طبعها في كتاب مستقل بمقدمة قال فيها (م ١١) :

نرى مؤرخى النصرانية قد أجمعوا على أنه كان في القرون الأولى للمسيح أناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ومن الأناجيل المرفوضة : انجيل برنابا وبرانبا حوارى من انصار المسيح الذى يلتقبهم رجال الكنيسة بالرسائل صحبه بولس زنا بل كان هو الذى عرف انتلاميذ ببولس بعدما اهتدى ورجع الى اورشليم ومقدمة الانجيل قاطعة بأن بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح لكن تعاليمه هى التى غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانية ويذهب بعض علماء الافرنج الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما في دائرة المعارف الفرنسية .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن تولستوى كان يتطلع الى ظهور انجيل برنابا وأشار اليه في كتابه فقال أنه من تلك الأناجيل الى رفضتها الكنيسة وقد بقى تحت حجاب الخفاء حتى لم يطلع عليه الا بعض الباحثين من العلماء وان هؤلاء الباحثون لا يصدهم شيء عن احياء الآثار القديمة وهم يتوقون الظفر بنسخ من هذا الانجيل لينشروها بين الناس .. »

وقد ظفروا بنسخة باللغة الإيطالية كانت قد سرقت من مكتبة الفاتيكان (م ٣٨٥/١٠) .

٧ — ويتابع المنار حملته في مجال ارساليات التبشير فينشر فصول الكتاب الخطير الذي عثر عليه السيد محب الدين الخطيب وأذاعه في جريدة المؤيد سنة ١٩١٢ وهو الكتاب الأشهر (الغارة على العالم الاسلامي) أو فتح العالم الاسلامي ، يتحدث عن جهود جهنيات التبشير الكاثوليكية والبروتستانتية في مصر والهند والبحرين ، عربتها المؤيد عن مجلة العالم الاسلامي التي تصدرها في فرنسا (الارسالية العلمية المراكشية) وكانت هذه المجلة قد أنشئت منذ خمس سنين وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسي الانجليزي واعتداء إيطاليا على طرابلس المغرب ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها في التوسل بالعلم الى المقاصد السياسية والدينية ، ويرأس تحريرها المسيو شاتليه ويكتب فيها لويس ماسنيون المستشرق الذي اقام في بغداد سنين عديدة وكان في مصر منذ سنين وقد كان لنشر هذا الكتاب في المنار بعد المؤيد أثر كبير ولا يزال (م ١٥) .

وفي مواجهة هذا أخذ ينشر الدكتور محمد توفيق صدقي صفحات تحت عنوان بشارت عيسى ومحمد في العهدين العتيق والجديد بها حديث طويل عن اليهود والسبى البابلي وفساد اليهودية للمسيحية وتحريف كتب النصاري والتثليث . وابطال ما يستدل به النصاري على الوهية المسيح في العهد القديم .

كما نشرت حديث طويل عن الاتجيل وبشارتها بنبينا ومن لفتها ونسخها القديم وغلطها وتحريفها ، كما عرض المنار للرد على كتابات المبشرين والمستشرقين في قولهم بأن القرآن ليس سوى مجموعة اقوال مقتبسة من التوراة والاتجيل وبعض تعاليم المجوس بقلم هنري جونسون ، يدعو قومه الى مقاومة كل تعليم ديني على القرآن لئلا يرتقى المسلمون به فيخرجون من العبودية التي يريد لها لهم .

ونشر المنار فصولا أخرى منها دخول عبد الكريم يوسف جومنو الفرنسي في الاسلام وتاليف كتابه الذي تترل مقدمته :

« وجدت في الاسلام دينا سمحا سهلا المأخذ بين العقيدة واضح انبرهان مجردا من الغموض لا يفتقر اتباعه في عبادة خالقهم الى واسطة فارتضيته لنفسى والحمد لله فقد مكثت عشرين سنة ابحث عن الدين الحق لآكون من شيعته (م ١٧/٢٢١) .»

واورد السيد رشيد رضا عرضا لكتاب سلامة موسى (نشوء فكرة الله) عن خلاصة كتاب لجرائنت اثار اليه الكاتب الانجليزى فقال : شاب قبطى الجنس ماذى الاعتقاد يعنى باقنناع الناس بان الاديان اوضاع مخترعة ينبغى لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعى واصول الاشتراكية وهى من آراء غلاة المادية من الامرئج أن يعمل الاقوياء باهلاك الضعفاء ومنعهم من الزواج وقد اثار هذا الكتاب جدلا شديدا وكتبت عنه جريدة مصر القبطية بحثا تم رد عليهم السيد رشيد رضا مطولا (م ١٧/٢٢٢/٤٧٨) .

٩ — وعرض المنار لما اثار اليه الباحثان الاوربيان : جورج سيسل والكربوخراميين والنريبيين في ترجمة القرآن الشريف وغيرهم من اقدم فرق النصرى الذى قالوا ان المسيح نفسه لم يصلب وانما صلب واحد اخر من تلاميذه يشبهه شبها تاما ، وفي انجيل برنابا صرح بان هذا التلميذ الذى صلب هو يهوذا الاسخريوطى وهو الذى قالت عنه كتبهم أنه انتحر يوم الصلب لانهم لم يجدوه والظاهر انهم لم يعرفوا حقيقة ما حدث ولذلك اخفيت تفاصيل قصته في سفر الاعمال .

وتولى الدكتور محمد توفيق صدقى هذا الباب بوصفه كان مسيحيا ثم حسن اسلامه ، واجرى عديدا من البحوث حول عقائد النصرانية وكتب العهد الجديد كما نشر في تفسير القرآن فصلا مطولا عن عقيدة التثليث (م ١٦) .

كما نشرت المنار مقالا مطولا في الرد على ما نشرته مجلة الشرق والغرب من الطعن على السنة وصحتها والشريعة ومقاييسها فقد طعنت في السنة النبوية وزعمت أن طعنها يوجب الريب في الشريعة وترك العمل بها وانها لا قيمة لها في نفسها (م ١٩/٩٧) .

٩ — واليك نموذج مما كان ينشره صمويل زويمر كبير المبشرين في البلاد الغربية في الصحف الامريكية من اكاذيب واباطيل استدرارا لامواله

الأمريكيين بحجة أنهم سيحصلون على نصر قريب في بلاد المسلمين وهي خدمة معروفة تقوم بها الارساليات المسيحية في كل مكان وعصر .

قال : ان الجاحدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين في الشرق الأدنى وأن دور الاولياء والكهنة قد انقضى فأصبح المسلمون يرحبون بالانجيل المسيحي وقال ان اللورد رادستوك ألقى في جمعية الشبان المسيحيين عدة مواعظ وجدت ترحيبا وحفاوة ، فدل ذلك على أن الفرصة سانحة للتبشير بين طبقات كافة المسلمين الذين يمثلون المجموع الأعظم خاصة وان الأبواب التي كان مستعدة أن تفتح ، أصبحت الآن مفتوحة على مصراعيها لقبول الدعوة وقال أنه مما يشجع على ذلك أننا نرى اقبالا لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية وحتى معلمى الجامع الأزهر .

فقد جاء في مؤلف لأحد علماء الاسلام في القاهرة فصل عن السيد المسيح يبين فيه جلال المسيح وتأثيره العظيم في التاريخ ، ان الاسلام لا يعترف رسميا بصلب المسيح ولا آلامه فأصبحت خشبة الصلب هي العثرة في سبيل ايمانهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغريها عقل المسلم . لقد غلب الاسلام في ساحة الحرب فأصبح مخدوعا في مظاهره مضطربا في برامج ، وعليه فانه أصبح ناضجا مستعدا لقبول التعاليم المسيحية ، اذ بات يفهم ان الله لم يعد يحارب لأجل الاسلام كما كان يحارب قبلا وان تلك الخطط التي كانوا يلبسونها ستارا من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب لم تجدهم نفعا فان اليهودى يرجع الى فلسطين وأصبح المسيحي في مصر وسوريا يرفع رأسه بعد أن كان ذليلا مهانا . ان الطلاب الأبيض ابتداء يزول فالمتعلمون من المسلمين يقررون الكتب الامرنسية والانجليزية على الاخص كتابات (لامنس ، كانياتى ، موير ، ملكوليوت) وغيرهم ثم ان خدائجش من كلكتا ترجم مؤخرا كتاب الدكتور ويل في تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانجليزية منتقدا الديانة الاسلامية أكثر مما كان ينتقدها في خطاباته وعليه فان الفرصة سانحة للتبشير وبث تعاليم المسيحية « يقول السيد رشيد رضا معلقا :

قد يرى المستشرقون في هذا الجهاد انتصارا لهم : من الفئة المتعلمة من المسلمين الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آبائهم ،

وقوله ان الطعن قد قضي عليه بكسر الدولة العثمانية واقتسام انبلاد العربية هو خطأ محض ، وان أوربا قد جنت بهذه الحرب الوحشية ومعاهدات الصلح على المسيحية وعلى المدنية الأوربية أقبح جنابة (م ١٩٢١/٢٢ م) .

١٠ — وأشار المنار الى ان مجلة المشرق (الجزويتية) بدأت تصرح بالطعن في الاسلام اذ زالت الحكومة العثمانية التي كانت تمنعها من التصريح فتتوارى احيانا وراء ما يحتمل التأويل ، هذا وان دعاة البروتستانتية في مصر وغيرها لا يزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والتنفير منه والدعوة الى دينهم حتى مللنا من النظر فيها . هذه المطامع من اشد ما ينفرهم من النصرانية ويزيد العارفين بدينهم اعتصاما به ومحافظة عليه .

وأشار الى ان مسألة الوهية المسيح أصبحت في بلاد الانجليز موضوعا لأهم المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمسائل الدينية والفلسفية ولاسيما رجال الاكليروس الانجليكاني ، على ما نشرته جريدة الديلي تلغراف (م ٢٦٧/٢٣) .

وأشارت المنار تحت عنوان (بعثة تنصير المحمدين وبرنامج كيدها للاسلام والمسلمين) قال : في ألمانيا أرمي اسمه الدكتور لسيوس ، قدم شهادة ضد الاسلام في رسائل بعث بها مصدر النشرة المدعوة بالشرق المسيحي ، فقد حصلت على مجموعة كاملة للسنة الأولى من مجلة المشرق المسيحي سنة ١٩٠٠ التي تصدرها البعثة الدينية في ستة مراكز عمل في بلاد الدولة العثمانية واثنان في بلاد فارس واثنان في بلغساريا وفي مقال بعنوان (واجبات البعثة المحمدية ومهمتها) وصف قدر الدين الاسلامي وقال ان الاسلام من أشأم ما ظهر في تاريخ الانسانية فهو خليط من الصدق والكذب وهو لذلك أشد خطرا من الوثنية وان الدين المسلط على مائتي مليون رأس ليس من السهل التغلب عليه فيجب تحضير خطة دقيقة تكون كاحكم الخطط الحربية وضعا ، لهاجمته وانفذ هذه المهاجمة بأنجح وسائل التنفيذ . مع ضرورة مراعاة اختلاف أنواع المسلمين ، ولا ننصح بالكف عن العمل لتنصير المسلمين في البلاد الاسلامية المستقلة ونوصي بالحذر دائما في

لوسائل لانقاذ من يؤتى بهم الى المسيحية واستخدام الجرائد والنشرات
للحملة على الاسلام والترغيب في المسيحية (م ٧٨٥/٢٤) .

١١ — أشار المنار الى ان القس المحترم الفريد نلسن الدينماركى
المقيم في دمشق وجه أسئلة الى المنار يقول فيها : انه من الواجب على كل
متنور أن يعرف الكتاب المقدس الذى أسس عليه تمدن الغرب ، ويقول :
هل الأحسن من يتمسك بدين من الأديان بعد الامتناع ويطبق حياته عليه
أم الذى يبقى في دين آبائه بدون اعتقاد داخلى ؟

قال السيد رشيد رضا : ان المبشرين في مدارسهم الأمريكية وغيرها
يشككون الطلاب المسلمين في دينهم ولا يقنعونهم بالنصرانية فيخرج الكثيرون
منهم ملحدين أو منافقين فضلا عن خدمة المدارس ومستشفياتها لمطامع
السياسة الاستعمارية حتى قال لورد سالسبرى الوزير الانجليزى المشهور
عن مدارس المبشرين انها أول خطوة من خطوات الاستعمار لأن أول تأثيرها
احداث الشقاق في الأمة التى تنشأ فيها فينقسم بعضهم على بعض باختلاف
الافكار والشك في الاعتقاد فتتمكن الأجنبى من ضرب بعضهم ببعض وينتهى
ذلك بتمكن المستعمرين من نواصيتهم وسلب استقلالهم واذلالهم وسلب
ثرواتهم .

وقال : ان بناء تجديد الغرب على المسيحية دعوى ممنوعة على
اطلاقها وباطلة بالصفة التى يدعيها المبشرون في هذه الأيام لاستمالة
المفتونين بالمدينة الاوربية الى النصرانية بها ، فقوانين الغرب أبعد شرائع
الأمم عن شريعة التوراة الا في القسوة على الضعفاء والمفلولين ، وآداب
أهله أبعد من آداب جميع البشر عن آداب الانجيل من كل وجه ، فمدرسة
الأمم الغربية مادية شهوانية قوامها الكبرياء والتعالى وعبادة المال والطمع
والرياء والاسراف في الزينة والشهوات فأين هى من أصول آداب الانجيل
المبنية على التواضع والزهد . . أما العلوم والفنون وشكل الحكومات
المقيدة فلم يكن أثرا من آثار انتشار تلك المجموعة في بلاد الغرب بل كان
من آثار العرب والاسلام ، فما انتقل الى أوربا من الأندلس العربية
الاسلامية وما حملته غزاة الحروب الصليبية اليها من سوريا ومصر
الاسلاميتين . ثم قال : ان نشر هذا الكتاب كان نقمة ومصيبة على أهل

البلاد التي نعرفها بما أحدث من الشقاق والتعادي بين أهلها ، وفقاً لما قرره اللورد سالسبوري وأن جميع أهل العلم والبصيرة من أهلنا في البلاد السورية يعلمون اليوم حقد القوم وأنه ما أفسد ذات بينهم وفرق كلمتهم وحرّمهم نعمة الأخوة الوطنية إلا مدارس المبشرين ونزعاتهم . (م ٢٥ × ١٨٨)

ولما كان السيد رشيد رضا ملماً ومتابعاً لكل ما يظهر في البلاد العربية الإسلامية فقد كان قادراً على الإحاطة بالتيارات المختلفة ، وخاصة ما يتصل بالثبّاسم ، ذلك أنه ما لبث أن كتب تحت عنوان الأغرء بين النصاري والمسلمين حيث ورد كتاب جديد من بيروت ألفه أحد نصاري لبنان لتأريث العداوة والبغضاء بين أهل وطنه جمع فيه من كتب التاريخ أحاديث جعلها مما ينقمه النصاري من حكومات المسلمين وخاصة ما يتصل باضطهاد أسبانيا لمسلمي الأندلس ويهودها (م ٢٥ / ٧٠٩) كما أشار إلى أن القس بولس مسعد ألقى عدة خطب ومحاضرات في مصر وسوريا وفلسطين لدعوة المسلمين فيها إلى النصرانية وجمع ذلك في نسخة . . وزعم أن القرآن يثبت عقيدة التثليث وإنها عين التوحيد الذي يدعو إليه وعند المنار كذب هذه الفرية (م ٢٥ / ٧٩٧) .

١٢ — وكان من أخطر ما أثير في هذه المرحلة (عام ١٩٢٧ تقرّيساً) ما أنيع عن مشروع بريطاني جديد لتنصير جزيرة العرب (م ٢٨ / ١٤٠) فقد ترجم المنشور الذي أذاعته جمعية تبشيرية في لندن تحت عنوان (يسوع المسيح لبلاد العرب الآن) .

وهي دعوة إلى تنصير بلاد العرب التي فيها من أربع ملايين إلى اثني عشر مليوناً ولم يدخلها التنصير بعد ، ولم تبلغهم دعوة الإنجيل ، بلاد العرب ، هي مهد الإسلام وفيها مكة التي هي القبلة لزهاء مائتين وعشرين مليوناً من المسلمين يتوجهون نحوها) وقال النداء :

من يذهب إلى هناك من حجاج المسيح ويهدى أولئك الحجاج الذين لا يحصيهم عد هداية بنعمة الله حتى يصيروا حجاج المسيح وحده . هذه دعوة إلى أبناء إسرائيل أن يتقدموا إلى الإمام إلى بلاد العرب . ان الحاجة شديدة إلى مائة مبشر يذهبون إلى قبائل بلاد العرب المهمة التي لم تبلغها الدعوة بعد ، هناك نحو مائة قبيلة في بلاد العرب يمكن تبليغهم الدعوة وهم

يسكنون بلادا غير انجيلية مساحتها ثلثا مساحة الهند . « القس ياركليين » .
احمل الكتاب المقدس الى العرب . اذهب أنت بنفسك . ارسل
غيرك لا تقطع صلاتك لأجل بلاد العرب ، ادع بلاد العرب والعرب الى
المسيح .

« الجمعية العالية الصليبية للتنصير في العالم وبلاد العرب (لندن) »
وفي نفس الوقت الذى كان السيد رشيد رضا يدحض الدعوة الضالة ،
يتحدث عن : (تحول الكنيسة الانجليزية عن التقاليد النصرانية) من جريدة
الدبلى اكسبريس (٢١ نوفمبر ١٩٢٥) . . حيث قالت ان القس انج ينكر
المعجزات : وان هذه قنبلة مصوبة الى قلب الكنيسة حيث قال القس
انج :

« ان مسألة ان المسيح نزل في جوف الأرض ثم قام من قبره في اليوم
الثالث وصعد الى السماء بجسده ، ليس من اللائق بالكنيسة ان تفكر
في هذه المشكلة التى ظلت نحوا من أربعمئة سنة وهى ترغم الناس على
الاعتقاد بها » .

ويشير القس انج في كتابه تحت اسم (العلم والدين والحقيقة) الى
قول اللورد بلفور : ليس بين القراء من يعتقد ان الكتاب المقدس ليس الا
كتابا تاريخيا ومرجعا للعلوم الكونية لا يمتاز على غيره الا بأنه موصى به ،
والقس انج يسلم بأنه موصى به اما مسألة تنزيهه من الخطأ فينكرها البتة
ويقول : ان بعض العقائد المسيحية أصبحت لا يمكن التصديق بها علميا
فلا يمكن التصديق بها دينيا . ان معرفة أن الأرض ما هى الا كوكب يدور
حول الشمس وهى واحدة من ملايين الأجرام السماوية : ذلك الاكتشاف قد
مزق النظرية المسيحية التى تقول بأن الأرض هى مركز العالم وأنها كطبق
يحدده غطاؤه وقال القس انج : ليس امام المسيحيين الا أن يعتبروا أن هذه
الأساطير الدينية لا تتماشى مع روح العلم ولكنها تحمل على أنها رموز عن
حقائق أزلية ، وأن تعترف بأن كل التقاليد اللاهوتية المؤسسة على النظرية
التي تقول بأن الأرض هى مركز العالم يجب أن تنبذ ما دامت لا تتفق مع
النتائج العلمية الصحيحة .

١٣ — ولا يلبث اللورد هدلى رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية أن يحض مطاعن المبشرين فى صاحب الرسالة الاسلامية ، فقد نشرت المجلة الاسلامية (اسلاميك ريفيو) التى يصدرها خوجه كمال الدين مقالا مطولا بقلم اللورد هدلى الذى اعتنق الاسلام منذ عشر سنين ردا على مفتريات المبشرين حيث قال : انى أشعر بالأسف وأنا أقرأ كتابات الارساليات المسيحية عندما أجد أن أحد رجال وطنى يضطر الى الأخذ بالرياء والتمويه والتحريض لى يقرر آراءه نحو الدين وانه ليذهل أن يرى القارئ الى أى مدى تسير العصابات الدينية المسيحية .

وانظر الى وجه الصورة الآخر : ألا تدهشك رؤية مظاهر روح التسامح والحسنى التى يقررها القرآن وذلك الهدوء الذى يلاقى به المجتمع الاسلامى الحملات القوية العديدة القيمة التى تحمل عليه وعلى ديانته باسم عيسى الكريم أحد أنبيائه ، واذا كانت هناك كلمات شديدة يدافع بها المسلمون عن كرامتهم الا أنهم لم يلجأوا الى مثل هذه التهم الملفقة كى يكون فيها أهم أسلحتهم التى يهاجمون بها خصومهم (م ٢٩) .

كذلك فقد نشرت المنار فصلا مطولا عن أزمة الصلاة فى انجلترا وهو فصل كتبه الأمير شكيب ارسلان . عن موقف البرلمان البريطانى برفضه التعديل المقترح فى كتاب الصلاة مراعاة للتطور الاجتماعى والدينى والسياسى فى الأمم النصرانية وتقريبا للبروتستنتية من الكاثوليكية أنها وقرر ابقاءه كما هو بالرغم من الوف طلاب التجديد وذلك فى مجال الرد على الدعاوى التى كانت تثار فى البلاد الاسلامية عن أن حكومات الغرب منفصلة عن الدين وأن الدين منفصل عن السياسة وأن أوربا لم تبلغ هذا المبلغ من الرقى الا بفصل السياسة عن الدين وأن الحكومات الأوربية لا تتدخل فى المسائل الدينية فى بلادها بل تعدها خارجة عن اختصاصها وقال ان الشرقيين المساكين يصدقون هذه الأقاويل لعدم اطلاعهم على الحقائق . وقد أنحصر الطعن الجديد فى كتاب اسمه الصلاة العامة ، وهو كتاب قداس وكتاب مزامير وطقوس ويمتاز بأمور كثيرة عن كتب الكنيسة الرومانية وكان المطلوب أن تلغى الاوراد ودللب الشفاعات والاستغاثات بالقديسين وبمريم العذراء (م ٢٩ / ٢٠١) .

كذلك اُشارت المنار الى دعوة الانجليز لاهياء ذرى غردون في السودان بتنصير مسلمى السودان فقد وجه نداء بمناسبة ذكرى مقتل غردون للاكتتاب بمبلغ ٦٠ الف جنيه لتخليد اسمه بعمل هو اشادة كنيسة من اكبر الكنائس التى تنشئ في بور سودان وعطبرة ووادى مدنى تسمى كنيسة غردون التذكارية (م ٢٩/٧٦٥) .

وقد أنشأ السيد رشيد رضا فصلا مطولا في العام الثالث والثلاثين بعد أن رفعت الرقابة في مصر عن تاريخ التنصير والتبشير ومساعدة الحكومة نه فقال : ليس في مصر من الحملة الدولية الصليبية على الاسلام ، كل ما في المستعمرات الأوربية منها ، ليس منها مسألة كمسألة البربر في المغرب ، ومسألة الملوك في سورية . ولا كمسألة التخسيس في أفريقيا الفرنسية كلها ولا كمسألة الجلاء والابادة في طرابلس الغرب وبرقه اذ لا مجال فيها لهذه الحملات وهى ذات حكومة اسلامية مستقلة بنفسها ، معترف باستقلالها في جميع الدول ، وما كانت سيادة الدولة العثمانية السياسية عليها الا مزيد حضانة لها ووقاية من هذا النوع من الحرب الصليبية . ثم قال : لقد اعتدى على استقلالها الفرنسيين ثم الانجليز ، وقد اعتدى على استقلالها الفريقان وغيرهما بالتعليم الالحادى وجميع وسائل التنصير من دعاية لسانية وكتابية وتعلم وتطبيب واغراء واغواء بالمال والشهوات وغير ذلك ، وقد وجدوا من حكومتها المتفرجة كل مساعدة مالية وادارية على جميع ذلك وكان نجاحهم في التعليم الالحادى اتم من غيره فهو الذى جعل نفوذهم السياسى والأدبى والاقتصادى يعلو ولا يعلو ويحطم كل ما تحته من نفوذ الحكومة المصرية ومن حرمة للأمة المصرية واشتد هذا النفوذ من عهد اسماعيل باثنا الى اليوم فكانت مدارس الأجانب الالحادية والتنصيرية تساعد من الحكومة المصرية بالمال وبهبة المباني والأراضي وباعفاء ما دبر لها من بلادها من الكتب المراد بها هدم الاسلام وغيرها من رسوم المكس (الجمر ك) وكان الوزراء والكبراء ثم الأوساط فالفقراء ما زالوا يعلمون أولادهم ذكرانا واثنا فيها ويفضلون تربية القسيسين واثريهين والراهبات والمبشرين والمبشرات على تربية المدارس المصرية الأميرية وغيرها ، ولم يكن أحد ممن يقدمون بأولادهم فيها يبالي عاقبة هذا التعلم في جانيته على الدين والدنيا ، أما الدنيا فلأن زمامها في أيدي هؤلاء الامرنج فصارت تطلب

بالزلفى عندهم وقال لورد سالسبورى : أن مدارس المبشرين أولى خطوات الاستعمار فان أول عملها أحداث الشقاق فى الأمة التى ينشر فيها أما الدين فأنه لم يعد مما يراد فى مصر من التربية والتعليم اذ قررت الحكومة المصرية جعل ما كان واجبا من تعليم والعمل به أمرا اختياريا لا شأن له ولا يطالب التلاميذ به فصار الدين فى مدارسها كالشيء اللقأ (اللقاء بالفتح ما يلتقى وي طرح لعدم الحاجة اليه) وهى تعلم ان أمما من الانرنج يجعلونها من الفرائض القطعية التى لا هودة فيها يجمعون عليها كل من أبناء دينهم ومن المسلمين . وتعليم الأزهر وملحقاته للدين أصبح عقيما فى هذا العصر كما بيناه بالبرهان مرارا وأقمنا الحجج اللسانية به على شيخ الأزهر لهذا العهد والخرافات الدينية فاشية فى الأمة من جهة ونزعات الاتحاد والتفرنج من جهة ثانية فخلا الجو للمبشرين فى التعليم الدينى بالأساليب العصرية الموافقة لأذهان التلاميذ ومبدأ الدين فطرى فى أنفس البشر فان لم توجد من يلقنه من النشء دين الفطرة المعقول قبلوا من يلقنهم أى دين كان قبل الرشد واستقلال العقل . ذلك ولم توجد فى مصر هيئة دينية حكومية ولا أهلية تتولى أمر التربية الإسلامية العامة ومراقبة سيرها فى الأمة والعناية ببيت التعليم الدينى السهل والوعظ العام فى طبقات الأهالى ولا سيما تعليم البنات وارشاد الأمهات كالهيات البطركية والحاخامية عند النصارى واليهود ولم يوجد منها جمعيات اسلامية تتولى ذلك بنظام عام الا ما تجدد فى السنين الأخيرة من الجمعيات الوعظية الضيقة النطاق . وكان أول من فطن من المسلمين بأمر تنصيرهم فى مصر المصلحان العظيمان الأنفانى ومحمد عبده فى القرن الماضى وكانت أول حادثة أن طغمة التبشير الأمريكية نصرت فتى مصرىا وصارت تعرضه للوعظ العام الذى يحضره كثير من المسلمين بكنيستهم فى حى الأزيكية فكبر ذلك على السيد معهد الى جماعة من الايرانيين بخطفه من الكنيسة ووضعه فى مكان خفى ففعلوا وذهب هو وتلميذه الأكبر الى ذلك المكان واستقبا الفتى وأقنعاه بأن الاسلام هو دين الله وسعيا لتلافى هذا الأمر لدى الحكومة فلم يسمع لهما أحد ، وكان الشيخ محمد عبده أول من فكر فى خطر المدارس الأجنبية فى مصر فاقترح على مجلس المعارف الأعلى الذى ألف فى مصر بسعیه ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م أن تقرر جعل جميع مدارس الأجانب فى القطر المصرى تحت مراقبة الحكومة ، ثم نكبت

البلاد بالاحتلال الانجليزى . اثر الثورة العربية فقدت حكومتها كل سلطان لها على التعليم وغير التعليم ، والبقيت مقاليد وزارة المعارف المصرية فى يد تسييس انجليزى (ميسر) جعل سكرتيرا لها مستشارا ثم اعترفت مصر بعد الحرب الاولى بالاستقلال مقيدا بتحفظات لا تمس التعليم الحكومى ولكن الدين الاسلامى لم يزد بذلك الا ضعفا فى مدارس الحكومة والأوقاف العامة والخاصة وتعارضه قوة دين النصرانية فى جميع المدارس الاجنبية . وبلغ من مساعدة الاحتلال البريطانى لدعاية المبشرين بسيطرتها على الحكومة ان امر اللورد كتشنر وزير الأوقاف بالغاء المستشفى الذى بنته الوزارة فى مصر القديمة بجوار مستشفى هرمل التبشيرى لأنه يصرف كثيرا من فقراء المسلمين عنه فيحرمون من التبشير بالنصرانية .

وجرت محاولة لاجلاق المنار لأنه يتصدى بالرد على أراجيف التبشير النصرانى وحاول اللورد كتشنر اغلاق المنار وقال رشيد رضا انه لن يدع الرد على المبشرين ما داموا يطعنون فى الاسلام ويدعون المسلمين الى دينهم لأن الرد عليهم وتنفيذ شبهاتهم فرض من فروض الكفاية لا أرى فى البلاد مجلة أو جريدة تقوم بها فان تركتها كنت آثما كجميع القادرين عليها ، وقالوا ان الدكتور محمد توفيق صدقى شديد اللهجة ويكتب ما يعد طعنا صريحا فى الديانة المسيحية لا بياناً لمعتقد الاسلام ولا مناقرة المبشرين .

ويعود السيد رشيد رضا بالذاكرة الى المجلد السادس من المنار (١٩٠٤) حيث قدم عرضا لأخطاء التبشير فقال : لدعاة النصرانية المبشرين عدة مدارس ومستشفيات وصحف فى مصر لا فرض لها الا تنصير المسلمين وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على انشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم نشر العلم وعمل الخير ثم انهم ينشرون فى كل سنة عدة كتب ورسائل فى الطعن فى القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام وتنفير المسلمين من الاسلام بالاضافة الى النشرات والأوراق الصغيرة التى ينشرونها فى المستشفيات والخطب التى يلقونها فيها وفى سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم أن يكون للمسلمين فى هذا القطر الاسلامى كله صحيفة اسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الاسلام فسعوا بواسطة بعض قناصلهم الى لورد كتشنر

ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بإلغاء مجلة المنار وإبطال صدورها ومحاكمة صاحبها هو والدكتور محمد توفيق صدقى .

وقد سألنا فقلنا : اننا اقدمنا على هذا العمل مدافعين لا مهاجمين وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا فى الطعن فى ديننا أضعاف ما كتبنا وان هذا الرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يتم به بعض المسلمين اثم الجميع . وكما جرى العمل على تعطيل المنار قفى السودان صودر واحرق واستمر المنع حتى عام ١٣٤٥ .

وقال : حدث هذا كله والأزهر لا يبدى ولا يعيد حتى صار القس زويمر يدخل الأزهر ويزور بعض علمائه فى بيوتهم داعيا الى النصرانية حتى كاد يبطش به صديقنا الشيخ على سرور الزنكلونى فى الأزهر واشتهرت الحادثة .

ومما ذكره السيد رشيد رضا فى الرد على كتاب نقولا عبريل فى الدعوة الى النصرانية والطعن فى الاسلام : ان عقائد المسيحيين التى هم عليها من عهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وان ما يسمى التوراة ليست هى التوراة التى شهد لها القرآن الشريف وانما توراة القرآن هى الأحكام التى جاء بها موسى عليه السلام .

الفصل السابع

ما حققته حركة الإصلاح من نتائج

- ١ -

توفي الشيخ محمد عبده عام ١٩٠٥ وعاش السيد رشيد رضا بعده حتى عام ١٩٣٥ وصدر المنار خلال هذه الفترة لم يتوقف عن الإشارة الى حركة الإصلاح التى قام بها الأستاذ الامام ولا عن متابعتها فى جميع ميادينها وتنميتها ودفعها الى الامام من خلال الاعلام تلاميذ الشيخ المفتى وكان منذ بدأ المنار يشير اليها على أنها « النهضة الاسلامية فى مصر » أو حزب الشيخ المفتى كما وصفها اللورد كرومر — يقول فى المجلد الثانى من المنار :

كان مبدأ هذه النهضة فى مصر رجل أعجمى الوطن علوى النسب وهبه الله من ذكاء العقل ونكاء الفطرة ما يندر منه فى الأجيال الكثيرة والقرون الطويلة الا وهو الحكيم الاسلامى الشهير السيد جمال الدين الأفغسانى نور الله مرقدته ، قرأ العلوم الاسلامية وأساليبيها ومقاصدها وبرع فى الفنون العقلية كالحكمة القديمة والكلام والأصول ثم نظر فى الفنون الرياضية والفلسفية على طريقة أوربا الحديثة وسلك طريق التصوف سلوكا كاملا وأضاف الى علمه الواسع فى التاريخ الاختيار بالسياحة ، وعنى أشد العناية بدراسة أحوال الاسلام وتعصف أمراض المسلمين الاجتماعية التى أرجعهم عن مقدمة الأمم الى ما وراءها ووقف نفسه على تنبيه المسلمين من غفلتهم وارشادهم للقيام بواجب شئونهم حتى تلحق الأمة الاسلامية بالأمم العزيزة ، ولجأ جمال الدين الى عالم السياسة وحاول أن يكون الإصلاح من جانب الملوك والأمراء وكان أن سلك فى مصر طريقة الإصلاح الملى وهو التربية والتعليم فانبرى له علماء السوء الذين وضعوا فى طريقه الأسموك والعوثر وحاربوه بسلاح الدين فى شبهات ثلاثة :

١ — انه كان يعرف الفلسفة ومتوغلا فى العلوم العقلية .

٢ — عدم التقيد بالعادات التى ألفوها ولونوا الكثير منها بلون دينى .

٣ - ان كثيرا من المترددين عليه والملتفين حوله كانوا لا يبالون أمر الدين .
ثم قال : ان أمثل من اتصل بالسيد من الذين تربوا في مهد الدين علما
وعملا العلامة المفضل الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وهو الرجل
المفرد الذى تشبه نظرتة الذكية نظرة السيد جمال الدين وتمائل تربيتة
تربيته ... الخ .

وفى خلال حياة الشيخ محمد عبده عمدت المنار الى تسجيل رحلاته
وخطواته (رحلاته الى الجزائر وتونس) ورسائله الى العلماء والكبراء
وتقارير اصلاح التعليم واصلاح المحاكم الشرعية والرد على الطاعنين
والحديث عن هجرته الى أوربا واخراج مجلة العروة الوثقى مع جمال الدين
ورحلته الى سوريا ودروسة ، والرد على فرح انطون وعمله فى انشاء
الجمعية الخيرية ودراسات عن اتصالاته بفكرة توحيد الأديان وصلته
بالمستشرق بلنت وبكرومر . وأشار الى أن كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥
الذى نشره المنار (م ١٠) قد اطلق على هذه الحركة عبارة « حزب الشيخ
محمد عبده : حزب الاصلاح الاسلامى » كما أن المنار كشف فى هذه
السنوات وجهة نظر الشيخ محمد عبده فى كل أمور السياسة والاجتماع
فكان للمنار موقف مع مصطفى كامل وكان له موقف مع اللواء
بشان العصبية الجنسية ، ومعارضته للشيخ محمد بكيت ومعارضته
للمتصوفة وأخبار نازلى فاضل (صاحبة الصالون المعروف) الذى كان يضم
(سعد زغلول وقاسم أمين ومحمد عبده وغيرهم من المتطلعين الى الحكم
فى مصر) كما انه عرض لموقف كرومر من الجامعة الاسلامية (ابريل ١٩٠٧)
وكان فى تقرير لكرومر الأخير قبل استقالته كلام عن الشريعة الاسلامية
نحوه أنها لا تصلح لهذا الزمان (وقد رد عليه كثيرون ، منهم فريد وجدى
ومصطفى الفلايى وعلى يوسف) وكلام عن الجامعة الاسلامية وعن دنلوب
وموقفه من اللغة العربية واذا كان السيد رشيد رضا لم يعرض لهذه الأمور
فى وقتها الا أنه بعد خروج كرومر استفاض فى الكشف عن أخطائها
(المنار م ١١) كما نشر كثيرا من تراث الامامين « الأئمة » وعبيده «
ومنها كتابان سياسيان لهما (م ١٠) .

كما عرض لما أورده كرومر فى كتابه مصر الحديثة عن مصر وعن الشيخ
محمد عبده (المجلد ١١) .

وقد أشار في (المجلد ٦) بالتفصيل الى رحلة الشيخ محمد عبده الى الجزائر وتونس وكيف أنها كانت من أجل رعاية حركة الاصلاح بهما وقد دعا فيها الى الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقها القريب والجد في الكسب وعمران البلاد عن الطريق المشروع (الشريعة مع الاقتصاد في المعيشة) ومسألة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وقال ان الشيخ محمد عبده القى درسا أو خطابا في تونس على ملا عظيم من العلماء والفضلاء وقال : « قصدت هذه الديار للتعرف ببعض المسلمين والنظر في أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعليم والاعراب عما في ضميري مما أتهناه لأخواننا المسلمين من التقدم في العلم » .

وفي حياة الشيخ محمد عبده أخذ المنار في نشر تفسير الشيخ الامام للقرآن بداه في المجلد الثالث وكانت المنار قدمت فصلا مطولا في المجلد الأول عن القرآن وارشاده الى علم الاجتماع وعن السنن الكونية في القرآن وارشاد القرآن الى علم الاجتماع .

كما عرض المجلد الثالث من المنار لقضية جماعة الصوفية واعتبرها جزء من قضية الاصلاح الاسلامي مهاجم البدع والضلالات والاحاديث الموضوعة عن التبرك وشفاء الأمراض والرقص والتمايل .

كما أورد ما يتصل بتقرير اللورد كرومر عن الشيخ محمد عبده ١٩٠٥ (م ٩) الذي أشار فيه الى أن الشيخ أفتى المسلمين بما أوجد لهم بابان يحل لهم بهما تجميع أموالهم في صناديق التوفير من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء . وقال : ان الفئة التي ينتمي اليها الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام معروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها الشيخ الجليل السيد احمد خان الشهير الذي أنشأ كلية عليكره في الهند منذ ثلاثين عاما والغاية القصوى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزوا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني فعملهم شاق لأنهم يستهدفون دائما لسهام نقد الناقدین وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء أغراضهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين ، أما مريدو الشيخ محمد عبده فهم بالنظر الى النهضة المالية بمنزلة

الجيروندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المنتطعون المحافظون في كل قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم ، وان السبيل الذي أرشده اليه الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبنى ملكهم اذا ساروا فيه فأتباع الشيخ محمد عبده حقيثون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين .

وقد أشار السيد رشيد رضا من بعد الى موقفه الصريح من هذه الأمور بعد أن أصدر كرومر كتابه « عباس الثاني » قال : وآملت منه ما شفى عما كان منطويا عليه من التعصب الدينى الذى كان يخفيه بالرياء الفرنسى الذى يوصف به البريطانيون وأظهر للناس أن من أصول سياستهم ظلم كل مسلم تربى تربية اسلامية وتخلق بأخلاق الاسلام بأبعاده عن مناصب الحكم فى بلاده وحصر هذه المناصب فى المتفرجين بالتربية الأوربية الذين رماهم اللورد نفسه فى كتابه « مصر الحديثة » بأقبح النعوت وبزهم بشر الألقاب حيث قال (١) : « من الواضح أن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوربيين لا يقوى على حكم مصر فى هذه الأيام ، ولذلك سيكون المستقبل الوزارى للمصريين المتربين تربية أوربية » ، هذه السياسة قد لقنها المسيطرون البريطانيون للموظفين المصريين بالعمل فصار يعرفها كل واحد .

وأشار السيد رشيد رضا فى هذا المجال الى أن سعد زغلول (الذى رياه الاستعمار وكان أول وزير معارف مصرى فى عهد كرومر والذى مدحه كرومر فى خطاب الوداع) يقول رشيد رضا ان سعد زغلول هذا — وهو يراه من أكبر تلاميذ الشيخ محمد عبده — قد اشتهر بالتساهل الدينى بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذى أدخل تعليم الدين المسيحى فى مدارس الحكومة فى عهد وزارته للمعارف والقبط يعرفون انه اذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق فان حظهم منها سينيلهم ما لم ينالوا فى عهد الاحتلال (المنار ٢٢) وكان الانجليز آمنين من انقلاب سياسى فى البلاد بسعى الذين يتربون على الطريقة الامرنجية

(١) أشار اللورد كرومر الى أن تجربة تولى رياض باشا للوزارة قد فشلت لأنه رجل مسلم وقال ان فشل تجربة رياض باشا لقنننى درساً هو أنه لا فائدة فى محاولة قيادة الراى الاسلامى فى مصر بواسطة رجل مثل رياض باشا .

ولاسيما الانجليزية لاعتقادهم ان هؤلاء لا يهمهم غير احوالهم وشسبهواتهم الشخصية .

واشار رشيد رضا الى ان الشيخ محمد بخيت كان من اقوى انصار الاحتلال في عهد الحماية وانه حين ولى منصب افتاء الديار حزم السلطة المحتلة الى خدمته فقد حذفوا اسم السلطان العثماني من خطبة الجمعة ، وكان الشيخ بخيت ضد اشراك الازهريين في الحركة الوطنية وقد اتفق مع السيد عبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق وايدوا سعدا « ١ . ه .

هذا وقد تابع السيد رشيد رضا فكرة الاصلاح وعمل على اخراجها الى حيز الوجود في صيغة جماعة الدعوة والارشاد التي انشأها عام ١٩١١ (م ١٤) وضمت محمود سالم ، حسن والى ، محمود انيس ، احمد زناتى ، عبد الوهاب النجار ، محمد سعودى ، محمد لبيب البتانونى ، محمد توفيق صدقى ، محمد المهدي وأعلن ان مقصد الجماعة انشاء مدرسة كلية باسم دار الدعوة والارشاد لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والارشاد الصحيح وارسالهم الى البلاد الشديدة الحاجة اليهم على قاعدة تقديم الاهم على المهم ، وقد اثار هذا المشروع خلافت واسعة بين السيد رشيد وبين المؤيد والحزب الوطنى ، واتهموه بأنه عرض مشروعه على المندوب البريطانى في مصر ، وكان قد حاول تنفيذ هذا المشروع أولا عن طريق الدولة العثمانية في أول حكم الاتحاديين ١٩٠٩ ولكنهم ردوه في اسلوب لم يكشفوا فيه عن خصومتهم للاسلام وكان السيد رشيد قد كشف خصومته للحزب الوطنى (وجريدة اللواء) وخاصة بعد وفاة الشيخ محمد عبده ونقد ما كتبه عنه بعد وفاته وكان مما يبدو أن الخلاف مع السيد رشيد متصل بجماعة السوريين الذين يصدرن الصحف (المقطم والاهرام والهلال) .

ويمكن القول بأن حركة الاصلاح حققت هدفها تماما من حيث جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة وأحييت مفهوم الاسلام الصحيح ونشرته المنار من المغرب الى جاوة وكونت أنصارا للفكرة الاسلامية السلفية لم تتوقف عن الاتصال بالمنار وارسال فتاويها وأسئلتها والكشف

عن تحديات القوى التفريية والمضلة وانها صنعت المسلم الغيور على دينه انراغب فى ان يكون الاسلام هو منهج حياة أمة ، المدافع عنه أمام التيارات البوافدة ، وانها كشفت عن تحديات النفوذ الأجنبى اراء حقيقة الاسلام عن طريق التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة (البهائية والقديانية) وانها وضعت فى أيدينا جميع خيوط التحديات التى ما زلنا نواجهها حتى اليوم ويعد أن توقف المنار بأكثر من خمسين عاما (١٩٨٢ م) (١٤٠٢ هـ) بحيث يمكن القول بأن دراسة هذه القضية فى العصر الذى نعيش فيه وفى أوائل القرن الخامس عشر لا يمكن أن تتفصل عن جذورها منذ عام ١٣١٥ هـ يوم صدور المنار وخلال عقوده الثلاث .

٢ — كذلك فقد أحييت المنار مفهوم أهل السنة والجماعة بعرض الفكر الاصيل للاسلام وكشفت زيف المفاهيم الفلسفية والباطنية والتصوف الفلسفى وجمع كلمة المسلمين على قاعدة السنة والجماعة وقد أشار السيد رشيد رضا (المجلد ٢٢) الى قواعد بناء الاصلاح الاسلامى فاجملها فى عدة نقاط :

- ١ — الاعتراف باسلام كل مدعن كما أجمع عليه المسلمون فى أمر الدين .
- ٢ — بث الدعوة للعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح منها كما اثبتته علماء الحديث بالأسانيد المعتمدة وترك ما خالفه من افكار المتكلمين وآراء الفقهاء .
- ٣ — عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نعذر كل متبوع لامام من أئمة السلف المجتهدين فى حكم من الأحكام من أئمة آل البيت كزيد بن على والصادق والباقر وأئمة فقهاء الأمصار كابى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وأئمة الصوفية كالجنيد وعلماء الصحابة والتابعين بالأولى ولا يكفر مسلما مدعنا بذنب ولا بدعة ارتكبها بجهل أو بشبهة اتباع امام أو تأويل ، ومتى زال التعصب تكون المناظرة بين المختلفين فى ذلك بالدليل الشرعى مع الأدب والاقرار واتقاء الشقاق والتفرق بين المسلمين .

٤ — الاستعانة بارشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الدينى مع تحصيل العلوم والفنون التى ترتقى بهسا الزراعة والصناعة والتجارة . (م ٢٢) .

ويقول السيد رشيد رضا : ان المنار في جمعه وتفصيله دعوة الى اصلاح الاسلامى المبني على أساس اتباع جمهور السلف الصالح في أمور الدين رواية ودراية وعملا بلا زيادة ولا نقص واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبت العلم والاختبار في أمور الدنيا .

ومن أهم أعمال المنار في هذه الوجهة احياء كتب ابن تيمية وابن القيم والشوكاني والنقل منها والاستشهاد بها يقول : ان كتب هؤلاء العلماء الأعلام من أفضل ما اطلعت عليه من كتب علماء الاسلام من حيث أنهم جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة رواية ودراية وبين الاطلاع على كتب مذاهب علماء الأمصار الذين يقلدهم الناس وغيرهم ولم يلتزموا التعصب لآمام معين ولا لأهل مذهب بل محصوا الأدلة ورجحوا ما كان أقوى فكتبهم أحق بالاستفادة منها من كتب المقلدين لمذهب معين يتمسكون بأقوال أهله ، وان خالفت النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة وأكثرها خلو من الأدلة مطلقا أو أدلة المخالف وانما ينهى بعض المقلدين للمذاهب المشهورة عنها كما ينهون عن العمل والفتوى بمذاهب الصحابة والتابعين بغير حجة ، ولو خرج أحد الأئمة الأربعة من قبره ورأى هذه الكتب لفضلها على جميع كتب المقلدين له لأنها قلما تخالف غيرها الا بترجيح حديث صحيح على ضعيف أو على قياس وهذا أصل مذهبهم كلهم رضى الله عنهم .

ولكن المنتمين الى مذاهبهم اتخذوا أقوالهم وأقوال كبار أصحابهم أصولا في التشريع ودلائل على حكم الله ويوجبون تقليدهم في كل ما روى عنهم وان خالف نصوص الشارع أصولهم التي بنوا عليها مذاهبهم وكلهم يبدأ من ذلك . ويقول : السنة وآثار الصحابة قد نقلت نقلا أصح من نقل المذاهب بالأسانيد التي وضعت لها كتب الجرح والتعديل وعلل الحديث وشروحه وهي أصل هذه المذاهب كلها بعد القرآن ، فلماذا لا يكون العمل بها هو المقدم على كتب الفقه التي تكثر فيها أدلة الأقيسة والرأى التي اختلف علماء السلف في الاحتجاج بها ولا سيما قياس السنة وما فيه من مسالك العلة التي يتعذر اثبات شرعيتها .

وثانيا : انهم قالوا ان اختلاف العلماء رحمة للأمة فلماذا يضيق باب هذه الرحمة عليها بخصر الاستفادة بواحد يحرم الاستفادة من غيره بتسميته

تفريقا وتخالف السلف الصالح الذين كان عوامهم يستفتون كل عالم يوثق بعلمه » .

وفي موضع آخر أشار الى مؤلفات ابن تيمية وابن القيم فقال :
« انها من أفضل ما كتب علماء الاسلام هداية وتحقيقا وانطباقا على الكتاب والسنة بل لا نظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين في مجموع مزاياها ،
لأنها ألقت بعد نشوء البدع في الأمة وتعدد العلوم وكثرة التأليف في المعقول والمنقول . وكان أكثر العلماء مقصرون في علم السنة وآثار السلف الصالح وأكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرون في العلوم العقلية فبعسدت الهوة بين الفريقتين وكثر الخلط والخطب في علوم الشرح حتى جاء أول هذين الشيخين (ابن تيمية) فكان ممن جمع الله لهم من سعة العلم والتحقيق في جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولغوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملكة الاستنباط ولا نعرف له نظير في هذا الجمع ،
وقد خرج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم « ابن القيم » ولا سيما في العلوم الشرعية فكانت كتبها كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقول وأقوى رد على من خالف السنة وسيرة السلف الصالح لا يعرف لها نظير في ذلك فلو اهتم المسلمون علما وعملا لأماتوا البدع وأحيوا السنن ولكنهما غير معصومين من الخطأ ، فقد أنكرنا عبارة للأول تابع فيها غيره من غير أن ينتبه الى حاجة الى الاستقلال في الاستدلال علما وخالفنا الثاني في مسألة اهداء ثواب الأعمال الى الموتى في تفسير آخر سورة الأنعام (م ٢٤) .

وعاود السيد رشيد الحديث عن ابن تيمية وهل هو أعلم من الأئمة الأربعة (م ٢٨) فقال : ان لأئمة الفقه الأربعة فضلا على الشيخ أحمد نقي الدين بن تيمية لأنه لم يصر فقيها الا باطلاعه على فقههم ، كما أن لأئمة الحديث كأحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم فضلا عليه فإنه لم يكن يتحدث الا بكتبهم ، ولقد كان مثل مالك والشافعي وأحمد أصبح فهما للكتاب والسنة فيما أعتقد ، وقد حدث بعد الأئمة الأربعة بدع خلق عليها مبتدعوها ثياب زور غريب عن الدين ، فاتبعوها خلق كثير من المسلمين منها ما جاء في شبهات الفلسفة ومنها ما جاء في تصوف الهند ومنها ما كان من وضاع غلاة الشيعة الظاهرية والباطنية وكان شيخ الاسلام ابن تيمية

من أعلم الناس ان لم يكن أعلمهم بمثارات هذه البدع وشبهاتها ومنتحلتها ومن أقدروهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الاسلامي والاستدلال على بطلانها ولم يكن الأئمة يعرفون ذلك لأنه لم يكن في زمنهم الا بعضها ، فالأمة الاسلامية محتاجة الى شيء من علوم ابن تيمية لا تجده في شيء مما روى عن الأئمة رضى الله عنهم ، وأهمه بيان حقيقة التوحيد وهدم قواعد الشرك والبدع ورفض شبهات أهلها وقد نفع الله بعلمهم وهديهم أضعاف من انتفعوا به وهذا أمر عظيم مثاله في المتأخرين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده الذين يظهر من كتبهم أن الشيخ عبد اللطيف كان أوسع علما بفتون العربية وأصول الفقه وفروعه ومصطلح الحديث من جده شيخ الاسلام ولكن جده هو الذي هدى الى العلم الواسع الدقيق بتوحيد الله تعالى الذى هو أساس الاسلام وقام بالدعوة وهدى الله به الألوف ومئات الألوف .

كذلك كان من أهم ما حققته حركة الإصلاح من ثمار هو : دفع الأزهر الى الامام فى مجال التربية والتعليم واخراجه من الدائرة المغلقة التى كان يعيش فيها فقد سعى الشيخ محمد عبده الى اصلاح الأزهر وانهاضه ودعا الى اصلاح التعليم وادخال العلوم والفنون الطبيعية والرياضية التى تدرس فى مدرسة القضاء الشرعى فى الأزهر ، وكان الأستاذ الامام قد وضع أساس نظام مدرسة القضاء الشرعى بعد اضطراره الى ترك الأزهر ويأسه منه باضطهاد الأمير ومقاومته وجمود شيوخه وبفضهم وعجزهم (م ٢٩) . قال السيد رشيد : ان محاولة الشيخ الامام بجعله عضوا عاملا تشعر الأمة والحكومة بالحاجة اليه وعدم الاستغناء عنه بل كان يطمح فيما فوق ذلك أن يجعله عضوا رئيسيا فى بنية الأمة الاسلامية لا فى بنية الشعب المصرى وحده .

وقد نشأ من حزب الإصلاح من استطاع تحقيق ما طمح اليه الشيخ محمد عبده عندما جاء الشيخ محمد مصطفى المراغى كما يشير الى ذلك السيد رشيد رضا فيقول : « توجهت همة الشيخ المراغى الى اصلاح بقسميه الدينى والدنيوى وقبول خريجى الأزهر أساتذة للتعليم فى مدارسها وغير ذلك من وظائف الحكومة التى كانوا محرومين منها ففتح لهم أبواب العمل بالشرف والكرامة ، كما فتح لهم أبواب خدمة الدين بالوعظ والارشاد

والدعوة الى الاسلام ، وقال ان من آثار ذلك ارسال بعثات من عشرين طالبا الى الجامعات الاردية وانشاء مكتب لتعريب الكتب التى لها ارتباط بالتعليم فى الأزهر وانشاء مجلة دينية وجوائز لتأليف كتب فى العلوم التى تدرس فى الأزهر » .

وفى هذا المجال اشار السيد رشيد رضا الى ما حدث عام ١٩١١ (م ١٤) من الحاق الأزهر بالحكومة ، فأصبح من المصالح التابعة للحكومة كسائر مصالحها وهذا ما كان يتقيه ويحذره الأستاذ الامام .

— ٤ —

كذلك فقد كشفت حركة الاصلاح عن زيف القانون الوضعى وحملت لواء الدعوة الى احياء الشريعة الاسلامية واعادة تطبيقها ، وقد كان هذا العمل يجرى فى دقة وتسلسل ضعيف نتيجة ظروف النفوذ الأجنبى المسيطرة ، فقد عرض السيد رشيد رضا كتاب على أبو الفتوح « الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية » باستفاضة واهتمام كبير (م ٨) : لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين انفسهم ان المبادئ المقررة فى الشريعة الفراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الانسان من التمدن والترقى درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط الموجودة فى القوانين الحديثة الوضعية لا تقابل لها فى الأصول الاسلامية وانما هى بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التى أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث فى الفقه الاسلامى لا يلبث أن يغير هذا الظن ، ويتحقق من أن أسلافنا وصلوا الى الرفاهية فى تقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية ، شأوا قلبا يجاريهم فيه أحد الا أن صعوبة كتب المتأخرين وكيف تأليفها ، وما هى عليه من التعقيد قد أوصدت الباب فى وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الفراء غير المتعشطين لدراستها ولذلك أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التأليف القديمة لأنها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد ، وبعدها عن المشاغبات اللفظية ، أذكر ذلك على اثر مطالعتى لكتاب « الخراج للامام أبى يوسف — ١٨٢ هـ » عثرت فيه على ندر كثيرة لا أبخل بنظمها فى هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المشتغلون بالقوانين الامرنية أن المتقدم لم يترك شيئا للمؤخر ، ولعلمهم

ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الإسلامية لأنهما لا ينافيان العصر الحاضر وما أجدر الحكومات الإسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والأحكام أكبر احتراماً في النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من صنعت لهم . وثالث : ان مجلة الأحكام العدلية التي ألفها جماعة من المسلمين أحسن من القانون المدني الفرنسي وقد أمر السلطان العثماني بالعمل بها وإبطال به الامتيازات الأجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية بل اختارت على أحكام الشريعة الإسلامية قانون الحكومة الفرنسية ، كلنا يعرف السبب هو طمع اسماعيل باشا بالاستقلال والانفصال عن الدولة بمساعدة أوربا التي يتزلف إليها باتباع خطوات مدنياتها .

كذلك فقد أشار الى كتاب الشيخ رضوان شافعي المتعافى : الجنايات المتحدة في القانون والشريعة حيث حاول فيه بيان مقدار المماثلة بين قانون العقوبات الأهلية وشروحه وبين الشريعة الإسلامية وقال المؤلف : قلما يوجد في قانون العقوبات حكم لا يوجد له نظير في كتب الفقه مثله أو خير منه فلا عذر اذا لحكومة إسلامية كحكومة مصر أن تستمد قانونها من كتب الأمرنج دون كتب الفقه الإسلامي وهي تجد كل ما يحتاج اليه لحفظ الأمن وتأديب المعتدين في كتب الشرع الديني الذي ينسب اليها دولتها وتدين الله به .

وفي هذا الصدد نشرت المنار محاضرة الشيخ على سرور الزنكلوني عن نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها (م ٣١) حيث أشار الى حقائق الشريعة الإسلامية وضرورة تطبيقها .

الكشف عن مفهوم الجامعة الإسلامية التي كان يخشاها اللورد كرومر ويحذر منها ويشير السيد رشيد رضا الى أن تاريخ الجامعة الإسلامية يعود الى انشاء العروة الوثقى ، حيث دعت المسلمين الى الوحدة الصحيحة وان يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » وأرشدت العلماء الى اقامة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين في المذهب كاهل السنة والشيعة الى الاتحاد والاتفاق وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعي

في الدين من أسباب التفرق والانقسام . وان العروة الوثقى لها اثر كبير
فاهتز لها العالم هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الارض زلزالا ولنفر
المسلمين الى الاتحاد خفافا وثقالا . قال الأستاذ المفتى محرر الجريدة :
حدثني بعض أهل العلم من بغداد اذ قال : كنا نقرأ العدد من العروة الوثقى
في مجلس السيد سليمان أفندي نقيب الاشراف فيتفق رأينا على أنه لابد
أن يظهر في العالم الاسلامي عمل كبير قبل أن يصدر العدد الذي بعد هذا ،
ولو طال الأمد على جريدة العروة الوثقى لحدث في العالم انقلاب مهم ولهب
المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجده آبائهم واجدادهم . كانت
العروة الوثقى قبسا من نور القرآن ونفحة من روحه وجدولا من يقبوعه ،
خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ولم تكن أقدامها قد استقرت في مصر
فحملت حكومة مصر على منعها من دخول البلاد المصرية كما منعتها هي
من البلاد الهندية ، وكان هذان القطران أهم موارد امدادها . ثم أنشأ
نابغة الخطباء والكتاب « عبد الله نديم » المصري مجلة الأستاذ ١٣١٠ هـ
وكتب فيها المقالات الطنانة الرنانة في تنبيه المسلمين الى الاخطار المحدقة
بهم ولسائر الشرقيين وتنشيط همهم لتلافيتها ، ولكن أخرج النديم من مصر
لأن جريدته تنفخ روح التعصب الديني ، وفتر الكلام الذي يرمى الى
« الجامعة الاسلامية » حتى أنشأ المنار لاهياء تعاليم العروة الوثقى
فوضعنا قاعدته على أساسها واضأنا قمته بنبراسها الا ما كان فيها
من السياسة التي تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز أن المنار
وافق العروة الوثقى في تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التي وضعتها للوحدة
الاسلامية وخالفها في وجهة السياسة المصرية وزاد عليها البحث في جزئيات
البدع وتفصيل القول في التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المقيدة .
قال صاحب الأهرام : ان في طريق هذه الخدمة خطرا عظيما ،
وهو مقاومة أوروبا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى من جهة الدين ، وقد كاشف
برأيه هذا بعض اكابر علماء الاسلام العارفين بالسياسة (يقصد الشيخ
محمد عبده) فراجع العالم القول وكتب يومئذ صورة هذه المذكرة في اجتماع
واطلع عليه كاتب هذه السطور بعد ذلك وكنت في صحبة الأستاذ صاحب
المؤيد ولم نتفق على نتيجة واحدة . وفي هذه السنة كثرت الكتابة في تنبيه
المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين في الشرق والغرب

وكتبت الاهرام والمقطم عن الجامعة الاسلامية وناقشهما المؤيد فيما كتب .
وانشأ اسماعيل عصبرنسكى في بلاد روسيا جريدة أسماها «ترجمان»
جعل جل مباحثها في الشئون الاسلامية وانشأ مدرستين لتربية
أبناء المسلمين .

وقال : ان الاهرام والمقطم متفقتان على ان الدعوة الاسلامية باسم
الدين مضره وغير موصله الى الغاية وأنه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسلامية
الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان ، وقال المؤيد ان مسلك الكتاب
المسلمين في الدعوة الدينية مفيد كما ان الأخذ بالفنون والصنائع الأوربية مفيد
واقترح عقد مؤتمر اسلامى في دار الخلافة العظمى : وتعميم التربية والتعليم
وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات وتكثير الجرائد باللغات التى ينطق
بها المسلمون ، والعناية بالقوة الحديثة وتعليم النساء بخصوصهن .

وقال صاحب المنار : ان من يدعى « مسلم حر الأقطار » كتب
في المقطم يأسف لبناء الدين الاسلامى وزعم ان الدين والدولة أمران متباينان
يجب ان ينفصل أحدهما عن الآخر ، وأبلغ قول يشير الى أحكم رأى لمحو
السلطة الاسلامية من لوح الوجود فقاتل الله قائله ... (المنار ١٨٩٩) .

وعاود السيد رشيد رضا قضية الجامعة الاسلامية مرة أخرى
يونية ١٩٠٠ (م ٣) فأشار الى أن جريدة التيمس قالت ان السبب في هذه
الحركة الاسلامية هي شدة تحامل الأوربيين على المسلمين وذكرت من هذه
الجزئيات مقالات هانوتو ... والرسالة التى نشرها القسيسون في مصر
وسموها : أيها المسيح أم محمد ، وأشارت جريدة التيمس بوجوب كف
الأوربيين عن التعرض للدين الاسلامى وقالت انهم عادوا بعد ذلك للكلام
عن الجامعة الاسلامية ومزج السياسة بالدين وقال : وتعلم التيمس كما يعلم
جميع ساسة أوربا وعلمائها أن المسلمين لا وطنية ولا جنسية الا في دينهم .
وان الذين تربوا في مدارس الأوربيين حاولوا اقتناع المسلمين بأن نجاحهم
وسعادتهم في الرابطة الوطنية وشقاءهم في الرابطة الملية التى يطلقون عليها
عند الذم فقط : لفظ التعصب الدينى .

وفي فصل آخر عن (أوربا والاصلاح الاسلامى) قال : يظن الأوربيون

أن الأمة الإسلامية قد قضى عليها فلا يرجى لها حياة اجتماعية فلما رأوا بعض أعضاء هذه الأمم تحركوا ، ذعروا ودهشوا ، أنهم يروعه اسم الإسلام والجامعة الإسلامية والاتحاد الإسلامي ويظنون أن وراءها غارات تشن وحروب تشن وتعصبا يدمى .

ويصور السيد رشيد رضا خطوات الإصلاح في المجلد العاشر من المناو فيتحدث عن اجتماع الشيوخ في باريس حيث أصدرت العروة الوثقى حيث كان قطب سياستها دعوة علماء المسلمين وعقلائهم إلى النظر في أحوال المسلمين العامة وإرشادهم إلى ما ينهض إلى مجارة الأمم العزيزة ، وكان من رأيها أن يشتغل بذلك أهل كل قطر في قطرهم بالتعاون بينهم وأن يكون لهم مجتمع عام في الحجاز .

يقول : ولما أنشأت المنار اقترحت على مقام الخلافة تأليف جمعية إسلامية في مكة المكرمة يكون لها شعب في كل قطر إسلامي ، وما تقوم به هذه الجمعية من الإصلاح في العقائد والتعاليم الدينية والأحكام القضائية والمدنية ومن تلافى البدع والتعاليم الفاسدة (وان إبراهيم بك نجيب قد أخذ من هذا ما أودعه في مقالاته التي كان ينشرها في جريدة اللواء تحت عنوان حماة الإسلام) ثم ان عبد الرحمن الكواكبي قدم إلى مصر ١٣١٨ ونشر بها كتاب سجل جمعية أم القرى الذي صور فيه اعتقاد تلك الجمعية المقترحة خفية دون علم الحكومة العلية في مكة في موسم ١٣١٦ ، كل هذا كان الإصلاح الديني ممزوجا بالإصلاح السياسي على المنهج الذي جرى عليه المسلمون من اشتغال الدين على كل شيء . وجه الإمام ذهذه بعد مفارقة السيد جمال الدين في أوربا دعوته هو إلى سوريا ثم إلى مصر يحاول الوصول إلى إصلاح حال المسلمين بإقناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى لتربية المسلمين فكتب ثلاثة لوائح (١) أحداها لإصلاح المملكة العثمانية عامة قدمها إلى شيخ الإسلام بالاستانة ١٣٠٤ ليقدّمها للسلاطان (٢) والثانية لإصلاح التربية الدينية والتعلم في مصر ولم تعمل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليهما ولو عملت أحداهما به لعملت ما يعجز عنه كل جمعية ومؤتمر لإصلاح الدين . وفي السنين الأخيرة استقر

رايه على اليأس من حكام المسلمين وحصر الرجاء في عقلاء أهل العلم والفضل يدعون الى الإصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهرا وباطنا ، ومسالمة أهل السلطة سرا وجهرا والرضى منهم بعدم معارضة الإصلاح في العقائد والأخلاق والآداب وروابط الإجماع الأهلية والقومية ، وكان يرى أن هذا ميسر للمصلحين العقلاء من حكام المسلمين الأوروبيين ، وجاء مصر بعد ذلك اسماعيل عسبرنسكى صاحب جريدة ترجمان التركية (بلاد القرم) واقترح تأليف مؤتمر اسلامى ينعقد في مصر للبحث في الأسباب التى كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم وشرط ألا يطرق باب السياسة بل تحصر في الأسباب الاجتماعية والاقتصادية .

(٦)

ويمضى صاحب المنار في طريقه عاملا على القواعد التى قررهما في هذه المجالات جميعا ، غير أنه لا يلبث بين آن وآخر أن يفكر مريد الإصلاح بما يجب عليهم لدفع عجلة حركة الإصلاح الى الامام فيقول في المجلد ١٣ من المنار : المنار يذكر مريد الإصلاح بوجوب التعاون فبادروا الى اغتنام فرصة الزمان وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وما ذاك الا أن يجتمعوا على حقهم ويوحدوا طريق التربية والتعليم في الجمع من علوم الدنيا والدين قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة ، والتعاليم التقليدية المذبذبة التى تحولهم عن التقاليد الاسلامية الى التقاليد الامرنجية فهم يدرجون الأمة من تقليد الى تقليد . ان الاسلام نائم في قلوب العامة فيحتاج الى الايقاظ وقد كثرت صيحات الموقظين ، على أنفسنا لا نجالد أعداء الإصلاح بنسيف ولا سنان ، وانما نجالدهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ونحسن اليهم وإن أساموا إلينا ولكن لا نترك أمر الأمة في التربية والتعليم يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم .

ثم يقول : يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار اليوم حجة عليكم ، أخبركم الله فيه ان الأرض يرثها عباده الصالحون وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن حقا عليه نصر المؤمنين وأن الله تبارك وتعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض وقال : ولن

يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم في ملككم ، وأنتم لا ترثون أرضا بل ولا تحفظون أرضا . لقد غيرتم ما بأنفسكم فغير الله ما بكم ، فتنبه الوثنيون وأنتم غافلون واجتمع اليهود وأنتم متفرقون وسبق النصارى وأنتم متخلفون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم وبأحوال الأمم في مصركم ، وتدبروا القرآن وما يبينه من سنن الله في نوع الانسان .

ولم يتوقف عن الانذار والكشف عن كل محاولات التآمر على حركة الإصلاح ففى (المجلد ١٩) (١٩١٦/١٩١٧) فصل مطول هاجم فيه الملاحدة المتفرغون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين . قال : بلغنا أنهم ألفوا في العام الماضي جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الاتحاد والطعن في عقائد الدين وآدابه وأحكامه ، وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (ربما يقصد مجلة السفور) لهذا وجب على أهل الإصلاح أخذ الأهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء الملاحدة مسلحون . ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعمون الاسلام بالسنتهم ، بل لا يعدمون هناك أولياء وانصار لهم فتعذر علينا ما كنا نريد هدمه بدعوى أنه عقبة في سبيل ترقيتنا في دنيانا (١) لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال . قال أحدهم مفاكها الأستاذ الامام وهو في مرض موته . (٢) ان طريقتك في تفسير القرآن قد أحدثت أشد الضرر قال الأستاذ لماذا قال لانها أبانت للناس ان الدين موافق للعقل والعلم ويقال ان لجمعية الاتحاد الجديدة ركنا في الأزهر ركيئا . انهم لا يخافون من الأزهر ولكنهم يخافون من رجال الإصلاح لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم وتقليل أظفارهم ولأن كل ما يزعمونه ويتعربون به الى الأمة من السعى الى ترقيتها وتحديثها قد سبقهم اليه طلاب الإصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقومات الأمة وتمدينها وشخصياتها ، وانما أركانها الدين واللغة والعادات والازياء وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء .

وقال ان محاولة الشيخ محمد عبده في التفسير بأن الدين موافق:

للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، كانت حائلا بين رجال التغريب وبين القول بأن الاسلام عقبة في سبيل ترقية دنيانا .

وقال ان هذه الجماعة معروفة (ولتعرفنهم في لحن القول) فمنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ومنهم من يبتغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصعد عن محجته بتقصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته .

وقال : اننا بعد أن فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الإصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب الملاحدة المارقين وأشار الى جهاد المنار في طريق التصوف والجمود والجبرية ، وقال انه يتوالد أفراد من غرار الشبان وكهول المناققين ، ولو سسكت لهم أهل الحق على ما يتفثون من سموم أباطيلهم لعظمت جرائمهم ، وانتشرت دعوتهم وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخافون الزدة الصريحة ، وان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين ، والتشبه بما ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالعرض الصحيح ، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطمع في نص النصرانية فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون ، والصناعات المدنية ، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية ، ولهذا وجب على أهل الإصلاح أخذ الاهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون (انا لننصر رسلنا) (ولينصرن الله من ينصره) .

(٧)

لفت نظري أحد الباحثين الى عاجل خطر كان وراء حركة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا هي أنها من حيث لا تدري يمكن أن تحقق للنفوذ الاجنبى (انجلترا أساسا) ما يرغب اليه في تقويض الدولة العثمانية سواء اكان هذا الهدف واضحا امام العاملين أم خفى عليهم ، ولذلك كان الشيخ محمد

عبدہ يقول ان الدولة العثمانية الثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله والقرآن .

● كان الشيخ رشيد رضا ينتقد على مصطفى كامل نظريته الوطنية ولكن مصطفى كامل كان يتحرك داخل دائرة المفهوم الاسلامى والدولة العثمانية ، أما سعد زغلول تلميذ مدرسة الاصلاح فانه اول من حطم هذه القاعدة وخرج على المفهوم الاسلامى جملة الى المفهوم العلمانى .

● ان دعوة جمال الدين عن الوحدة الاسلامية كانت تختلف عن دعوة السلطان عبد الحميد ، وكانت الوحدة الاسلامية التى يتحدث عنها السيد رشيد رضا مما يرضى عنها الاستعمار ولكنها كانت معارضة لدعوة السلطان عبد الحميد .

● لقد عرف رشيد رضا بعد لاي أن فرحته بالاتحاديين ونقمتهم على السلطان عبد الحميد كانت باطلة وان الأمور تكشففت عن أشياء خطيرة .

● بدأ جمال الدين يفتح ابواب الفكر بالفلسفة وقراءة ابن سينا ووسع الباب الشيخ محمد عبده بالكلام والمنطق ، ولكن رشيد رضا استطاع أن يحرر الفكر الاسلامى بمفهوم أهل السنة والجماعة .

● نقطة حولت كل الفكر الاسلامى الى مفهوم الأصالة ، تلك هى مقاومة جبرية الصوفية والنظر الى الاسلام نظرة سلفية أصيلة ، كان هذا مفتاح العمل الاسلامى فى هذا العصر وكان هذا توسييدا للخطوات التى جاءت بعد ذلك حين بدأت حركة اليقظة فى الدعوة الى التماس منهج القرآن فى بناء المجتمع .

الباب الرابع

أحوال العالم الاسلامى

اولا : الدولة العثمانية . .

الاتحاديون والغرب

الكماليون والخلافة

ثانيا : الماسونية والصهيونية

ثالثا : حركات الاصلاح . . . الوهابية والسنوسية

الفصل الأول

الدولة العثمانية

يتصل أمر الدولة العثمانية بالمنار منذ نشأته حتى نهايته ، اتصالا لا يتوقف وإن كان يختلف من مرحلة الى مرحلة ، هذا الاتصال يرجع الى امرين : الأول : أن الدولة العثمانية كبرى دول العالم الاسلامي ودولة الخلافة الجامعة بين الترك والعرب (والثاني) موقف السيد رشيد رضا نفسه باعتباره من القطر الشامي الذي كان جزءا من الدولة العثمانية ثم أصبح بعد الحرب الأولى : سوريا وقد كان لاهل الشام موقف واضح من الخلافة والسلطان عبد الحميد متأثر بدعايات الاتحاد والترقي ، وهو موقف مختلف عن موقف مصر من الدولة العثمانية التي كانت قد أصبحت بعد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ منفصلة عن دولة الخلافة وإن كانت موالية لها فقد كانت الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل والحزب الوطني تعارض النفوذ الانجليزي وتوالى الدولة العثمانية ، وذلك بخلاف موقف الشام (سورية ولبنان وفلسطين) الذي كان مصاديا للدولة العثمانية تحت تأثير الدعايات التي كان يحملها مدحت باشا والاتحاديين والتي وصلت الى غايتها بعد سقوط السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين الحكم فقد علقوا زعماء العرب على المشائق وأفسدوا الرابطة بين العرب والترك بدعوتهم الى الطورانية باعتبارها قومية بديلة للطابع الاسلامي الذي عرفت به الدولة العثمانية حاملة لواء الخلافة وكان لعمل الاتحاديين في تترك العرب اثره في انفجار مفهوم القوميات المتصارعة : قومية طورانية وقومية عربية ولقد كان السيد رشيد رضا طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد منذ نشوء المنار ١٨٩٨ الى سقوط السلطان ١٩٠٨ يكتب كتابات حذرة تخفي الكراهية وتظهر شيئا من المحاسنة والتقية ، فلما سقط السلطان انفجرت هذه الفقاعة عن حملة شديدة عنيفة حملها السيد رشيد على السلطان وفي نفس الوقت كان ترحيبا وتهليلا بالاتحاديين ، غير أن هذا الموقف لم يابث قليلا حتى تغير اني شيء من الكراهية والنقد والتحذير لمخططات الاتحاديين دون أن يضعف

موقف النقد لأعمال السلطان — هذا النقد الذى قامت به قوى ضخمة منذ اختلف السلطان عبد الحميد مع الصهيونية وقائدها، هرتزل على ادخال اليهود الى القدس — ومن ثم بدأت حملتهم عليه وكان شوام مصر متأثرون بها وداخلون فى تجمعات تابعة للاتحاديين قبل أن يحكموا وينكثف أمرهم .
فهذه مرحلة أولية حتى سقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ لها طابع خاص وهناك مرحلة تالية وهى مرحلة حكم الاتحاديين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وهناك المرحلة الثالثة وهى حكم الديكتاتور أتاتورك الذى ألغى الخلافة الإسلامية وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية عصر المنار .

المرحلة الأولى : ١٨٩٨ — ١٩٠٨

فى خلال هذه المرحلة كانت احاديث المنار عن الدولة العثمانية حذرة ولكنها كانت من ناحية أخرى فيها حرص على بقاء الخلافة مع اصلاحها ، ولذلك هاجمت المنار ما أثير حول الخلافة العربية ودور المرجفين بها (م ٢) وفى عام ١٩٠١ (م ٤) أشار الى أن هناك منشورات توزع بمبايعة الخديو عباس بالخلافة واحتلافه مع السلطان (ليونفهى وصالح بدرخان) والمعتقد أن فى ظل ذلك كانت كتابات الكواكبي . كما قدم فصلا استمر فترة طويلة تحت عنوان (قليل من الحقائق عن تركيا) م ٣ وجزت احاديث كثيرة عن الترك والعرب كان رائدها دغوة الاتراك الى دعم الأواصر مع العرب وعدم احتقارهم ، كما تحدثت المنار عن مشروع سكة حديد الجحاز الذى قام به السلطان عبد الحميد (م ٦) وأفردت المنار قصولا ضافية عن الدولة العثمانية تحت عنوان (الدولة العلية) تحدثت فيها عن أركان الإصلاح وامتيازات الأجانب والتجارة بينها وبين أوروبا واحتلاف الأديان كما تحدثت عن السلاطين العثمانيين سليم وسليمان القانونى وعبد الحميد (الأول) وعبد المجيد ومحمد الفاتح (م ٢ ، ٣) .

وخطأ المنار الكاتبين فى الحث على الالتجاء لدول أوروبا والاعتماد عليها فى التزام الدولة العملية بالاصلاح على الوجه الذى تراه تلك الدول وقال انه غاية هذا الاتجاه هو تسليم البلاد لها وقال : اننا فنحن هذا القول

الفاسد من قبل وهو لمن يسمون أنفسهم بالأتراك الأحرار وقال : ان الإصلاح لا يكون بتقليد أوربا في جميع الشئون وهو ضلال أى ضلال .

وتحدث السيد رشيد رضا عن (تعزيد أوربا على الدولة العلية) م ١ .

وقال : ان أسوأ مظاهر حبها وطمعها وبغضها ما كان في السنين الأخيرة من أرمينيا وكريد ولقد عادت هذه السياسة السوأى من أوربا بالضرر على النصارى والمسلمين معا ، فكان ذلك فضيحة لدعواها حماية النصارى في بلاد الدولة وتناول المنار أحاديث عديدة عن العروبة والاسلام ، والوحدة العربية والترك وإفاض في الحديث عن مدينة العرب ودور العرب في الحضارة الاسلامية ، ولا بد ان هذه المقالات كانت تكتب كرد فعل لما كان يدور في كواليس من أسماهم الأتراك الأحرار من تحقير للعرب وامتهان للاسلام ، ومحاولة الانفصال الفكرى عنهم وهى النزعة التى استطاعت ان تقضى على الدولة العثمانية والخلافة من بعد والتى كانت وراءها قوى الصهيونية والغرب وروسيا من أجل ما أسموه (القضاء على دولة الرجل المريض) .

وقد أشار الى هذا المعنى في مقدمة مقالاته (مدنية العرب) فقال : لم نخرج عن التوجيه والتأليف بين العناصر كلها وانما أشرنا الى بعض نزعات التعصب الجنسى عند الترك ولا شئ يقرينا من اخواننا الأتراك ويجعل لنا قيمة في نفوسهم الا الاعتقاد بأننا شعب يفهم ويشعر فيسر بالكرامة ويتألم من الاهانة ولا نعننى بالوحدة العربية ان ينفصل العرب عن سائر المسلمين او عن الترك بل نعننى بأن كل شعب يمهد في ترقية نفسه ملاحظا أن في ترقيته ترقيا لسائر الشعوب التى تتكون منها الأمة .

وقد أوردت فصول مدنية العرب كتابات عن أثر المسلمين في الحضارة العالمية كالطب والفلك وغيرها .

وقد عنى السيد رشيد رضا بدعوة الشعب التركى لتجديد حكومة الخلافة الاسلامية بقصد الجمع بين هداية الدين والحضارة لخدمة الانسان لا لتأسيس عصابة اسلامية تهدد الدول الغربية وذلك بانهاض الشعب التركى من كبوته التى قضت على السلطة العثمانية وتوثيق عرى الاخاء

بين الدولتين الأفغانية والإيرانية والدعوة إلى شدة أواصر الأخاء مع الأمة العربية والتعاون معها على إحياء المدنية الإسلامية وتجديد حكومة الخلافة على القواعد المقررة في الكتب الكلامية والفقهية (م ٤) .

المرحلة الثانية : (١٩٠٨ — ١٩١٨)

الاتحاديون والجمعية الطورانية

في مستهل هذه المرحلة كان حادث عزل السلطان عبد الحميد ، ومن ثم بدا المنار موقفا جديدا من الدولة العثمانية بداه على هذا النحو (م ١١) .

[أعظم أحداث هذا العام هو إعلان الدستور العثماني]

وتحتفل المنار بفصول ضافية حول هذا المعنى وقد كشف السيد رشيد عن أنه كان مع الاتحاديين أو من الاتحاديين ومعهم طسوال هذه الفترة وبدأ الهجوم على السلطان في صراحة وعنف وإعلان الإعجاب بالاتحاديين في حماسة وكشف كثيرا من الصفحات عن سياسة السلطان مما كان يجمعه ويحققه في الفترة الماضية حرصا على أن لا يحجب المنار عن أهل الشام كما سافر الشيخ رشيد إلى سوريا بعد أن حيل بينه وبين ذلك أحد عشر عاما ، وكانت له خطب ومحاضرات في مختلف البلاد .

وبدأت المنار تنشر فصولا عن الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة (محمد زوحى الخالدي) بدأت م ١١ (ج ١٠) ص ٧٤٢ واستمرت وهي جديرة بالبحث والمراجعة في شأن التاريخ لهذه المرحلة من وجهة نظر شامية من أولياء الاتحاديين .

وكتب رشيد رضا يقول : حدث ١٣٢٦ هـ الانقلاب العثماني الذي كنا نسعى إليه في الخفاء ثم خلع السلطان عبد الحميد الذي كان مانعا بلاده من كل علم وعمل نافع يجب على المسلمين القيام به مجتمعين وقد سعت إلى تحسين التفاهم بين العنصرين القوميين لهذه الدولة وهم العرب والترك اللذان سميتهما العنصرين المكونين للماء أو الهواء ،

وقد أثمرت المنار إلى أن السلطان عبد الحميد تولى في شعبان ١٢٩٣ هـ وأن السنة الثالثة والثلاثين (١٩٠٨) كانت خاتمة حكم السلطان نفسه وبقبضه عن زمام السلطة بيده فان إعلان الدستور حول

الحكم ولى الوزارة ومجلس الأمة ، وقد استمر السلطان بعد أن تولى الاتحاديون الحكم حتى عزل في مايو ١٩٠٩ حيث صدر المنار .

(٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ - ١٩ مايو ١٩٠٥ م) مجلد ١٢ تحت هذا العنوان : « احمدى الكبير وكبرى العبر » : خلع عبد الحميد خان ، نفيه من دار السعادة ، وضعه تحت المراقبة العسكرية ، ضبط أمواله ونخائره وعقاره ، اباحة يلدز للأمة ، تولية مولانا السلطان محمد الخامس .

وقد سافر السيد رشيد رضا الى الأستانة للاتصال بحكومة الاتحاديين وأمضى هناك عاما كاملا للسعى في شأن الوحدة بين العرب والترك وحماية اللغة العربية ولكنه أحس بأنهم يراوغونه وعاد دون أن تحقق مساعيه أى تقدم يذكر ، وكشف في (المجلد ١٤) عن مفاهيم جمعية الاتحاد والترقى وموقفهم من الاسلام غير أنه إبان الحملة التى شنّها السيد رشيد رضا وشنتها صحف المقطم والهلل وغيرها على السلطان بمناسبة عزله كانت هناك كلمة تقال في جزء آخر من العالم الاسلامى تختلف من هذه النغمة ، فقد نشرت جريدة وطن التى تصدر في لاهور (الهند الاسلامية) بقلم مولوى محمد عن الانقلاب العثمانى فصلا ضافيا تحت عنوان (الانقلاب المشئوم في الدولة العلية) قالت : نبأ عزل السلطان عبد الحميد الثانى عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الأمة إجماعا على عزله . هل انعزل جلالته من عند نفسه أو عزلته جمعية الاتحاد والترقى التى كانت عند أول ظهوره في بدء احياء الدستور العثمانى أخيرا مظهرة عزمها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون أعضائها من الناقمين من جلالته أو الخائنين من ذاته على الدستور .

ان الملاينة والانقياد لم تجد جلالته نفعا وصارت الجمعية تلعب وتلهو به كما تلعب الهرة بالفأرة التى تريد افتراسها وقد أخذت الجمعية تمهد لعزله فأبعدت عساكر الأستانة وأرسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية العساكر الموالية للدستور التى جاءت بها من سلاطيك وغيرها وطلب من جلالة السلطان أن يرضى بوضع فيلق الحرس الهمايونى تحت امرة نظارة الحربية . ان جمعية الاتحاد والترقى كانت لا تزال تعتمد على الجيش في حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بإبعاد العساكر المواليين للدستور

الى الولايات . وترى المبعوثين او حزب تركيا الفتاة تائهين في تيه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والمملكة باسراعهم في عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم في غوائل الأمور .

ولى عبد الحميد الملك والسلطة في أسوأ الحال من الافلاس وعدم قوة الحرية وخلل النظام الداخلى وهجمات الأعداء الخارجية وكائن الأمة جاهلة عارية من العلوم منقسمة على نفسها أى انقسام ، أدى ذلك الانقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها فثمر عن ساق الجسد وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتبارا ماليا في أسواق أوربا ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة واكمل تسليحه بأحدث الآلات حتى صار الجيش نفسه القلعة بعد أن كان ...

ثم سعى في انتشار التعليم والعلوم الحديثة في البلاد واقتلع صدا الجهل عن مرارة قلوب العباد ، قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجتهد وراء سعادة الأمة والملة وعمل من أجل رفاه البلاد والسلطة فمهر الطرق وبنى السكك الحديدية وأجرى الترع والقنوات وأخصب المفاوز والقفار وأوصل الأقطار بالأقطار وحفظ السلطة من الضياع أمام الأعداء الأشرار ففاز في كل المواقع السياسية المشهورة بهمة الشفاء غير مضيع نفسه ومضيع مركزه . وكان في كل زمان عاملا نشيطا وسلطان صارخا لا يعرف الملل ولا يعتريه الكسل . يعمل ثمان عشر ساعة في كل يوم ، ويشتغل في مهام السلطة كأدنى خادم للملك والملة .

(اقرأ المقال بكامله في المنار م ١٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ وما بعده) .

● بل ان الصحف الأوربية المعادية للمسلمين لم تعدم أن تتحدث من شخصية عبد الحميد ، قالت جريدة ابزورر تحت عنوان خلع السلطان عبد الحميد : ان خلعه قد ذهب عن مرسع العالم السياسى بسخط مفرد كان له نفوذ عظيم في تكييف التاريخ الأوربى منذ ثلاثين سنة وقبض في راحته على مفاتيح الأسرار الدولية في الغرب ، وكان احساسه نقل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسد هم ويأسهم ، وكان حسن تبصره في مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على انقاذ تركيا من الوقوع في أيدي جاراتها القوية الطامعة

اذ لا يخفى ان الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفضل في سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربي عليها عائد الى حنكته وحكمه ، فانه لم يسبق لملك سواه من التقدميين أو المعاصرين أن لاقى ما لاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتنة المريبة والبلاغات الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلي عنه بثمار تلك الحوادث ظاهرا نائزا بفضل حكمه وحنكته وهو الآن قد ترك العرش في ظروف مخربة . . ان خصومه وأعدائه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وقدرته على افساد مساعي الأعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وحبه الذي لا ينكر للاسلام وجمع ما له علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات في شخصه وأعماله يبني عليه أو يقضى بعد . . الذين دسوا الدسائس لخلعه ، على أن الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سفك الدماء ، ووعد أن لا يهجر يلدز ورضى بالخلع المقدر له من أمد ، ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له أن يقضى بقية حياته مع أولاده في القصر الذي ولد فيه على أنهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجيناً في بلاده ومع ذلك فقد تصرف بأنفته المعهودة وصبره المعروف الذي يليق أن يفاخر به .

كذلك فقد كتبت جريدة وطن الهندية ردا آخر على المنار (ص ٥٠ م ١٢) وكان محمد روى الخالدي قد نشر فصولا تحت عنوان الانقلاب العثماني ، كما نشر سليمان البستاني كتاب الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده وجميل مطوف عن تركيا الحديثة وكلها تناولت الحملة على السلطان الذي وصفته بأنه تأمر على حكومة مدحت الأولى وتحدثوا عن انسجون والاغراق في لجج البسفور وجواسيس السلطان ، وكلها شبهات تكشفت في السنوات الأخيرة بعد أن وضحت الحقائق ولم تكن على هذه الصورة العنيفة التي أراد بها النفوذ الأجنبي تبرير خلع السلطان مع اخفاء الغاية الحقيقية وهي تمكين الصهيونية من فلسطين ، والمعروف أن من يسمون الأحرار أتباع مدحت وجماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقي كانوا

قد وقعوا تحت تأثير جحافل الماسونية وحملوا لواء الحق على السلطان وخفى عنهم الجوانب القوية في شخصيته وخاصة موقفه من المؤامرة الصهيونية التي حاولت اغراءه بالمال ثم انتقمت منه لموقفه الحاسم .

● وقد استرجع السيد رشيد رضا الدور الذى قام به عبد الرحمن الكواكبي حين جاء مصر فى وقت كان الخلاف قائما بين الخديو والسلطان وارتاح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية وكتب هو عن حسن نية فى جريدة المؤيد تلك الفصول عن الاستبداد يريد بها السلطان عبد الحميد بدون انعام النظر السياسى وهم عن خبث طوية لأن تقهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحها (وهذه عبارة السيد رشيد رضا فى بحثه عن الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية م ١٣) ويقول وقد ألف كتابه (أم القرى) ولو أنهم نظره السياسى لراى الضرر الذى يلحق العالم الاسلامى بوجه عام والشرق الأدنى بوجه خاص من جراء هذا المسمى ، ولم يقتصر الانجليز عند حد استغواء هذا العالم من الذين لا يلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف المصوبة .. » .

فى عام ١٩٠٨ — ١٩٠٩ (م ١١ من المنار) لم تكن الأمور قد تكشفت بعد عزل السلطان عبد الحميد ، ولم تسفر جمعية الاتحاد والترقى عن غاياتها الحقيقية ولذلك فان العرب خاصة وأعلام الشام كانوا مؤيدين لها (الشيخ رشيد رضا ، عبد الرزاق البيطار ، جمال الدين القاسمى) وفى هذه الفترة كانت وجهة السيد رشيد رضا هادفة الى الوحدة والوئام بين مصرى الدولة العثمانية .

فيقول : [ان ابعاد العرب عن الترك مفسدة من آخر المفاسد وانفا فى أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك والاخلاص لها لأن مصلحتنا ومصلحتهم فى ذلك] .

ويقول : يجب على العرب أن لا ينسوا فى اتحادهم بالترك أنفسهم ويتكلموا على غيرهم بل يجب عليهم مجاراة اخوانهم فى التربية التى يقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم والفنون التى عليها مدار العمران ليكونوا

يدا واحدة في احياء الدولة وليقدروا على ترقية تشان بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم .

ويقول : الدعوة أن تكون كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة عن ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بعدم المركزية لابد من استقلال كل جنس بنفسه ، أن نبني حاضرتنا ومستقبلنا على الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية ما دامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها ، وأن نكون الآن من أشد الأعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات ورقباء على الحكومة في سيرها وأعمالها . والدعوة الى الأخذ بالعلوم الرياضية والطبيعية التي هي حياة الأمة في هذا العصر واصلاح طرق التعليم بانشاء المدارس الأهلية والجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التي تقوى بها الأمة وتعتز الدولة . وقد كان العلماء السابقون يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها ويقصدون النظريات اليونانية في الالهيات التي تخالف أصول الدين » .

هكذا كان يكتب رشيد رضا في أول امر الاتحاديين بنية المصلح المخلص المؤمن بأن هؤلاء القوم يريدون اصلاحا يترابط فيه عنصرى الأمة على رفع شأن الاسلام ولكن الأيام كشفت حقيقة الاتحاديين فكان رشيد رضا أول من حمل عليهم وقضحهم في العالم الاسلامى كله .

فهو لا يلبث أن يتحدث عن الاتحاد والترقى (المنار ١٤ سنة ١٩١١) يقول : اشتهر أن الانتقلاّب العثماني كان بتدبير جمعية الاتحاد والترقى في سلانيك ومناسـتر وعرف الخاص والعام أن الانقلاب كان من عمل الجيش وبهذا علا مقام كل ضابط عثماني ورفع اسم (انيازى ، أنور) على كل اسم ولكن خفى اسم (صادق) وهو أجدر بالظهور فهو رب الدستور وحاميـه وقد رفعت الأمم اسم الاتحاد والترقى بعمل صادق بك الخفى واخلاصه العظيم وكان أنور ونيـازى سيفين من سيوفه (كتاب خاطرات نيازى) ولما وزعت المناصب طلعت للداخلية وجاويد للمالية وأحمد رضا رئاسة المجلس ؛ وتقدم اليهود في نظارة المالية على غيرهم وأعلو كلمة الماسونية

والاسراف في نشرها وتقديم المقدمين منها على غيرهم وجعل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلعة ونفوذ . وجاهد صاحب جريدة (طنين) المحامى عن جمعية الاتحاد والترقى بقلمه المسموم حتى سمى (سفيه القوم) وأقمت في الاستانة سنة كاملة وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبئات صناديق أسرارها ، ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون ويجهرون في نشرها وقد جعلوا رجال الحكومة من اعضائها كما ينشرونها في ذباط الجيش وقد يكون هذا تمهيدا للفصل بين الدين والسياسة وتجريد السلطان من صفة (الخلافة الاسلامية) ومن لوازم تشيعهم للماسون قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضى الى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين التى يراد بها اعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الاول والى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد .

ويقول : وقد جعل السيادة للشعب التركى والقوسل بقوة الدولة الى اضعاف اللغة العربية واماتتها في المملكة وتترك العرب من ابقائهم ضعفاء بالجهل والضغط ومنع الالبانيين والاكراد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية وقفت الاستانة على هذا وراينا اهل الراى والعبرة يتوقعون الفتنة ويخافون العواقب ولم احب ان اشرح هذه الأمور وأبين ما فيها من الخطر بل سعيت الى الاصلاح ما استطعت فلم يغن نصحي لهم شيئا ولما عدت الى مصر اثرت بلطف الى ما يخشى من خطر اليهود والماسون في هذه المملكة الاسلامية .

وتوالت الكتابة بمزيد من الكشف عن دور الاتحاد والترقى مما ينفع انباحث اليوم بعد سبعين عاما في معرفة ما يدور في فلسطين وتركيا على السواء . ففى (المجلد ١٧ سنة ١٩١٤) مزيد من الكشف عن موقف الاتحاديين بعد الحرب البلقانية وإشارة الى حزب اللامركزية في مصر والمؤتمر العربى في باريس ومحاولة التفاهم تحت اسم العثمانيين ، حيث يجرى الحديث عن حقوق العرب في المملكة العثمانية والدعوة الى نظام اللامركزية وإشارة الى ان الحكومة الاتحادية أضاعت بجهتها وغرورها وخبت طويتها جميع الممالك العثمانية الاوربية والافريقية وإشار الى تفريط الاتحاديين بحقوق الدولة في خليج فارس والعراق والطرف الشرقى من جزيرة

العرب والتزلف بذلك الى انجلترا ، و اشار الى الاتفاق بين تركيا الاتحادية والانجليز حيث تنازلت الدولة العلية عن جميع حقوقها في جزيرة قطر وفي الكويت و اشارت الى استيلاء الملك عبد العزيز على الاحساء والقطيف والخفير (عسير) .

ولم تمتنع المنار عن نشر ما سجلته جريدة دين ومعيشة التي تصدر في روسيا (اورنبورغ) عن موقف البلاد الاسلامية من السلطان عبد الحميد حيث قالت الجريدة :

انهزم العثمانيون لانهم استوجبوا غضب الله تعالى فلم ينصرهم وذلك أنهم خلعوا سلطانهم الذي خدمهم ٣٣ سنة خدمة جليلة وانهم لم يعرفوا قدره بل عزلوه عن منصبه واسقطوه عن عرشه ومزقوه من تاجه فان الله حرمهم من الاراضي والادوية كلها وتركهم اذلاء في العالم ، كان في مقدمة هؤلاء الناس الذين بغوا على السلطان عبد الحميد انور بك و نيازي بك اللذان هما قدم شؤم أحدهما قدم بلاد الأرناؤوط فذهبت تلك البلاد ، وثانيهما قدم طرابلس الغرب فذهبت الى الطليان .

ولشار المنار الى دور الاتحاد والترقي في انعاش الماسونية وأن الماسونية راجت بسعيهم وانهم اسسوا لها (شرقا عثمانيا) رئيسه طلعت بك ، وقال ان في رواج الماسونية في رجال هذه الدولة الاسلامية من الخطر ما فيه وقد ترجمت مجلة (دين ومعيشة) الروسية ما كتبه المنار وزادت عليه أن اركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخفير الى السلطان ماسونيون جعلت الماسونية في رجال الدولة مفضية الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية (وهذا ما حدث بالدور الذي قام به مصطفى كمال من بعد) وقال السيد رشيد رضا : أرجو أن يكون رجال الاتحاد والترقي قد اعتقدوا أن دولة عريقة في الاسلام وارثة لمقام الخلافة الاسلامية لا يمكن أن تدور رحاها على قطب الماسونية وأن العناصر العثمانية لا يمكن ادغامها في العنصر التركي وانما من المملكة هو ائتلافها معه باقامة الدستور (صادق ، طاهر ، رحى ، ناظم ، طلعت ، جاويد) وجهاد أشيدهم عنفا .

وأفرد السيد رشيد بحثا تحت عنوان اليهود في المملكة العثمانية ، قال فيه : خبرنا الأستاذة بإقامتنا فيها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود في جمعية الاتحاد والترقى عظيم وأن ناظر المالية اسرائيلى النسب وأنه جعل كاتب سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا أنه سيكون لليهود شأن فى هذه المملكة وآمالهم فى القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم المالية فى المكان بعظم نفوذهم فيه غير مجهولة . وجاءت أنباء مجلس الأمة العثمانية مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية .

— ٤ —

الجمعية الطورانية

وتحدث المنار (المجلد ١٩) عن الجمعية الطورانية ثمرة الاتحاد والترقى فقال : بدت طلائع الطورانية الحديثة فى الأستاذة عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة فى جميع أنحاء السلطنة العثمانية وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الأصلى الانفصال عن الاسلام ولها أغراض عديدة :

- ١ — جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام .
- ٢ — ترقية الروح العسكرى فى الأتراك .
- ٣ — انشاء علاقات تجارية وغيرها مع مسلمى أذربيجان وروسيا الآسيوية وروسيا الجنوبية .
- ٤ — تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربى أو فارسى .
- ٥ — محو الجنسية العربية وإدماجها فى الجنسيات الأخرى .

ويرمى القائمون بهذه الحركة الى جعل التركى يعتقد أنه تركى قبل كل شئ ومسلم بعد ذلك وتربية الأجيال الحاضرة والمستقبل على الروح الطورانى بانشاء مدارس طورانية والتوسع فى تعليم التاريخ باللغة التركية وإشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاسلام وإشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاسلام والأولاد الذين لهم أسماء عربية يستبدلون أسماء تركية بخطة

(مع العودة الى كتاب المسيو ليون كاهون عن تاريخ الترك والمغول منذ اقدم الأزمنة الى ١٤٠٥ للميلاد) وقد توجت الاكاديمية الفرنسية هذا الكتاب واتفق أن ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقى العام قرأ هذا الكتاب فوضع أساسات النهضة الطورانية التى نحن بصدددها ، واعتقادهم صحة النظرية التى ابتدعها (فمبرى) وهى أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية فالاتحاديون يقولون : أن الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الأتراك (مسلمين ليفانتين) وحال دون نشوء حضارتهم ، أن هذه الدعوى على عكس الحقيقة تماما فإن الأتراك الذين جاءوا أصلا من حدود الصين انتشروا فى مجاهل آسيا حتى ضفاف (الأوكسوس) لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لأنهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لكل من يطلب معونتهم ولم يحاول أحد قواد الأتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم أن جينكيز خان كان يحطم بنشر سلطانه عليها ولكنه لم يفعل وكل ما لدى الأتراك من حضارة فهى بفضل الاسلام اذ لم يكن للأتراك حضارة خاصة بهم ، ولما كان التركى مشهورا بروح الخضوع العسكرى لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفا فى قبضة الاسلام ، أن العنصر الطورانى لم يشتهر بشيء من قوة الابتداع وما تاريخه الا تاريخ تدمير ، ومما يدل على أن العقل التركى ليس عقلا مستتبعا انه لم يأت بمستحدث فى الاسلام بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو ، ومما تسعى اليه النهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية عربية واسعة الأرجاء تضم تحت ألويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا أو لأى دولة أخرى أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها فى الجنسية التركية لذلك تراهم يسعون لتترك العناصر العربية بحسب الأساليب البروسية ، قال جلال نورى فى كتاب ألفه : أن بلاد العرب لاسيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التى يجب أن تكون لغة الدين .

وعرض السيد رشيد رضا لموضوع (الاسلام والجامعة الطورانية) وكيف يسمى الاتحاديون للانشاء الحضارة الاسلامية فقال : أقمت فى الاستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا أزال أرى

فى كل سنة من الآيات ما يؤيده ويقتضى بأتى قد استتبقت الى ادراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا الأجانب ، ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه لا مكنتى أن أنال فى الاستانة من الاتحاديين أنفسهم ما لا مطمح لعربى من نيل مثله فقد منانى الاتحاديون أعظم الأمانى لأنهم كانوا يظنون أنى ما دافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالكفر والاحاد وافساد هذه الدولة الا لأن اسلامى سياسى يدور مع المنفعة انى دارت .

لقد حملت على الاتحاديين بعد عودتى من الاستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم أحد بمثلها من الشدة ، كما تعلمون اننى لم اكتب شيئاً ينافى مصلحة الدولة العثمانية نفسها ولا شيئاً ينافى الاخاء الدينى بين العرب والترك فأنا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين ، والذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الاحادية من العرب قليلين جداً ولعلمهم لم يكثروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب فى سوريا مصلوبين فى أعظم مدنها عمراناً وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الأكبر أمير مكة المكرمة .

وأشار الى كتاب للاتحاديين تحت عنوان (قوم جديد) وكتاب اتحاد رسالهم فقال : انه وسع الحديث عن الحركة الطورانية الحديثة وكشف عن أن فرضها هو هدم المدنية الاسلامية واحياء العصبية التركية على انقاضها والجمع بين العناصر التركية التترية والشعوب المسلمة اليها وفيها الأمة البلغارية ، والقائمون بها قوم مشهورون بعدائهم للاسلام وبغضهم عليه وكثيرا ما يجاهرون باقوالهم وكتاباتهم بحجة أن الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية وتحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسمون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال ولهم فى ذلك وجهان : تهجير الشعوب الطورانية والقضاء على العصبية العربية .

وأورد (المنار) في مجال الكشف عن الاتحاديين منشور شريف مكة وأميرها الذي أعلن فيه الحرب على الدولة العثمانية والانفصال عنها (١٩١٦) حيث أشار المنشور الى فئة الاتحاديين ووصفهم بالباغين وقال انها هي التي جنت على الدين والدولة والأمة فأنحرفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغيرت أحكام القرآن وحجزت على السلطان حتى منعه من التصرف لشئون خاصته وقصره ، ونكلت بالأمة فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود الذمة وخصت العرب بالاضطهاد فصلبت في الشام كثيرا من أهل العلم والرأى والفضل واستحلت مصادرة الأموال واخراج النساء المخدرات والأطفال من ديارهم وأموالهم ونفقتهم الى بلاد الأناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعى ، ثم ذكر تقحمهم بالدولة في هذه الحرب وتغريضهم اياها للخطر وما جنوه على البلاد . ثم بين أن بلاد الحجاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاسد العامة التي اجترمها الاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لأن الاتحاديين يتعمدون افساد هذا الدين ومحو هذه الأمة العربية من لوح الوجود وحسبنا برهانا على ما تكنه صدورهم نحو العرب والدين رميهم البيت العتيق بقنبلتين من قنابل مدافعهم أنساء قيسام البلاد بالمطالبة باستقلالها ... » .

وواصل السيد رشيد رضا في المجلد ١٩ تطورات الأمور بالنسبة لحزب الاتحاد والترقى فأشار الى ما ينشره حزب تركيا الفتاة الذين تعتمد عليهم جمعية الاتحاد والترقى في تحويل الترك عن الاسلام والتشكيك في عقائده وشريعته والتشويه لآدابه وفضائله والمحو لعصبية من القلوب واستبدال صبغة جنسية طورانية بها .

وقال ان الشريف حسين وجريدة القبلة التي يصدرها محب الدين الخطيب في الحجاز تعتقد أن الاتحاديين ملاحدة ويكيدون للدين الاسلامي على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية ، وانهم أشد الناس عداوة للعرب ، وأشار الى سوء نية الاتحاديين وخبث ما أضمره للعرب وما فعله

جمال باثسا في سسوريا وانهم كانوا يتأولون للاتحاديين ويرجون صلاحهم ولكن تبين لهم أن بغضهم للعرب أشبد من بغضهم للروم والأرمن لسبيين أحدهما أنهم اعظم أركان الاسلام وأنصاره ، وثانيهما أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عددا وانهم يهدفون الى ابادة الشعب العربي الناصر للانسلام وتترك بلاد الخصبه واذلال أهل الجزيرة العربية الاشداء باضعافهم وتزع السلاح منهم وان ملاحدة الاتحاديين أسرعوا في تنفيذت خططهم باذلال العرب التى هى مقدمة لاذلال الاسلام .

- ٦ -

ويتساءل المنار في احدى فصوله : هل كانت جماعة الاتحاد والترقى خيرا من أولئك السلاطين العظام ؟ ويجيب : كلا . ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أوشاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلانك وشركاتهم فى النمسا والمانيا حيث يوجد أقوى أنصارهم ولذلك نرى همهم جمع المال فلا هم على دين هذه الدولة فيغاروا عليه بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها فاذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا فى الدولة من الانسداد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها وقد ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية بعد أن كسرت ولاية البلغار جيوش الدولة وكادت مدافعها بطلحة تمرق مسامع أهل الاستانة والسبب كله ما عند الجيش العثمانى من المؤونة وقد خسرت الدولة فى عهدهم المشئوم من الممالك ما لم تخسر مثله فى عدة أجيال . خسرت البوسنة والهرسك ببيع الجمعية اياها للنمسا وطرابلس الغرب وبرة ببيعها اياها لاطاليا ومكدونية والبانيا وكريت وجزائر الارخبيل أضاعوا نصف الدولة فى بضع سنين وحملوها فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم فى بضعة قرون .

وهكذا أوشك الستار أن يسدل على الاتحاديين بنهائية الحرب العالمية الأولى حيث يستعرض السيد رشيد رضا نتائج تجربته معهم بعد أن أمضى عاما كاملا في الاستئانة عمد فيه على محاوره زعمائهم ومذاكره علمائهم ، وعاد وهو موقن أن هذه الجمعية (الاتحاد والترقي) ستقضي على هذه الدولة وان اضطهادها بسلطة الحكومة للعرب سيعيد اليهم عصبيتهم الجنسية .

وأشار الى علاقة العرب بالدولة العثمانية في عهد الاتحاديين فقال : « لم يكن لهذه الدولة هذه القيمة الا بكون بلاد العرب التي هي مهد الاسلام وموطن نشأته جزءا طبيعيا فيها ولكن الاتحاديين المستكبرين احتقروا العرب وبلادهم ودينهم ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة ولا دينا ولا حرمة فاضطهدوهم وأذلّوهم وحاولوا ابطال لغتهم التي هي لغة كتاب الله ودينه استغناء عنها ومحاولة لنسخها باللغة التي جعلوها لغة (حاكميهم المالية) وجعل بلادهم الحصينة كسوريا والعراق وتركيا محصنة وجزيرتهم مستعمرة للترك يتصرفون فيها تصرف المالك في عقاره والسيد في عبيده وامائه .

وأشار الى هزيمتهم في حرب البلقان حيث انكسرت الدولة العثمانية حتى كادت دولة البلغار الجديدة ان تأخذ القسطنطينية منها وتحصدت عن قضائهم على الزهراوى وعبد الكريم الخليل وأشار الى أحمد جمال باشا الذى عرف بسفك الدماء والذى خادع أهل البلاد وبأظهار الميل الى العرب خدعة وانهم هم الذين أياسوا الأمة العربية من الدولة العثمانية واضطروها الى اعلان الثورة في البلاد الحجازية فكانت من أسباب تقليص ظلها عن رعوسهم وزوال سلطانهم من بلادهم .

المرحلة الثالثة (١٩١٩ - الى نهاية المنار)

انتتورك واسقاط الخلافة

— ١ —

كانت قضية الخلافة الاسلامية بين مرحلة فصلها عن السلطة ومرحلة اسقاطها هي اهم ما عنى به المنار (في مجلديه ٢٣ ، ٢٤) فقد استهل مصطفى كمال الموقف باسقاط الدولة العثمانية ، وفصل السلطة عن الخلافة وتكشف بعد مؤتمر لوزان ما وصفه السيد رشيد رضا بأن العالم المسيحي تظاهر على تأليف أوطان خاصة للأقليات المسيحية في الوطن التركي الصغير : الأرمن والروم والأشوريين والكلدانيين كلهم مسيحيون يجب ان تكون لهم أوطان في قلب البلاد الاسلامية ولا سيما الدولة التركية ، وقد اضطر الترك الى الصلح لأن شعوب أوربا حاربتهم أربع سنوات نأهكتهم الحرب وأنهت ثرواتهم العظيمة .

ومنذ اليوم الاول أخذت المنار تنشر فصولا ودراسات متنوعة حول الخلافة والأحكام الشرعية الخاصة بها وكان أبرز الاتجاهات في هذه الفترة :

أولا : اهتمام الأتراك بنشر دراسات عن الخلافة انتفعوا فيها بدراسات المستشرقين وخاصة اليهود منهم التي ترمى الى القول بأن الخلافة ليست من الاسلام ، وأن الاسلام ليس الا دين عبادة ، وذلك على النحو الذي ترجمه على عبد الرازق وأصدره باسمه من كتابات المستشرق اليهودي مرجليوت .

ثانيا : موقف مسلمي الهند وجهادهم في سبيل الخلافة الاسلامية وتحرير الجزيرة العربية حيث أخذت جمعية الخلافة الاسلامية بزعامة الشيخ سليمان الندوى تحرض المسلمين على النهوض للوقوف في وجه حركة الكماليين وقد أشار في رسالة أرسل بها الى المنار (م ٢٤ / ٦١٩) الى الحركة التي قام بها المسلمون في الهند والمطالب التي نهضوا بها أمام حكومتهم البريطانية ومساعدتهم التي بذلوها في سبيل الخلافة العثمانية والدفاع عن كرامة الجزيرة العربية وكشفهم عن موقف الاتحاديين في استغلال الأمم والخروج من ربكة الدين والانحياز الى الجنسية

والعنصرية لاضعاف كلمة الاسلام وتوهين جامعة المسلمين ، وقد دعا المسلمون في الهند الى التناصر والتآخي والدفاع عن حوزة مركز الاسلام وهى الخلافة العثمانية وكيف سارعت بريطانيا تعلن انها لن تمس عواطفهم أو حياتهم الدينية أو البقاع المقدسة الاسلامية التى ستبقى محفوظة خلال الحرب وآمنة من الحملات وأن للمسلمين وحدهم أن يخوضوا في شأن الخلافة» .

ومن ناحية أخرى أعلن عصمت باشا قيام الدولة التركية بدلا من الإمبراطورية العثمانية واستقلال البلاد العربية وذكر منها الحجاز ، وأعلن أن الملك حسين رئيس الأمة العربية وأكبر زعمائها وقال المنار أن في تنصيب الملك فيصل بن الحسين على العراق والأمير عبد الله على شرق الأردن ما يضمن للدولة البريطانية استعمار فلسطين والعراق بدون نفقة كبيرة ، كما قامت الخلافة المستقلة عن السلطة (وحيد الدين) وعبد المجيد بعده مقدمة لالغاء الخلافة عامة .

ولم يتوقف المنار عن مهاجمة جريدة طنين التركية في شأن اللغة العربية بوصفها لغة الاسلام ، وكانت الصحيفة قد تلقت رسالة من مسلمين في طشقند وأفغانستان ومصر والجزائر وبمباى وبكين يحثون فيها المسلمين على استعمال لغة واحدة في العلاقات بينهم أسوة بالقاعدة المتبعة في استعمال اللغة الفرنسية في المسائل السياسية وصرح هؤلاء أن اللغة التركية تتوفر فيها الصفات الضرورية لهذا الامر على كونها لغة أكبر دولة اسلامية .

وكتشف رشيد رضا أن هذا الاقتراح مصنوع وأن صناعته غير متقنة وأن لغة تركيا التى يرى الآن سلخها من اللغة العربية وتطهيرها من لغة القرآن لا يمكن أن تصلح لهذا الغرض مع وجود اللغة العربية » .

كذلك فقد نشرت المنار كتاب العلامة أبو الكلام اواد عن الخلافة الاسلامية (م ٢٣ / ٤٥) .

ولم تلبث الأحداث أن تواصلت ووقع الحادث الجلل . استسقاء
الخلافة الإسلامية وعرضه المنسار في اهتمام بالغ تحت عنوان : الانقلاب
الدينى والسياسى فى الجمهورية التركية : طرد الخليفة وعشيرته من البلاد
التركية واستصفاء أموالهم والغاء نظارة الأمور الشرعية ووزارة الأوقاف
والمدارس الدينية وفى فصل سلول قال السيد رشيد رضا : بدأ سياسة
أوربا وأساتذتها ينفثون سم العصبيتين الدينية والجنسية فى الشعوب
الأوربية المسيحية العثمانية كاليونان والعرب والرومان والبلغار حتى
نهضوا بهم الى طلب استقلال بلادهم وساعدتهم الدول الأوربية على ذلك
حتى نالوه ، ثم طفقوا ينفثون السم فى أرواح سائر الشعوب العثمانية عامة
وعصبية الجنس واللغة فى شعب الترك خاصة لكرهه السلطنة العثمانية .
ومضى الأحرار يسعون لاسقاط الدولة العثمانية ليبنوا على أنقاضها دولة
تركية محضة يكرهون جميع أهلها على قبول الجنسية التركية وقد فتن
المتفرنجون من الترك بتقليد الأوربيين فى نظم حكوماتهم وقوانينها . وعلم
السلطان أن الجون ترك يكيدون له فلج فى مطاردتهم فى الداخل والخارج
وشغلته هذه المسألة عن اصلاح الدولة والاسراف (ولا شك) ان عطف
الدولة البريطانية على الجون ترك ومساعدتها لهم من دلائل استخدامها
اياهم فى سياستها من حيث يشعرون أو لا يشعرون ذلك أن رجال جمعية
الاتحاد والترقى ، ألفوا الكتب الطاعنة فى الاسلام الداعية الى استبدال
الرابطة التورانية بالاسلام ولكنهم كانوا يخافون عاقبة تنفيذ مقاصدهم ،
ولما اتجهوا الى الحلف الجرمانى فقدت الدولة سائر ما لها فى أوربا وأفريقيا
 وآسيا ، ومزقوا هذه الدولة بمعاهدة سيفر شرمزق ، ومعاهدة لوزان
التي تقرر فيها استقلال ما بقى للترك والغاء الامتيازات الأجنبية ، وقام
مصطفى كمال بالغاء الخلافة الزمنية أولا ثم الغاء الخلافة بعلم » .

ثم تواصلت الأحداث التي تمثلت فى مواقف متعددة حيث جرى البحث
عن الخلافة الاسلامية بمناسبة سقوطها والمحاولات التي قام بها الشريف
حسن والملك فؤاد وظهور كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق
وقيام الدولة السعودية فى الجزيرة العربية وتصدت المنار لكل ذلك

بلقوة ودحضت شبهات على عبد الرزاق وهاجمت محاولة الدولة الكمالية في ترجمة القرآن ، وفي فصل مطول تحدث السيد رشيد رضا عن موقف الكماليين من الاسلام فقال :

كنا نعلم أن مصطفى كمال باشا يشننا الاسلام ويمقتنه من قبل أن يظهر ذلك ونعلم أن ملاحة الترك الموافقين له في السعي لتحويل الشعب التركي عن الاسلام بغضا فيه وفي العرب قوم الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرون وكنا نتمنى قبل تاليه للجمهورية اللادينية لو يظل هو وأركان حزبه يظهرون الاسلام ويحافظون على اسمه وشعائره الظاهرة ولا يعلنون عداوته مراعاة للشعب التركي فأبوا الا أن يهدموا كل ما بقي للدولة فيه من مظهر وشعيرة ، وحكم وعمل وعلم ، وقد وضعوا في قانون الجمهورية أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام فلم نشك وقد رأينا ما رأينا من هدمهم للاسلام من الدولة ثم محاولة هدمه في الأمة . ان هذا اللقب قد وضع تقية ، لئلا تكون لمفاجأة الأمة بترك دينها اسما ومعنى تأثير تخشى غائلته ، وقد صرح مصطفى كمال باشا نفسه أخيرا بعد أن صرح مرارا بأن التركي حر في اختيار الدين الذي يعجبه وثنيا كان أو يهوديا أو نصرانيا ولعمري أنه ليس حرا في أن يكون مسلما فانه يجبر اجبارا على استباحة شرائع الاسلام من حلال وحرام ، وقال : لقد سمى الغاء الأحكام الشرعية توحيد للمحاكم وسمى منعه للعلوم الاسلامية وإبطالها توحيد للتعليم التركي وسمى تفضيله للقوانين الأوروبية المسيحية الأساس كقانون سويسرة للأحكام الشخصية ايثارا لأحكام الحديثة ، وهناك رواية أنه يريد أن ينصر الشعب التركي ولكن يود أن يأخذ ثمننا على ذلك من الدولة البريطانية وإن من أشهر الكتاب الذين كانوا يغشون المسلمين بهؤلاء الملاحدة عمر رضا المصري الأصل المقيم في الآستانة الذي كان يرسل جريدة الأخبار المصرية الاسلامية قبل أن يصل أمر الحكومة التركية الى هذا الحد ، فلما نزع في الخفاء استبدل جريدة السياسة المؤيدة لنزعة الترك الاحادية بجريدة الأخبار . وقد كتب الأمير شكيب أرسلان مقالات في اظهار خفايا شتان الحكومة التركية للاسلام والعرب نشرتها جريدة الأخبار فتولى الرد عليها عمر رضا هذا وبعض أصحاب الجرائد التركية ثم شايعتهم جريدة

السياسة في مصر ولم يرد له أحد ججة ولا نقض له قضية ، وانما جادلوا وماروا بالباطل وزعموا أنه ليس له حق في الدفاع عن الاسلام لأنه من طائفة الدروز ، والأمير شكيب من أتبع مريدي الاستاذ الامام الذين تلقوا عنه معائد السنة السامية وحكمها العالية في بيروت فكان بهذا من انصار الاسلام والسنة لا من آحاد المسلمين (م ٢٨) .

وواصل السيد رشيد رضا كشف « حقائق عداوة ملاحدة الترك للاسلام » وعلمهم على محو الاسلام من الشعب التركي وتأسيس دولة تركية محضة وجعل الولايات العربية مستعمرات لهذه الدولة وتترك سائر العناصر العثمانية ومن يقدر على تتركه من العرب وانهم اتخذوا سياسة المراحل في القضاء على الاسلام فمهدوا لالغاء الخلافة بتنصيب خليفة روحاني لا عمل له وقال انهم فشلوا في هذه الخطة لأن الشعب التركي يدين بالاسلام وهو ساخط على الحكومة لشعوره بأنها تهدم دينه الذي هو مناط امله .

وتحدث عن خط هجوم الكماليين على الاسلام باستبدال الاحرف اللاتينية بالاحرف العربية ووجوب محاربة هذا الخط على العالم الاسلامي فقال : لقد بات مقاومة هجوم الكماليين فرضا مقدسا على المسلمين ليستطيعوا الاحتفاظ بدينهم هم وذرايرهم المستقلة فان أعداء الاسلام في انقرة لم يجدوا امامهم عملا الا استئجار الكتاب من اوروبيين وشرقيين باموالهم واموال المفسدين لنشر الدعاية ضد الاسلام يدعون الى استبدال الاحرف اللاتينية بالعربية كما فعل ذلك لويس ماسينون في باريس للقضاء على الاحرف العربية (م ٢٩) .

الفصل الثاني

الماسونية والصهيونية

كان السيد رشيد رضا من اليقظة والوعى بالتيارات العالمية والمؤامرات التي تجري حول عالم الاسلام فكان من ذلك استشفافه لأخطار الماسونية منذ وقت باكر ففى المجلد السادس (١٩٠٣) تحدث عن هذه الارهاصات فقال:.. رأى جنال الدين ان نحلة الماسونية تجر هذه البلاد الى اوربا بخيوط سياسية خفية ولكنها متينة قوية فهي كالخيوط التي يربط بها المشعوذ التماثيل التي يلعب بها من وراء ستار ، فيحسب الصبيان انها هي التي تلعب بنفسها . وهكذا كانت مصر العوبة في ايدى الاوربيين فاراد ان يرى رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وانفسهم فوجه همته الى استخدام الماسونية في تعليم تلاميذه ما لا يمكن التصريح به الا في جمعية سرية فدخل في الماسونية ودخل معه تلامذته التابعون فجعل بهم قوة للمصريين وصار رئيس مجتمعتهم ، ولستأه كان غالبا في مناصرة الانجليز لما كان من زحفهم على بلاده ولما كان يعتقد من طمعهم في مصر وقد صرح بذلك كتابة مقاوموه حتى اضطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ، ولم يكن للماسونية عمل في مصر الا في تلك الفترة ثم ان الماسونية صارت في مصر آلة لبعض زعمائها في جلب المنافع ثم كثر فيها الفوغاء حتى قل احترامها وانطلقت اللسنة بالطعن فيها وليس هذا مما يعنينا الآن .

وفي نفس المجلد تحدث عن الماسونية واليهود فقال : الماسونية جمعية سرية تكونت في اوربا لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والامراء ورؤساء الدين من البابوات القسيسين الذين كانوا متضامرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والحرية وقد اتفق على تكوينها اليهود والنصارى ولذلك جعلوا رموزها واشاراتها متفرعة من الكتاب المشترك الذي يسمى الكتاب المقدس وأسندوها الى بناء الهيكل المقدس : هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الأقصى ، ثم ان الافرنج لما تغلفوا في الشرق وراوا مزاج السيادة الاسلامية لا يقبل مشاركا له في حكمه

فهو يجيش بأفعال جميع المسلمين لنفذ سلطة من يحاول السيادة عليهم استعانوا بالماسونية على اضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين وأغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم فأدخلوا طائفة منهم وبقي أكثر المسلمين الى اليوم يعدد الماسونية نزعة من نزعات الكفر أو وسيلة إليه الا أن الشعب المصرى سريع الانقياد الى التقليد ولذلك كثر الداخلون في هذه الجمعية من أهله على أن أهله يتصلون بالاديان ويدعون عدم التعرض لها بحال . . . »

ومضى السيد رشيد يوالى امر الماسونية على صفحات المنار فتحدث (م ٨) عن مؤلفات جديدة بدأت تظهر بالعربية منها تاريخ اليهود لشاهين منكاريوس ، والحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية ذكر فيها أعمالها السياسية السرية التى كانت من أعظم أسباب الانقلاب السياسى في أوربا (وثابعه بعد ذلك جرجى زيدان) ومضت الأحداث المضمرة من أعمال الماسونية في الدولة العثمانية وفي السيطرة على جماعة الاتحاد والترقى وكانت قد حملت لواء القضاء على السلطان عبد الحميد بالقتل والانقلاب وقد جربت الاثنين ففشلت الأولى ونجحت الثانية ، وبعدها انكشفت أوراق الماسونية التى كانت قد خدعت الكثيرين ممن دخلوا فيها ظناً أنها وسيلة للنهضة أو وسيلة للبر أو مقاومة للفسوذ الأجنبى . ففى عام ١٩١١ (م ١٤) اتضح الموقف وكتب السيد رشيد رضا عن الماسونية في البلاد العثمانية قال : كان السلطان عبد الحميد عدو للجمعية الماسونية لاعتقاده أنها جمعية سرية وهو يخاف من كل اجتماع وكل سر وأن غرضها إزالة الاستبداد وهو مستبد وإزالة السلطة الدينية من حكومات الأرض كلها وهو يفخر بالخلافة الاسلامية ويحرص عليها وقد تنفس الزمان للماسونية بعد الانقلاب الذى كان لهم فيه أصابع ممرومة فأسسوا « شرقيا عثمانيا » أستاذة الأعظم طلعت بك ناظر الداخلية وأركانها زعماء جمعية الاتحاد والترقى وأنصارها من اليهود وغيرهم ولأجل هذا نرى طلعت بك لا يبالى بسخط الأمة ولا برضاها في ادارته التى استعانت فيها المملكة بالسنة ولاياتها الا ولاية سلانيك وكذا أدرنة فيما أثلن والسنة مبعوثها حتى بعض الاتحاديين وسلانيك هى الآن مركز السلطنة الحقيقية في المملكة وإنما الاسنانة مركزاً للتنفيذ .

ثم واصل المنار الحديث في المجلد ١٤ (١٩١٢) ومنها أول كلمة صريحة وأول اعتراف بانصاف السلطان عبد الحميد وقال انهم كان لهم اثرهم في الثورة الفرنسية وفي الانقلاب العثماني ثم نشر بيان الاميرالاي صادق بك عن الماسونية والاتحاد والترقي وأشار الى مقالة مجلة دين دميشت الروسية أن جمعية أركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخفير الى السلطان ماسونيين وجعلت الماسونية مهمة رجال الدولة منصبة الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية .

— ٢ —

وكان هذا كله مقدمة للحديث عن الخطر الصهيوني الزاحف الذي لم يغفل عنه السيد رشيد رضا فقد كانت افتتاحية المنار (يناير ١٩٠٢) ١٣١٩ هـ من اخطار الجمعية الصهيونية فقال : ان رياض باثسا اطلع على كتاب لبعض الاوربيين المجاورين لليهود عن الجمعية الصهيونية ومساعدتها في اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيل وقال انه يعرف هذه الجمعية منذ خمس سنوات (أى منذ عام ١٨٩٧) وهو تاريخ عقد مؤتمر بال وظهور البروتوكولات ، وقال انها جمعية سرية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة لتكون مقر ملكهم وعرش سلطانهم ، وجاء ذكر هذه الجمعية في منار السنة الأولى (ص ٤٤/٤٥) وفيه أن حركة هذه الجمعية ظهرت فجأة في النمسا والمانيا وانجلترا وأمريكا . وهي تتظاهر بنقل فقراء اليهود المهاجرين والمقيمين الى بلاد فلسطين فلما وثقت بقومها الآن خرجت من مضيق الكتمان وقد بعثت منذ أشهر المستر اسرائيل زنفويل من لندرة الى الاستانة للمساومة على شراء القدس الشريف ويقال أنه لقي من الحضرة السلطانية التفاتا وانعطافا وبعد عودته خطب في الجمعية فقال : ان اليهود س يرجعون بكثرة الى فلسطين مملكتهم القديمة التي لا يمكن أن تغرب شمسها عن سماء افكارهم وسيبلغ عددهم فيها عام ٢٠٠٠ أى في آخر القرن العشرين المسيحى مائتى ألف ألف (مليونين) نفس وسيجعلون تلك الأرض جنات عالية قطوفها وينثثون فيها حدائق ذات بهجة ويصلون أطرافها وأرجاءها فيكون شعب اسرائيل منارا على جبل صهيون تهتدى به الأمم ، وقال ان غاية ما يرمى اليه اليهود هو جمع

النقود الكافية لاقتياع أرض فلسطين من السلطان وبلغ ما جمع الآن ألف ألف ريال أمريكي (مليون) هذا ما نشرته الصحيفة العبرانية الفرنسية والموضوع بكامله (ص ٨٠٦ مجلد ٤ من المنار) ويبدو أن السلطان عبد الحميد لم يكن قد حدد موقفه من الصهيونيين في هذا الوقت ولذلك فانه لم يعلن موقفه الا بعد أن أتاح لهم الفرصة في ذكاء السياسى لطرح كل ما عندهم وقد أشار هرتزل في مذكراته أنه تردد أكثر من مرة على السلطان وإن السلطان قد حسم الموقف في النهاية على النحو الذى أزعجهم وجعلهم يرتبون قتله أو استقاطه ومن ثم أعلنوا عليه تلك الحملة الضارية التى قادها صحفيو المارون في مصر وغيرها في المقطم والهلال وكتابات سركيس وغيره .

وفي المجلد الرابع عشر من المنار سنة ١٩١١ تحدث السيد رشيد رضا مما أطلق عليه المشروع الأصفر فقال : خبرنا الاستانة باقامتنا منها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود في جماعة الاتحاد والترقى عظيم ، وإن ناظر المالية اسرائيلى النسب وانه جعل كاتم سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا أن اليهود سيكون لهم شأن أى شأن في هذه المملكة ، وآمالهم في القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم الحالية في المكان تعظم وتعودهم فيه غير مجهول وأشرنا الى ما يخشى من مغبة ذلك في أجزاء السنة الماضية ثم جاءت أنباء مجلس الأمة العثمانى في هذه الأيام مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية في المملكة العثمانية وأنكروا على ناظر المالية بيعه أحسن موقع عسكرى في الاستانة لشركة أجنبية بثمن دون المثل بسمرة بعض اليهود ، كذلك أشارت المنار الى أن جريدة الكرمل نشرت مقالات من جمعية اليهود الصهيونية التى تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين وتمهد السبيل لاعادة ملك بنى اسرائيل .

وتحدث عن ما نشرته صحف سوريا في مشروع الأصفر حيث قال ان عمران بلادنا يتوقف على استعمال الأموال الأوربية فيها وزمام هذه الأموال في أيدي اليهود ، وترى الصحف أن الخطر من الصهيونية ينحصر

في شيء واحد هو امتلاكهم للأرض المقدسة ، والخطر من استعمال أموال الأجانب اليهود ينحصر في غرق الأهالي والحكومة في الديون وثانيهما تملكها لرقبة البلاد بأن يكون أكثر الأرض أو الكثير منها لهم ، وقال لقد زادت ثروة مصر بأموال الأوربيين وأعمالهم أضعافا مضاعفة ولولا جراحة الفلاح المصرى على الاستدانة بالربا الفاحش وغير الفاحش بغير حساب ولولا الاسراف والقمار والمضاربات لما كان على المصريين دين يذكر بالنسبة الى ثروتهم العامة .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن المنار كان هو السابق لجميع الصحف في التنبيه الى نفوذ اليهود الصهيونيين في جمعية الاتحاد والترقي وما فيه من الخطر على الدولة ، وقد ظهرت الحقيقة في مجلس الأمة العثمانية وعلى لسان الصدر الأعظم حقي باشا الذى صرح في خطاب له بأن اليهود هم أصحاب المستقبل في هذه الدولة ، حتى في أمورها الادارية والعسكرية .

— ٤ —

ويتحدث السيد رشيد رضا في مقال مطول عن بنى اسرائيل فأشار الى كيد اليهود في شل عرش ذلك السلطان الدينى والدنيوى في أوربا وأنه لولا ذلك لمحت العصبة الصليبية راية الاسلام في الشرق كما محتها في أكثر أوربا ولما وجدت هذه الحضارة المؤسسة على قواعد العلوم والفنون والحرية التى نفحها روح الاسلام في الأندلس والشرق ثم انتقلت الى ايطاليا وفرنسا فسائر بلاد الغرب ثم يقول : على أن الشعوب الأوربية الحرية بالطبع الموروثة قد كفرت بنعم الله في العلم كما كفرت بنعمته في هداية الدين فهي تستخدمها في الاستعداد لذلك معالم الحضارة والعمران وابادة بعض شعوبها لبعض ، فاليهود يلتون لهذه الدول وشعوبها في شرق أوربا وآسيا بالبلشوية وفي غربها بخصمها الراسمالية والغرض من الكيد من ازالة بغى القوة النصرانية ثم القوة المادية لشعوب أوربا التى تساعد على غرضهم الأناسى وهو تجديد ملك يهودى يكون له النفوذ الأعلى في العالم ، فهم الذين تلو عرش السلطان البابوى

بقوة العلم والمال لأنه كان يضطهدهم في كل مكان وهم الذين وضعوا سلطان الحكم العنصرى بمجلس الدوما أولا ثم قوضوه بالحكومة الشيوعية أخيرا لأنه كان يضطهدهم أيضا وهم الذين ساعدوا جمعية الاتحاد والترقى على تقويض سلطان الخلافة التركية تمهيدا لتمكنهم من امتلاك فلسطين لا لضهاد الترك لهم وهم الذين قوضوا صرح القوة الألمانية في الحرب الأخيرة بما بعثوه من سموم الثورة في أسطولها وفي جيشها وبما جاهدوا بأموالهم وكيدهم في حمل الولايات المتحدة على مساعدة أعدائها الحلفاء عليها ثم سعوا لنشر الشيوعية فيها حتى لا تقوم لها قائمة مسيحية ولا قومية ، وما كان هذا الا خدمة لانجلترا وجزاء على عهدها بلسان لورد بلفور في تأسيس وطن قومى وملك يهودى في فلسطين فكيدهم لألمانيا ككيدهم للدولة العثمانية لا ككيدهم لدول الاسفن والعنصرية الروسية . الظالم سيف والله ينتقم به ثم ينتقم منه رواه الديلمى في مسند العروس بلفظ عدل الله (م ٣٣/٣٤٧) .

ثالثا : الحركات الإصلاحية
(الوهابية والسنوسية) وغيرهما

— ١ —

أولت المنار على مدى عمرها الطويل اهتمامها بالحركات الإصلاحية الإسلامية وتابعت حركة اليقظة الإسلامية في مختلف أجزاء العالم كما أولت اهتماما بالغا بالمؤتمرات الإسلامية التي عقدت في الهند ودمشق وجنيف ومكة المكرمة وبيت المقدس ، بل لقد اهتمت بمؤتمر أم القرى الذي تخيله الكواكبي ١٣٢٠ هـ .

مؤتمر ندوة علماء الهند ١٣٣٠/١٩١٢ .

المؤتمر السوري العام بدمشق ١٣٣٨/١٩٢٠ (وقد انتخب السيد رشيد رضا رئيسا للمؤتمر) .

المؤتمر السوري الفلسطيني بجنيف ١٣٤١ .

مؤتمر مكة المكرمة السعودي ١٣٤٤ .

مؤتمر بيت المقدس ١٣٥٠ (ديسمبر ١٩٣١) .

كما تابعت نهضة الاسلام في الهند وفي جزر الملايو فتحدثت عن أحمد خان الهندي وأحمد حلان ومدح المنار أحمد خان الذي أنشأ جامعة عليكرة لأنه كان دائما موضع المقارنة مع الشيخ محمد عبده فيما فعله كلاهما للخروج من دائرة التقليد وبحث الاسلام بحث المجتهد المحقق كما يقول المنار (ص ٣٣ م ٧) ولكن الأبحاث بعد ذلك كشفت عن جوانب أخرى بالنسبة للرجلين .

وفي المنار المجلد ٢ ص ٢١١ كتب السيد رشيد رضا عن السنوسية كما كتبت عنها صحيفة المانية (دى كولونى) وأشار الى أهميتها من حيث انتشارها السياسى وانها أنشئت ١٨٥٥ بواحة جغبوب محمد بن على السنوسى المولد ١٨٩١ على حدود الجزائر المتاخمة لأراكشي ، بارج وطنفسه

١٨٣٠ مشعلا نار النعمة على الفرنسيين الذين كانوا استولوا على تلك البلاد وقد حط الرحل بعد الرحلة في واحة جفبوب ١٨٥٥ ، كذلك فقد واصل الحديث عن طريقة السنوسية من الاسكندرية ودرنة (م ١٥) ودعوة السيد أحمد الشريف السنوسي الى جهاد الايطاليين كما تحدث عن ثورة السودان التي قام بها الامام المهدي (م ٢) وتحدث عن النفوذ الانجليزى في البلاد الاسلامية والامتيازات الاجنبية ، وتحدث عن تعصب غلادستون وسالبرى ضد الاسلام .

واولت الاستعمار اهتماما كبيرا فتحدثت عن السياسة الهولندية في جاوة وعن سياسة فرنسا في مراكش .

كما تحدثت عن انتشار الاسلام في مجاهل افريقيا نتيجة اسفار المسلمين وتوغلهم بقصد الكسب والاتجار فلما انس الاهالى منهم الوفاء والاستقامة اقتدوا بهم فتناسلوا وتكاثروا ونما بينهم الاسلام ، حتى قال أحد الرحالة الأوربيون أنه لم يكن يأمن على نفسه أثناء رحلته وأثناء تطوافه الا عند المسلمين .

وأولى المنار اهتماما كبيرا حول المسلمين في الهند ونشر نصولا من محاكمة الزعيم المسلم أبو الكلام ازاد في الهند وخطابه الذي ألقاه عند محاكمته أمام المحكمة الانجليزية ووصف ثورة الهند السياسية السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (م ٢٤) .

— ٢ —

ولقد كان لأحوال الحجاز والجزيرة العربية موضعاً هاماً ومتابعة كاملة وقد والت المنار أخبار الثورة العربية التي قام بها الشريف حسن وما اتصل بها من تمزيق البلاد العربية بمعاهدة سايكس باكو وقيام نظام في سوريا ملكي ثم احتلال فرنسا لها وما يتصل بموقف الشريف حسين من النفوذ الأجنبي ومسألة فلسطين .

ثم توالى الأحداث وزحف النجديون على الحجاز وتم استيلاء الملك ابن السعود على جميع الحجاز ديسمبر ١٩٢٥ (١٣٤٤ هـ) وأشار الى ما كان بين سلطان نجد والبيت الهاشمي .

وفي مجلد (٢١) تحدث المنار عن الخلاف بين النجديين والحجازيين قال : لفظ الوهابية يطلق على أتباع الشيخ محمد عبد الوهاب المسالم السني الشهير المجدد للنهضة الدينية في نجد ، فقد اتخذ أمير نجد تلك النهضة في أبان ظهورها وانتشارها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز التي طال عليها عهد الظلم والجهل ولم يظهر فيها مصلح علمي ولا إداري .

وقد اتبعت حكومة الآستانة لنهاضته وإخراجه من الحجاز الذي هو مناط عظمتها وسلطتها الإسلامية واستعانت على ذلك بحكومة محمد علي باشا التي كانت عاجزة عن تولى ذلك بنفسها وأرادت أن تشوه تلك الحركة الإصلاحية فأذاعت أنها عبارة عن أحداث مذهب جديد مبتدع في الإسلام مخالف لمذاهب أهل السنة وأغرت أنصارها من العلماء الرسميين والمفتين بالرد على هذا المذهب وتضليل أهله وتكفيرهم وهم ينكرون كل مذهب في الأصول غير مذهب السلف الصالح ويتبعون في الفروع مذهب الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه .

وأشار إلى رواية الجبرتي عن الوهابية وعسكر محمد علي .

ثم قال : ولا يزال مسلمي الحجاز ومصر وسوريا والآستانة يظنون أن لأهل نجد مذهب مخالف لمذاهب أهل السنة لأن بعض الذين كتبوا عنهم قالوا أنهم يكفرون غيرهم من المسلمين ويقولون في النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ما يعد إهانة وكانت قد صدرت الإرادة السنية إلى محمد علي بقتالهم وردع هذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم في البلاد الإسلامية فأطلقا سراحهم وبدد ثملهم .

ولم يكن في هذه الفترة من الممكن قول كلمة الحق عن الوهابية لخوف الدولة العثمانية منها ومعارضتها لها ، ثم أشار إلى ثورة الشريف حسين على فعلة الاتحاديين الطورانيين ثم على دولة الترك بحملتها في عهد الحرب الأوروبية وقد أقتنع بعض أهل الفترة والأحلاف من العرب باتخاذ ذلك وسعى إلى جمع كلمة عرب الجزيرة في سبيل انتقاذ عرب سوريا والعراق من ظلم الاتحاديين واضطهادهم . وقد سعى بعض الطامعين في جمع الكلمة يعقود اتفاق بين الشريف مكة والأمير ابن سعود صاحب

تُجسد والامام يحيى صاحب اليمن والادريسي صاحب عسير على شامة الاعتراف بكل منهم باستقلاله في بلاده والتعاون بينهم على دمع المدحوان الاجنبي ورفع شأن الجنس العربي ، وبدأت حكومة الحجاز في الطعن في اهل نجد والدعوة الدينية الى مثاليهم ، وقد ارسلت حكومة مكة الهاشمية الحملة بعد الحملة لقتال الشريف خالد في الخرمة . وتضمن منشور ملك الحجاز ١٣٣٦ الاشارة الى البدع والزيغ الديني عن متحلى العقيدة الوهابية المكثرين لكل العالم الاسلامي

وتحدث عن موقف حكومة الحجاز وتكفير الوهابيين والنجديين والدعوة الى تعاليم باسم الدين وقد ارسل ابن سعود بيانا الى اهل الشام قال فيه : نحن مثلكم مسلمون مؤمنون موحدون ندين بدين محمد بن عبد الله ونقر بترتيب الاصحاب كما جاءوا في الحكم والاستخلاف ونفد في عبادتنا الامام الاعظم احمد بن حنبل ونعترف ان اخوته الائمة الباقيين هم مثله في العظمة والصدق والصحة فحذار ثم حذار ان يفركم ويفسدكم ويفتنكم فتعطوه صبرا ومالا . وقال : هم اخوتكم في الله يجاهدون في الله ولم يسبق بيننا وبينكم عداوة ولا نحن طامعون في بلادكم نخلوا بيننا وبينه ليزول الاعجل ويقضى الله امرا كان مفعولا » (م ٢١) .

ثم واصل السيد رشيد رضا كشف حقيقة الوهابية وتجلية منشأ الطعن فيها فقال : ان سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسي محض ، كان أولا لتنفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز وخوف الترك من ان يقيموا دولة عربية ولذلك كان الناس يهجون عليهم تبعا لسخط الدولة . الى ان حددها الملك حسين في الحجاز وولده فيصل في العراق وولده الامير عبد الله في سوريا (فلسطين) لقد اصدر الملك حسين عدة منشورات في جريدته ١٣٣٦/١٣٣٧ رماهم فيها بالكفر وتكفير اهل السنة والطعن في الرسول الاعظم وانه لابد للسلطان من قتالهم ثم سرى ذلك الى مصر وظهر له اثر في بعض الجرائد وقد رد على هذه الرسائل بعض علماء الشام وجرت مناظرة مع علماء مكة (م ٢٤) .

ثم انتهى الموقف بانتصار السعوديين واستيلائهم على مكة والمدينة والطائف وجدة واستقر امرهم وتعرف المسلمون على حقيقة دعوة التوحيد

التي قام بها الشيخ محمد بن عبيد الوهاب وتكشف زيف دعاوى النفوذ الأجنبي في تشويه الحقائق واستغلال ذلك سياسيا .

ويتحدث السيد رشيد رضا في المجلد (٢٧) تحت عنوان « الوهابيون والحجاز » فيقول : مما خص الله به هذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة ، وأنه لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، وإن الله تعالى يبعث فيها مجددين لأمر الدين كما ورد في الأخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة تثبت صحة معانيها بالفعل .

ولقد كان من أجلهم في القرون الوسطى قدرا وأنبهم ذكرا شيخ الاسلام أحمد تقى الدين بن تيمية رحمه الله فقد أتاه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لأحد من البشر ، وقد تصدى للرد على النصارى وأهل البدع والاف في ذلك المصنفات الدالة على سعة علمه وقوة حجته وقد شهد له أكابر المصنفين ولاسيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته ويذائه وصده عن نصر السنة وأحياء مذهب السلف بعض كبار العلماء الرسميين المقربين الى الملك فاوذى وحبس في هذا السبيل وظل أولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كثير حتى أحياءها الله تعالى في بلاد نجد بظهور المجدد الداعى الى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد في أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر ثم في نهضة الإصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرها من البلاد الاسلامية في عهدنا هذا من القرن الرابع عشر وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجددا للإسلام في بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم الى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية .

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاعتقادهم أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من

السلطان في جزيرة العرب ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية ثم ظهر لهم أن مصلحتها تقتضى بالاتفاق مع آل سعود والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ما كان بين الدولة فيها فطمت ذلك أما أمراء مكة المعروفون بالشرفاء فقد ظلوا في الطعن على دين الوهابيين وافتراء الأكاذيب عليهم ، وأشار الى دسائس الشريف حسين لآل سعود ، وإلى زحف السلطان عبد العزيز على الحجاز واثقاده منه ، وقد نشر السيد رشيد رضا بضع مقالات في جريدة الأهرام وفي المنار كشف فيها عن أن هؤلاء النجديين الذين يلقبون بالوهابيين سنيون متمسكون بمذهب السلف في العقائد وبمذهب الإمام أحمد في الفروع وأنهم أشد شعوب المسلمين في هذا العصر اتباعا وابعدهم عن الابتداع ، وأن الاستعداد للإصلاح الإسلامى الحق بالتوحيد الخالص وترك البدع والخرافات والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن أقسوى .

البَابُ الْخَامِسُ

مِيَادِينُ الْعَمَلِ الصَّحْفِيِّ الْإِسْلَامِيِّ

الفصل الأول : التعريف بفضل الإسلام

الفصل الثاني : الدفاع عن اللغة العربية

الفصل الثالث : التربية والتعليم

الفصل الرابع : قضايا المرأة والمجتمع

الفصل الخامس : أحياء التراث

الفصل السادس : اعلام المنار ووفيات الأعيان

الفصل السابع : الصحف والمجلات

الفصل الثامن : الجماعات الإسلامية

الفصل الأول

التعريف بفضل الاسلام

- ١ -

كان صدر السيد رشيد رضا ممثلنا ايماننا بعظمة الاسلام وفضله وامجاد تاريخه على نحو واضح في كل صفحات المنار ، ومنذ العدد الأول اولى اهتماما كبيرا لابراز عظمة الاسلام « كمنهج اجتماعي وحضارى » كان له ابعاد الاثر في الحضارة الانسانية عامة وفي الحضارة المعاصرة وفي تمدين البشرية ولذلك فقد اولى اهتماما بادوار عدة :

أولا - عرض ما جاء في تقدير الحضارة الاسلامية والشريعة الاسلامية في كتابات الغربيين .

ثانيا - عرض صفحات من التاريخ الاسلامى وتاريخ الاندلس ودور المسلمين في بناء المنهج التجريبي واقتباس أوروبا من الاسلام .

ثالثا - دور العرب في بناء النهضة الاسلامية العالمية والتحدث عن مدنية الاسلام في الطب والفلك وغيرها .

رابعا - الاهتمام بالشخصيات ذات الشأن في التاريخ الحديث التى اولت اهتماما وتقديرا للاسلام .

خامسا - عظمة القرآن وصلاحيه الشريعة الاسلامية لهذا العصر وكل العصور .

وهكذا مضى المنار لطيطه منذ اليوم الأول الى اليوم الاخير فهو يتحدث عن اعادة مجد الاسلام تحت عنوان : كيف يعود للاسلام مجده فيقول : الجواب من الكتاب (كما بدأكم تعودون) ومن السنة (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) ومن كلام علماء العمران ان التاريخ يعيد نفسه . ويقول : لماذا اختار الله الامة العربية لهذا الاسلام لانها وسط بين الأمم ولم يكن لها رؤساء في الدين والسياسة يحكمونها بالجبروت والاستبداد ،

يل سلامة الفطرة وغيره النفس وشدة البأس ، ولم يكن عند العرب من التقاليد الدينية شيء يستندون منه على وحى سماوى وعلى سلف من الأنبياء فيدافع ما جاء به الاسلام أو يزاحمه ، وأشار الى أنه يوجد من المسلمين بعض المتعلمين على الطريقة الأوربية وأكثرهم من الأتراك والهنود وعدد قليل من المصريين منحرفون عن صراط الدين غير مصبوغين بآدابهم ومضائله ، وهناك سكان البوادي من العرب فإنهم لم يصيبهم من ظلم الظالمين ما أصاب غيرهم . طائفة يعسر عليها أن تجارى المدنية الحاضرة قال : والمنار يدعو الى الوحدة الاسلامية التى تضمن لسائر الشعوب والممل حقوقها فى بلاد الاسلام على اكمل وجه : هذه الوحدة الاسلامية لا يتيسر القيام بتعميمها من مصدر واحد من اختلاف لغات المسلمين ومذاهبهم وحكوماتهم واقطارهم ومذاهبهم وان الخطر الذى يتهدد العرب ابتلاع الأمم المتمدنة لهم ، فاذا كسر باب المسألة الشرفية انحسر الترك لأنهم عنصر مستقل ولكن البلاد العربية تذهب فريسة المطامع اذا تقلص عنها ظل الدولة العثمانية ومجد الاسلام انما يحفظ بمجد العرب وانما يعود مجد الاسلام بالاصول والاعمال التى أخذ بها المسلمون عند ظهور الاسلام فكان لهم ذلك المجد العظيم وزال مجدهم باهمالها هى التى يعود المجد بالأخذ بها والأسباب تتصل بمسبباتها ، وعبرة يعود غريبا فى الحديث النبوى أخطأ الذين يفهمون من الحديث أن الاسلام يضمحل ويتلاشى ثم لا يعود الى مجده وعزته، انما هى صريحة فى أن الاسلام سيظهر مرة ثانية مثل ظهوره فى المرة الأولى وظهوره فى المرة الأولى كان غريبا على العالم ولكن فى غرابته استعقب مجدا كبيرا وعزة كذلك يكون فى الكرة الأخرى ان شاء الله رغم أنوف اليائسين الذين سجلوا على هذه الأمة الشقاء بدینها الى يوم الدين ، على فهمنا هذا قمنا ندعو المسلمين فى (المنار) الى احياء مجد دينهم بالرجوع الى ما كان على سلفهم الصالح ولا بلاء أشد على المسلمين من اليأس والقنوط .

وأحاديث مطولة في المنار (منذ المجلد الثماني) عن مدينة العرب وقد أنشأ هذا البحث ما كان يكتب في تركيا عن العرب تعصبا للجنس وكان رشيد رضا قد تحدث عن تجديد الروابط بين الترك والعرب على أسلوب جديد وكانوا ينتقضون العرب في تركيا ويقولون انهم ليس لهم تاريخ ، وحاول في أدب رفيع أن يشرح هذا الأمر ثم بدأت هذه المقالات تروى ما قدمه العرب في مجالات المدنية المختلفة ، من طب وفلك وعلوم ، يقول مع الإشارة الى نزعات التعصب الجنسي عند الترك « حرصنا بأن لا تعنى بالوحدة العربية أن يفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل تعنى به أن كل شعب يجتهد في ترقية نفسه ملاحظا أن في ترقية نفسه ترقيا لسائر الشعوب ، ثم أشار الى الفوارق بين المدنية الإسلامية والمدنية الأوروبية وأخطاء الأخيرة حيث حرم الإسلام مقاتلة من لا يقاتلهم كالنساء ورجال الدين والأطفال والشيوخ وحرم عليهم التمثيل وهتك الأعراض .

كذلك تحدث عن اقتباس أوربا من الإسلام ، وعن ثناء منصفى الأفرنج عليه كما تحدث عن تبرئته بآدانة أهله وأورد ما قاله المسيو ريمون الرحالة الشهير من أنه كان لا يأمن على نفسه إلا عند المسلمين أثناء تطوافه في مجاهل أفريقيا حيث يجد منهم لطفا وحسن ضيافة وقد كتب رسالة طويلة في هذا المعنى الى السيد السنوسي مدح فيها أخلاق الإسلام وفضلهم على سائر الأمم والشعوب .

كما تحدث السيد رشيد رضا الى سبق الإسلام الى المبادئ الجمهورية والاشتراكية وتحدث عن الفسارق بين اشتراكية الإسلام واشتراكية المسيحية (م ١/٩٤٨) .

كما تناول التاريخ الإسلامي وتاريخ الأندلس والخلافة الأموية وتحدث عن جزيرة العرب ومكتشفوها من الأفرنج ، وأشار الى تعصب أوربا على الدولة العثمانية وتنازعها للممالك الإسلامية وأورد شهادة التاريخ على بعضها (م ١/٤٨٨) .

كما اورد كثيرا مما كتبه اعلام الغرب عن الاسلام وفي المجلد الحادى عشر نشر بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاه فى مؤتمر افريقيا الشمالية المنعقد فى باريس عن الاسلام والمدنية الحديثة ، كما افاض فى عرض آراء القس اسحق طيلر عن الاسلام التى نشرها فى انجلترا عام ١٨٨٨ (م ٤ المنار) وكان قد كتبها بعد ما جاء مصر ليختبر حال المسلمين اذ قيل له انه مبالغ فى مدحهم ومدح دينهم وقد نشرها فى جريدة سنت جيمس غازت الانجليزية (١٨ ابريل ١٨٨) قال : انى ذهبت الى مصر احدث اقطار الاسلام وهقصدى الوحيد أن اطلع من ذلك المكان على الاعمال المجموعة فى القرآن من الآداب والأخلاق والتقوى والمعرفة وأعلم ما هى العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين ذوى التربية وانى اقر وأعترف بأنى تمجبت غاية التعجب لما رايت المسلمين راضين بأن يتكلموا معنا فى موضوع عقائدهم وحاضرين للاعتراف بذنوبهم ، كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ أمره فى السماء والأرض وبرسالة عيسى عليه السلام الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ويؤمن بوجوب الصلاة وينتقاء النفس فى الآخرة ، أما فى الرحمة أو ما فى العذاب وبالهامية الكتب المنزلة من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم متقنة جدا وبعض أدميتهم وصور مناجاتهم حسنة للغاية حتى انه لا يمكن لأحد من المستحقين أن يجد فيها كلمة واحدة يعترض عليها .

كذلك فقد اشار الى كتاب تاريخ القرآن والمصاحف الذى ألفه روستو فدوى الروسى وطبعه فى بطرسبرج (م ٨/٩٥٣) .

وأولى اهتمامه لاسلام لورد هدلى (م ٢٤/٥٥٦) وكتابه ايقاط الغرب للاسلام (م ٢٦) قال عن اللورد هدلى انه لم يكن فى حياته مسيحيا قط كما قال لى هو بنفسه فقد كان على مذهب الموحدين الذين يؤمنون بالله واحد ويعتقدون أن المسيح نبي وهؤلاء شيعة كبيرة فى انجلترا وأمريكا وأشار الى قول هدلى : كلما قرأت فى المصحف الكريم اكتشفت بنفسى انى مسلم دون أن يبشرنى أحد بالاسلام ودون أن يدعونى أحد الى الاسلام ،

وقد وجدت الاسلام دينا بسيطا ، ومما يذكر أنه أدخل باسلامه نحو أربعمئة شخص من رجال ونساء وتسمى بسيف الرحمن رحمه الله فاروق . ومن ذلك قوله : يسرنى أن أعرف أنه ليس هناك بغض بين المسلمين ولكن المحبة بأوسع معانيها وهى منتشرة بينهم أكثر مما هى منتشرة بين المسيحيين فى الجزر البريطانية فالمسلمون مثلا متسامحون جدا ومطبوعون على إيتاء الخير إزاء جميع المسلمين بخلاف ما عليه فروع الكنيسة بعضها إزاء بعض وإذا عينت لجنة من الانكليز الأكفاء حقيقة لفحص الذى يجب أن يتدين به العالم كله لأجمعوا أمرهم على أن يختاروا الدين الاسلامى الذى يشهد له العقل والذى يجيب رغبة الفؤاد والروح الشديدة من الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى ، ولا أعتقد ولا سبق لى أن اعتقدت قط أنه من الضرورى لخلاصى أن أصدق ألوهية المسيح أو أن أعتقد الثالوث أو العقائد الأخرى التى تدعى الكنيسة أنها ضرورية للخلاص » .

وقد مضى السيد رشيد رضا يتحدث عن حضارة الاسلام مبتدئا بما أورده الشيخ محمد عبده فى كتاب (رسالة التوحيد) حيث أشار الى ما كان من فتوحات النصارى الأوربيين ونشرهم لدينهم بالقهر والتقتيل وإبادة المخالفين مدة عشرة قرون كاملة لم يبلغ السيف من كسب عقائد البشر فيها ما بلغه انتشار الاسلام فى أقل من قرن ، ولم يكن المسلمين فى هذه القرون من القوة العددية والالهية ولا من سهولة المواصلات ما يمكنهم من تهر الشعب التى فتحوا بلادها على ترك دينها ولا على قبول سيادة شعب كالشعب العربى ، فهم لم يخضعوا للمسلمين ودينوا بدينهم ويتعلموا لغتهم الا لما ظهر لهم من أن دينهم هو دين الحق الموصل لسعادة الدنيا والآخرة أو من أنهم أفضل الحكام وأعدلهم » .

ومن هنا فإن الاسلام قد فرض على المسلمين ويوافقهم على ذلك جميع شرائع الأمم الاقرنج أن لا ضير على أى أمة فقد من وطنها شيء أن تستعد لاستعادته الى أن تظفر به كما فعلت فرنسا باستعادة ولايتى الألزاس واللورين من ألمانيا فى الحرب الأخيرة وكانت قد أخذتها منذ نصف قرن ونيف .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن الاسلام دين سعادة وسلطان

وشريعة وحكومة شورية يجمعها نظام حربى جامع بين القوة والرحمة والعدل ، وقد جاهد الأوربيون المسيحيين فى أمر الجامعة الاسلامى حتى صرفوا وجوه الشعوب الاسلامية عن الجامعة الاسلامية الى الجامعتين الجنسية والوطنية وهدموا هيكل الخلافة العثمانية بأيدى حمايتها من الترك انفسهم ، ودفعوا حكومة هذا الشعب الاسلامى الباسل من حيث لا يدرى الى محاربة الدين الاسلامى نفسه بأشد من محاربتهم له بمدارسهم التبشيرية واللا دينية وبكتبهم وصحفهم ونفوذهم فاعتقدوا أنه قد تم لهم بهذا فتح العالم الاسلامى وأنه لم يبق لهم لتمام هذا الفتح الا القضاء الاخير على مهده الدينى وعلى شعبه وأنصاره .

وقال : ان رأى الفقهاء ان كل ما دخل من البلاد فى محيط سلطان الاسلام ونفذت فيه أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من دار الاسلام ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوبا عينيا ، وكانوا آثمين كلهم بتركه وان استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنه وجوب القتال لاسترداده وان طال الزمان فعلى هذا رأى يجب على مسلمى الأرض ازالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشيء من الممالك الاسلامية وارجاع كلمة الاسلام الا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وعجزهم الآن عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطيد انفسهم عليه واعداد ما يمكن من النظام والعدة له وانتظار الفرص للوثوب والعمل . وقد صرح الامام الشافعى أن تغور الحجاز البحرية وما يوجد فى بحره من الجزائر لها حكم أرضه وبلاده فلا يجوز لامام المسلمين وسلطانهم أن يمكن أحدا من غير المسلمين بالاقامة فيها لتجارة أو لغيرها وقد ظهر لمسلمى هذا العصر من حكمة الاسلام فى هذا ما لم يكن يخطر بباله دولهم القوية من قبل التى تساهلت وقصرت فى تنفيذ الوصية المحمدية فسححت ببقاء بعض أهل الكتاب فى بعض بقاع جزيرة العرب كاليمن ثم بوجود بعضهم فى جدة (م ٣٠ ص ٥٨١)

(٥)

ومما يتصل بهذا كان دفاع السيد رشيد رضا من حماية القرآن من مؤامرة ترجمته التى كانت قد أثرت فى هذه الفترة م ١٨٤/٣٢ قال : ان المسائل القطعية فى هذا الموضوع وما يجب على المسلمين فى هذا العصر

ان اللغة العربية هي لغة دين الاسلام والمسلمين ورابطة الاخوة العسامة
ووسيلة السلام للمؤمن بما يقيد من نزعات الشعوبية وعصبية الجنسية
ونزعات الملحدين وتوحيد كلمة العلماء المختلفة (١) فقد اجمعت الامة
الاسلامية عربيا وعجمها على أن هذا القرآن المحفوظ في قلوب الالوف
المرسوم في ألوف الالوف من المصاحف هو كلام الله عز وجل المنزل على
محمد رسول الله بلسان عربى مبين معجز للخلق أجمعين (٢) وقد اجمعت
الامة الاسلامية عربيا وعجمها على أن هذا القرآن العربى هو أساس دين
الله الذى أكمل به ما أوحاه الى رسله من قبله ، وأتم نعمته على العالمين
وأمر رسوله أن يبلغه كما أنزله بنصه العربى المبين فبلغه كما أمره الله
وما بينه من سنة الرسول وما استنبطه أئمة العلم من عقائده وأحكامه
وآدابه (٣) وقد اجمعت الامة عربيا وعجمها على أن الله تعالى قد تعبد
بهذا القرآن العربى كل من آمن به وبرسوله محمد خاتم النبيين من أجناس
البشر تلاوة وتدبرا وادكارا واعتبارا وامثالاً للأوامر واجتناباً للمناهى
وحكما بين الناس قال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) على ما فى ذلك من
الفروض والواجبات على الأعيان (٤) اجمعت الامة الاسلامية عربيا
وعجمها على أن ما فرض الله تعالى على أفراد أمة محمد صلى الله عليه
وسلم من قراءة فى الصلاة فالواجب على كل فرد أن يتلوه بنصه العربى
المنزل كما أنزل (قرآنا عربيا غير ذى عوج) (٥) اجمعت الامة الاسلامية
على أنه لا يباح للمسلمين ترجمة القرآن بلغة أخرى يتعبد بها فى الصلاة
والتلاوة والتثريح ويطلق عليها اسم كلام الله وكتاب الله . والقرآن الكريم
كما سمي الله كتابه العربى ويستغنى بها عن كتابه المنزل ولذلك نرى
جميع الشعوب الاسلامية والأعجمية من الترك والفرس والافغان والهند
والجاو والصين يعلمون أولادهم القرآن ويدرسون فى مدارسهم الدينية
تفاسيره وكتب الحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة باللغة
العربية (٦) وقد علم من هذه الأصول التى اجمعت عليها الامة اعتقادا
وعملا أن إقامة هذا الدين فى عباداته وتثريعه وحكومته يتوقف على معرفة
اللغة العربية وأن هذه اللغة قد جعلها شرع الاسلام لغة المسلمين كافة
وأوجب عليهم تعلمها ، صرح بذلك الامام الشافعى فى رسالته والشاطبى فى

مقاصدها في كتاب الموافقات (٧) ترجم القرآن بعض علماء الامرنج بأشهر لغاتهم الحية وترجمه بعض المسلمين الى تلك اللغات الشرقية وفي كل ترجمة من هذه التراجم اغلاط لكثرة المخالفة لدلولات عباراته اللغوية والشرعية فتح باب للطعن فيه والصد عن الاسلام كما أنها فتحت بابا آخر لأن اطلع عليها من مستقلى الفكر عرفوا بدخولهم فيه شيئا كثيرا من عقائد الاسلام الصحيح وأحكامه العادلة وحكموا على جميع ما نشره الملاحدة الماديون ورجال الكنيسة المتعصبون ودعاة النصرانية من الكتب والرسائل في الطعن في الاسلام بأن ما دونوه منها من المطامع زور وبهتان فكبر مادحوا الاسلام من علمائهم الاحرار واهتدى كثير منهم به (٨) ما ترهب على ما ذكر من صلاح وفساد يوجب على المساءين وجوبا كثنائيا أن يريدوا ما كان من صلاح قوة وتأيدا أن يفتندوا ما حدث من الفساد تفنيدا وانما يكون ذلك بترجمته بتلك اللغات كلها ترجمة معنوية صحيحة ، هذه الترجمة فرض كفاية على المسلمين لا تسمى قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها وانما هي خلاصة تفسيرية له تدخل في باب الدفاع عن دين الاسلام من جهة ومن باب الدعوة اليه من جهة أخرى .

(٦)

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتمامه للشريعة الاسلامية وصلاحياتها لهذا العصر وقد كتب الشيخ على سرور الزنكلوني في هذا فضلا مستقيضا قال فيه : ان أسس التشريع الاسلامي قد قيدت البشر بقواعد من الحق والرحمة والعدل والفضل وحقوق الروح والجسد الصالح لكل عصر يكمل لهم كمال الانسان وسعادة الحياة ما أقاموها وأباحت لهم التشريع الاجتهادي فيما يتجدد من الاقضية والمصالح التي تختلف باختلاف الأزمنة والامكنة مع المحافظة عليها وبهذا لم يكونوا محتاجين الى تشريع سماوي جديد بعدها ، وقد كان من عدم تقيدهم بها هذه القوضى السياسية والادبية والاجتماعية والثورات الحكومية التي تهدد العالم المدنى بحرب شر من حربها الاخير تلك معالم العمران دكا . ولو أن دول أوربا تدين الله تعالى بما شرعه الله تعالى في كتابه القرآن من وجوب حفظ اليهود والمواثيق واجتناب جعلها دجلا باطنها ينتقض ظاهرها لتحاكم ذلك من كل ما بينهم

من التنازع والتخاصم في معاهدة الحرب الكبرى وفروعها ، ولقد نبئت طائفة في هذا الزمان وكثيرا ما تنبت مثلها في عصور الانتقال — تنادى بوجوب سير الشريعة بجانب نظام المجتمع المادى الحاضر ، وهذه الطائفة ان لم تكن خبيثة فائنها جاهلة بالاسلام ، ان حياة العالم الآن حياة مادية تنحدر بسرعة في طريق الاهواء والشهوات فلو جرى الاسلام انحدار الامم فاباح الزنا للأعزب ومن لا كسب له ولجيش الحروب واباح الرقص لمناج النفس واباح الربا لاستكمال مشتهيات الحياة أو لمزاحمة الأجانب وفى مكة المسلمين ان يزاحموهم ويقفوا مثل وقفهم بثروتهم الطبيعية والاقتصادية ، لو اتسع الاسلام لكل ذلك لكان دين مادة لا دين خلق وأصبح من أوضاع البشر لا من شرائع الله ومع ذلك ما هو الأساس الإسلامى الذى جرب فى الأمم الإسلامية وفشل وتبين خطؤه ، ومن ذا الذى وازن بعقله السليم المنصف بين حكم اسلامى ونظيره فى تشريع وضعى ثم امام البرهان الصحيح على ضعف التشريع الإسلامى وخذلانه ثم ما هو الأمر الجوهري الذى طعن به اعداء الاسلام عليه مع تألبهم الشديد وعداوتهم المستحكمة من أول أمره الى اليوم على كثرتهم وقوتهم ووفرة اساليب حروبهم وضعف المسلمين وتخاذلهم ثم اثبت العقل فى وضوح أنهم محقون والاسلام مبطل ، ان العالم المادى لا يزن الاسلام الا بحالة المسلمين مع أن الاسلام دين وخلق يجب أن يوزن بميزان العلم والعقل لا بميزان أهلها المضيعين لها ، ومن العدل أن يقال ان أوربا اللاتينية انما تخدم القوتين الشعبية والشهوية لأن الانسان سلام واحاء وتعاطف فى الخير لا فى جوانب المادة ومناصرة فى الحق لا تغلب على الضعيف بل الحيوان الضعيف أجدى على الانسان من الحيوان الشرير .

الفصل الثانى

الدفاع عن اللغة العربية

- ٩١ -

كانت اللغة العربية هدفا أساسيا من أهداف الدفاع عن الاسلام فى نظر المنار باعتبارها لغة القرآن ، وفى مواجهة التحديات التى كانت قد بدأت تتعرض لها فى هذا الوقت الباكر من قوى الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى ومن أجل هذا أولت المنار الاهتمام باللغة العربية والبلاغة والأسلوب العربى المبين وتناولت الأخطار التى تتصل بإنشاء الصحف العامية ووصفتها بأنها صدمة جديدة على اللغة العربية ، وفى مجال الدفاع عن ضرورة توحيد لغة المسلمين فى اللغة العربية وعن العربية ووجوب تعلمها فى الدولة العثمانية .

وفى المنار ١٩٠٢ تحدث السيد رشيد رضا عن مؤامرة التعلم بالعامية المصرية ، وقد بدأت الدعوة ١٩٠١ بكتاب الفه المستستر ويلموز المستشار القضائى باللغة الانجليزية داعيا الى جعل اللهجة العامية المصرية لغة المصريين العامة بدلا من اللغة العربية الصحيحة وحاول اقناع المصريين بأن هذا خير لهم ، وترجع الصيحة الاولى لصوت ولهم سبيتا بك الالماني أمين دار الكتب الخديوية الموقوف ١٨٨٣ فانه وضع حروف افرنجية للعامية المصرية لأجل احيائها والى كتابا فى صرفها وكتابا فى أمثالها وقصصا عامة ونشر ذلك باللغتين الالمانية والفرنسية ليرغب أوربا فى تنفيذ مشروع تعلم العامية بالحروف الافرنجية وجعلها لغة العلم والتعليم . وقد انتدب بعض أغنياء الافرنج منذ سنين لذلك وأرصد لهم مالا جما ونشرت يومئذ كراسة فى الحث عليه . وأشارت المنار أن (المؤيد) لم تلبث أن نشرت مقدمة كتاب ويلمور لأجل عرضها على الكتاب للرد عليها وقال الشيخ : ليت المؤيد الآخر لم تنشر مقدمة كتاب ويلمور فقد كان الأولى أن يدحض شبهاته من غير أن ينشرها ويقررها فان من الناس من يلناث بالشبهات .

وكان الأولى أن يبطل شهادته من غير أن ينشرها وأشار الى مناقشة الشيخ عبد العزيز جاويش لويلمور ، وأشار الى أن جمعية مؤلفة من الشبان الذين أتموا دراستهم في إنجلترا دعت المستر ويلمور لحضور اجتماعها للمناقشة وكان الشيخ عبد العزيز جاويش موجودا فسأله : هل خطر على بال المستر ويلمور أن يدعو قومه الانجليز الى توحيد لغتهم بأن يجعلوا لغة العاصمة لغة المملكة كلها كما يدعو المصريين الى ذلك فانه يعلم التفاوت بين لهجة أهل لندن ولهجات سائر الولايات فقال ويلمور ان هذا غير ممكن لأنه يضيع علينا تاريخ لغتنا فقال الشيخ ان هذه الغائلة التي يحذرنا منها هي بعينها محذورة في ابطال لهجات أرجاء القطر المصرى ماعدا لهجة القاهرة المذبذبة فان قبائل العرب الفاتحين ضربوا في كل رجاء من أرجاء القطر وتبوات طائفة من كل قبيلة جهة من الجهات غلبت لهجتها عليها . وإبان خطأ ويلمور في قوله ان لغة القطر المصرى لغة مستقلة دون العربية الصحيحة وبين أنها ليست الا لغة عربية دخلها التحريف والدخيل وان أكثر ما يظن أنه مناف للعربية من لهجاتها هو من العربية وانه اذا لم يوافق لهجة قريش الفصحى فانه ربما يوافق لغة بعض القبائل الأخرى ثم ذكر أيضا شيئا كثيرا من عيوب اللغة الانجليزية كالخلاف بين ما ينطق وما يكتب ، وكالحروف الأثرية الزائدة ، في كثير من الكلمات حتى ان متعلم هذه اللغة يضطر الى حفظ لفظ كل كلمة وحفظ صورتها في الرسم لأن الأول لا يدل على الثانى في العرف من الكلمات حتى يصح أنه لا قياس في هذه اللغة . وقال الشيخ اذا نبذنا اللغة الفصحى ظهريا وقبلنا أن يكون التعليم باللغة العامية المصرية التى لا كتب فيها ولا قواعد لها سننتقل الى دور آخر في تعذر الاصلاح واستحالة التعلم والتربية بهذه اللغة الفقيرة وهو الدور الذى احتج فيه لورد ماكولى على وجوب تعلم الهنود الانجليزية (م ٤ ص ٨٧٩) .

وأولى المنار اهتمامه بالحركة التى قامت على اثر ذلك في دار العلوم من أجل الترجمة والتعريب ونشر كلمات محمد الحضرى والاسكتدرى (م ١٠ ص ٨٥٥) وكان لدار العلوم موقف حاسم بالنسبة للغة العربية والحرب المشنونة عليها ١٩٠٧ بعد انشاء نادي دار العلوم ، أن تكون المهمة الأولى

فى خدمة اللغة العربية مسألة أسماء الاجناس الاعجمية التى يراد ادخالها فى اللغة العربية هل تعرب أم تؤخذ بالترجمة والحديث عن جواز التعريب واقتراح بانشاء مجمع اللغة العربية خطاب فتحى زغلول (م ١١ / ٣٢) وخطاب حنفى ناصف (م ١١ / ١٢١) .

كما اهتم بأمر الخط العربى واصلاحه (م ١٣ / ١٩٦) و (م ١٨ / ٤٦١) حيث قدم عبد الفتاح عبادة فصولا عن انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى .

والت المنسار هذه الأبحاث فنشرت بحثا للأستاذ محمود بك سالم عن المطاعن الموجهة الى اللغة العربية وغناها بالمسميات العلمية وفضل اللغة العربية على لغات الامرنج وكونها لغة المستقبل (م ١٣) كذلك فقد فضل المشروع الذى تقدم به أحمد زكى باشا « الملقب بشيخ العروبة » (م ١٣ / ٩٣٧) وكان الكاتب الثانى لمجلس النظر لما له من الخبرة الواسعة فى هذا الباب وما يتصل بذلك من اصدار مجلس النظر قرارا قدمه أحمد حشمت باشا وزير المعارف عن الوسائل المقتضى اتخاذها لاهياء الاداب العربية بالديار المصرية وكان أحمد زكى قد قدم مذكرة منذ عشرين عاما وهو يوالى البحث والتنقيب عن انواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاختيار باب العمل فى فنون الاصلاح المطلوب لاهياء العلوم والآداب العربية ، وقد تناولت الابتداء فى احياء الاداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبيرتين المعروفتين باسم نهلية الارب فى فنون الادب لشهاب الدين النويرى ومسالك الابصار فى ممالك الامصار لابن فضل الله العمري وقد ضم المشروع عددا من الكتب الأمهات فى باب الأدب والبلاغة والحديث النبوى وآداب الملوك والتاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلة وعلم حفظ الصحة وعلوم طبيعية وميكانيكية وعلوم الحيوانات والمعادن والفلك والموسيقى والحرب والديانات القديمة وفنون متنوعة .

وفى المجلد الثالث عشر من المنار أوردت الأسماء العربية للمسميات الأجنبية التى اقترحها نادى دار العلوم وكانوا قد أعلنوا عن وضع أسماء

غريبة لبعض المسميات الامرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسما جديدا أو عربوه والاشتقاق والتعريب ليس جديد في اللغة بل هما بجائزان وواجب أن يصار لهما عند الحاجة ومن هذه الاسماء : اضمامة « بلوك نوت » صبغ « بوية » طنف « ترسيئة » مرمى « جول » خريطة « خارطة » ملف « دوسيه » بطاقة الزيارة « كارت فيزيت » خيالة « سينماتوغراف » .

— ٢ —

وانسحبت النار صدرها لدراسات واسعة عن اللغة العربية بوصفها أقدم اللغات الشرقية وأم المدنية المصرية والبابلية وخاصة ما يتصل بدراسة أحمد كمال في هذا الشأن الذي أجرى مقارنة بين اللغتين المصرية القديمة واللغة العربية في عدة فصول (م ١٨) وفي المجلد الخامس عشر خطاب مطول في اللغة العربية لجبر ضومط تحت عنوان (بحث تاريخي فلسفي في مواطن اللغة العربية المصرية ونسبتها الى أخواتها من اللغات السامية) ومما جاء فيه ان العلامة روتشن المؤرخ الاثرى يرجح أن المدنية المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءت من العراق وبلاد العرب وان الباحثين اتفقوا على أن لغة الآشوريين وقدماء البابليين واحدة وان الآثار البابلية تثبت أن الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من أصل البلاد الأصليين وانما جاءوها من مكان آخر ثم بين أن اللغة العربية هي أم اللغات السامية وسيدتها وأن أرومتها الأولى كانت في اليمن وحضرموت وعمان وأنه تشعب منها فروع الى بلاد (بابل بالعراق) فعلى ما تقدم يكون كل من مدنية العراق وسوريا ومصر عربى الأصل ثم تولد من ذلك الأصل فروع استقلت .

ويعلق السيد رشيد رضا على ذلك فيقول : لكن علامة العباديات والآثار المصرية وأمام اللغة الهيروغليفية في عصرنا أحمد كمال (أمين دار الآثار المصرية) أظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية المصرية القديمة ما لم يكن في الحسبان فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيه ألوفاً من الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية في الغالب اما موافقة تامة واما موافقة بضرب من التحريف أو القلب أو الإبدال المعهود مثله في اللغتين وكان المشهور عن أحمد كمال أنه يرى أن العربية أصل اللغة المصرية

القديمة المدونة بالقلم الهيرغليفى ومن لوازم هذا ان أصحاب تلك المدنية كانوا من العرب ثم انه رأى نصا يدل ظاهره على ان العرب أنفسهم أو بعضهم من المصريين فأخذ بظاهره حملا له على الصديق وبنى عليه مخاضته وذلك النص ما وجد منقوشا فى الدير البحرى بالاقصر فى زمن الدولة الثامنة عشرة (١٦٠٠ — ١٣٨٠ ق . م) وهى أرقى دول مصر وفيه أن المصريين الاولين اشتهروا باسم الأغنياء وهاجر بعضهم الى القيروان وتونس والجزائر والى اواسط افريقيا والصومال وبعضهم قطع البحر الأحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين (م ١١٦/١٥) .

ومن ناحية أخرى أولى المنار اهتمامه الى ما جاء فى المقتطف من اشارة الى أن فى القرآن كلمات أعجمية وقد كتب أحمد كمال الاثرى المعروف تحت عنوان :

[براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الاعجمية] .

وأورد ١٧ كلمة وأثبت أنها عربية ، قال : اللغة المصرية اى لغة قبائل الأعنماء التى سكنت مصر وما جاورها من الأقاليم هى اصل اللغة العربية بلا مرأى بنص النقوش المذكورة آنفا . وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصا جرى فى آيات كثيرة . قال المفسرون ان فى القرآن الشريف كلمات غير عربية ولكنها لا تخرجه عن العربية كما أن الكلمة العربية اذا وردت فى القصيدة الفارسية لا تخرجها عن كونها فارسية وأنا أخالف هذا كله فقد جمع المرحوم الشيخ حمزة فتح الله جميع الكلمات الواردة فى القرآن الشريف ويقال انها أعجمية وطبعها بأمر نظارة المعارف سنة ١٩٠٢ وها أنذا أخالفه فى ذلك مبينا أنها عربية لورودها فى اللغة المصرية القديمة .

أكواب وأباريق (سورة الواقعة) أكواب الكلمة مصرية عربية ، أباريق ليست بفارسية ولكنها مصرية وجدت مكتوبة فى حجر نقش بأمر أحد ملوك الحبشة وعثر عليها فى دنقلة فثبتت فى العربية بهذا اللفظ .

أب — وردت في نقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة أبو مهي مصرية
لا أعجمية ، وفي القاموس : الأب الكلأ أو المرعى .

سرى — أى نهر بالسريانية والقبطية واليونانية وفاته كما فات غيره
من المفسرين أنه مشتق من سرى يسرى وسرى به فاشتق منه سرى
أى النهر ... الخ .

وتحدث في المجلد ١٥ من المنار صفحات (١٨٧/١١٢) جبر ضومط
عن اللغة العربية ونسبتها الى اخوتها من اللغات السامية ،
وعن القحطانيون والعبرانيون .

— ٤ —

وأولت المنار اهتمامها البالغ بالبلاغة والبيان وتحدثت عن كتاب
أسرار البلاغة وضع عبد القاهر الجرجاني وقالت : لقد تنبه الناس في هذا
العصر الى احياء فنون اللغة العربية وتحصيل ملكة البلاغة فيها وقد أخذ
الشيخ محمد عبده يقرأ هذا الكتاب على طلبة الأزهر وكذلك ألف جبر ضومط
كتابا في البلاغة أطلق عليه اسم (الخواطر الحسان) وكتاب آخر سماه
(فلسفة البلاغة) على قاعدة الاقتصاد في انتباه السامع (م ٣) .

كذلك أولى المنار اهتماما بالغا بالشعر العربى ونشر في المجلد الثالث
للراعى والكاظمى وأحمد محرم والبارودى وشوقى وحافظ وتحدث
عن الشوقيات كما تحدث عن الشعر وأوزانه ، ومادته وبنائه .

— ٥ —

وقد عرض السيد رشيد رضا لمشروع التعليم بالعامية المصرية
التي يراد بها احكام المؤامرة ضد الفصحى لغة القرآن فقال : واجهت المنار
صيحة استبدال اللغة العامية السخيفة باللغة الصحيحة الشريفة ،
استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير ، هذه الصيحة حركت الالسنه

والأقلام الى تعويق سهام الملام واقامة الحجة على الصائح بأنه يقتصد
منفعة قومه لا منفعة الذين يدعوهم الى ترك لغة دينهم وشريعتهم وعلومهم
وآدابهم الذى ضعف بضعفها منهم كل مقوم من مقومات حياتهم وفي محوها
من الواح التعليم ومحو أمثهم من لوح الوجود الاجتماعى . وأثسار الى
صدمة جديدة على العربية وهى ظهور جرائد بالعامية : الحبارة واللجام
والغزالة والشيطان مع سستوط مجلة البيان الفصيحة ونهضت الحماره
باللجام واحجلتأه ، ألم يكفهم هذا حتى تام جماعة يسعون لتعليم وتعلم
اللغة العامية بحروف افرنجية .

وقال السيد رشيد رضا انه فند وجوه الخديعة الخلافة وكشف الغطاء
من ضروب التدليس والتلبيس فى الموضوع ونبه الى تقصيرنا فى احياء
اللغة الصحيحة ونشرها بالتعليم القويم حتى كادت تمحى وتزول وحتى
صار بعض الناس يعتقد ان احياءها محال وعلى الخطر الذى يتهدهدها
اذا تمادينا فى اهمالنا واغفاننا .

الفصل الثالث

التربية والتعليم

- ١ -

إذا قلنا ان لب لباب دعوة حركة الاصلاح الاسلامى هى التربية والتعليم ما عدونا الحقيقة فقد كانت الفكرة الاسلامية للاصلاح هى احياء التربية الاسلامية وتغيير مناهج التعليم بحيث تدخل اليها العلوم الحديثة واصلاح مناهج الجامع الأزهر وبناء المدارس الأهلية لاستنقاذ عدد كبير من المسلمين من مدارس التبشير والارساليات ولوضع مناهج اسلامية أساسية فى مواجهة التحديات التى كانت تتمثل فى مناهج وزارة المعارف التى وضعها دنلوب والتى فرغها من المفاهيم الاسلامية والتاريخ والأدب العربى والتراث بعد أن قضى على المناهج الدراسية التى كانت قائمة قبل الاحتلال وتحدث طويلا السيد رشيد رضا ، حتى ليكن القول دون مبالغة انه لم يخل عام من الأعوام من متابعة الحديث عن ترشيد التربية والتعليم العام والأزهري ، ومن أجل ذلك تحدث عن المدارس الوطنية فى الديار المصرية والتعليم عند القبط وسبب سبقهم للمسلمين وصبغ التعليم بالصبغة الأجنبية ووثبة المصريين لانشاء المدارس الأهلية ، كما تحدث المنار عن تربية البنات تربية خاصة مختلفة عن تربية البنين وكذلك تحدث عن تربية الاطفال والتربية النفسية وتعليم النساء تدبير المنزل وتربية الطفل وتعليم الأمهات الاصول العامة لطباع الاطفال وغرائزهم، يقول فى نقد التعليم الرسمى وتعليم البنات (م ١٩٣/٥) لم يرد فى قانون التعليم ما يدل على أن البنات يتعلمن ما يختص بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئا من ذلك ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف أن النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فاذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض ما يقوته من الأحكام الدينية فى المدرسة بمقياس أهل التعليم الدينى وحضور مجالسهم وسماع الخطب فمثل ذلك لا يتأتى للبنات ولا للنساء لأنه ليس فيهن عالمات بأمور الدين ثم ان البنات

أحوج من الصبيان الى الدين عقائده وأعماله وآدابه لسبب آخر هو أن وضعهن في الشرق لا يزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج .

وأشار الى تعليم البنات في المدرسة السنية وما تشوبه من قصور وشبهات حتى أن مس. جريفس الناظرة الأولى للمدرسة السنية كتبت في تقريرها : ان تعليمنا بلا تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضرورى فلا يصح ان يكون في مدرسة واحدة دينان وان أولى الأديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة فيجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدارس البنات وجعلها الزامية ومن اثره أن ترشد البنات وكن مثلها في المدرسة حائرات .

وقد أزعج هذا التقرير مستر دنلوب. فاستغنى عنها .

وقد أشار المنار الى خطر دنلوب على وزارة المعارف (م ٢) والى عمله الخطير في « محو معالم اللغة العربية وطمس آثار الديانة الاسلامية في المدارس وجعل رسومها موائل ودوارس » قال : ولا لوم على من يخدم دولته وملته وانما اللوم والتثريب بل اللعن والتأنيب على الذين رضوا بأن يكونوا معاول في يديه لهدم بناء جامعتهم الدينية واللغوية وهم يعلمون ان هدمها يعسدم جنسيتهم بالكلية وفي هذا محو الملة والامة من لوح الوجود ، وعاود السيد رشيد رضا الموضوع (م ٣) فأشار عن انشاء مدارس أهلية لمقاومة المدارس التبشيرية وانشاء مدرسة للبنات على نمط اسلامي كما أولى اهتماما كبيرا الى محاولة اصلاح التعليم في الأزهر. وأولى اهتمامه بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية والاختفال بها وقال ان الغرض منها هو تربية أولاد الفقراء فلو أمكننا ان نلتفهم من الشوارع نرضى أوليائهم ، والمقصد هو ان ننزع من النفوس اعتقاد ان التعليم لا فائدة منه الا الاستخدام في الحكومة ، وقد أوجدت الجمعية في نفوس التلاميذ أن يعمل الواحد منهم عمل أبيه وأن يعيش مع الناس في أمانة واستقامة .

وقال ان مدارس الجمعية الخيرية تأسست ١٨٩٢/١٣١٠ يوجد ٨٦٠ مشترك في عواصم متعددة للقطر المصرى ، المدارس أربع وبها ٣٥٠ تلميذا .

— ٣ —

وفي مجال الدعوة الى التعليم والتربية الاسلامية ائشار الى العلوم التى يجب تعلمها :

- ١ — علم أصول الدين : (لا البحث فى غوامض علم الكلام كالوجود هل هو غير الموجود أم غيره والصفات وهل هى عين الذات أم غيرها) .
- ٢ — علم تهذيب الأخلاق واصلاح العادات .
- ٣ — علم قضية الحلال والحرام والعبادات .
- ٤ — علم الاجتماع واحوال البشر فى بداويتهم وحضارتهم وملهم ونحلهم .
- ٥ — علم تقويم البلدان والجغرافيا .
- ٦ — علم التاريخ (مع التوسع فى معرفة تاريخ أمته وملته وبلاده وان يأخذ طرفا من التاريخ العام) .
- ٧ — علم الاقتصاد الذى يبحث فى انماء الثروة وحفظها .
- ٨ — علم تدبير المنزل .
- ٩ — علم الحساب .
- ١٠ — علم حفظ الصحة .
- ١١ — علم لغة البلاد (يفقخر الافرنج بلغاتهم ويدلبون على خدمتها ، وحق اللغة العربية على أبنائها) .
- ١٢ — فن الخط .

وقد ائشار (م ٩) الى التعليم الدينى فى المملكة العثمانية وما ارسله الشيخ محمد عبده ١٣٠٤ هـ الى شيخ الاسلام فى الاستانة فى هذا الصدد ، ائشار فيها الى الأخطار التى وقعت بسيطرة المدارس الأجنبية ، مدرسة الأمريكان واليسوعيين العزائية والفرد وجميعيات أخرى دينية أوربية ؛

والمسلمون لا يستنكفون عن ارسال اولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعلمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الاوربية ، هذا التساهل المحزن ، بالعامية تعدى الى المعروفين من ذوى المناصب الاسلامية ، هؤلاء الضعفاء يدخلون في سن السذاجة وغرارة الصبا ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامى ولا يرون الا ما يخالف الروح الاسلامية ، بل لا يطرق أسماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائدهم آبائهم .

كذلك فقد اشار السيد رشيد رضا الى أن التعليم المنتشر في البلاد العثمانية في هذه الفترة (١٩١٠ م تقريبا) هو المانع الأعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختلاف طرقة ولو كان عاما شاملا لكان الناس في اتحادهم أشد وأقوى .

كذلك فقد اشار الى المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت وما تقوم به مع الطلاب المسلمين .

واشار الى واقعة استقدام الرئيس للتلاميذ طالبا منهم تعهدا للقيام بالواجبات الدينية من دخول كنيسة ودرس تورا و انجيل حسب الشرح والتعليق البروتستانتية التى يفر منها المسلم ويشكك في صحتها (م ١٢ / ٦٣٧) .

وتابع هذا من بعد بحث آخر تحت عنوان : الالحاد في المدارس العلمانية قال : اطلعت على بعض كلام لبعض مدارس المدرسة العلمانية اللادينية التى صار انشاؤها حديثا في بيروت قوامه الطعن في الدين وفي ذات الله تعدست ذاته ومن ذلك قولهم ان العقل يقودنا الى الحقيقة والايمان يقودنا الى الكذب وكثير من أهالى بيروت أرسلوا اولادهم للمدرسة المذكورة ليتعلموا بها اللادين .

واشار الى ما نشرته عن التعليم اللاديني جريدة المقطم فقالت ان نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الأخرى شارحون في انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشد ، وان فرنسا اقبلت على هذا التعليم منذ ١٨٨٢ فلم تر فيه مائده في ترقية

الأخلاق بل دلت الإحصاءات على أن الفساد زاد كثيرا في الأجيال التي تخرجت في عهده ولا يزال يزداد في الأحداث بنوع خاص ، ومعدل المنحرفين والفارين من الخدمة العسكرية وازدياد الجنايات وقال : والعقلاء متفقون على أن ذلك نتيجة التعليم اللاديني وقال المسيو تمبلنو من رجال القضاء أن زيادة الجرائم الهائلة بين الفتيات قد بدأت بعد أن انتشر التعليم اللاديني ورأى ابن رشد بشجب المدارس اللادينية ، حتى إذا صممت دعوتها الأولى وهي أنها تعلم العلوم في منزل عن الدين فكيف وهي لا تقصد حقيقة سوى مقاومة الدين ومقاتلته ، وقد أعلن ذلك فينفاني في مجلس النواب الفرنسي وقال أننا نقصد انشاء مدارس لمقاومة الدين وكفانا ذكر الحساد في الأمور الدينية . هذه نتائج التعلم الذي يريد أن ينفخنا به ماسون الاسكندرية وأعاونهم » (م ١٤ / ١٩١١) .

وقد واصل السيد رشيد رضا دراساته عن التعليم والتربية فقال في المجلد ١٥ : أنه اختبر احوال العالم الاسلامي اختبارا لم يتيسر مثله الا لقليل من امتنا وكانت نتيجة هذا الاختبار أنه يعتقد اعتقادا قاطعا أنه لا رجاء لامتنا الاسلامية بالنجاح والفلاح الا بتربية خاصة وتعليم خاص لطائفة من المسلمين ليكونوا مرشدين ومعلمين لأمته ثم لغيرها من الأمم كما يليق بهدى الاسلام الذي اكمل الله به دين الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينشغلون بعد ذلك عنه فحسبهم اصلاح النفوس وارشادها الى العمل بما تعلم وقال : وقد رأيت عقلاء المسلمين من العرب والترك والفرس والهنود متفقين معي على هذا الرأي ، هذا هو العمل الذي تألفت له جماعة الدعوة والارشاد ، وأول تهمة قذفنا بها المرجفون في جريدة العلم المصرية هي أننا نؤسس جمعية سرية لاسقاط الدولة العثمانية وانشاء خلافة عربية وكانت حجتهم في ذلك أننا نخفي عملنا ولا نظهر للناس اسماعنا وقانوننا .

وتحدث المنار عن خطر المدارس التبشيرية في البلاد العربية فقال :

قراء المنار يعلمون أن المدارس الامرنجية والمدارس المتفرجة على اختلاف انواعها من تبشيرية انشئت لدعوة النصرانية وعلمانية انشئت لمقاومة الاديان وكلها اخرجت للشعوب الاسلامية نابتة مضطربة في أمر دينها ودنياها وسياستها وآدابها يقل منها من يعرف دينه معرفة صحيحة .

ويكثر فيهم الهدامون لبناء أمتهم ، وأشار الى قول لورد سالسبرى عن أن هذه المدارس هى أول خطوة لاستعمار الشعوب التى تنشأ فيها ، فانها تخرج فيها طائفة تحالف سائر أمتها فى عقائدها وتفكيرها وتقاليدها فتحدث فيها صدعا وشقاقا تنقسم به على نفسها فيقتلها هون الانقسام بأيديهما ومصداق ذلك أن متفرجة الترك قد هدموا تلك السلطة (الامبراطورية) الراسخة الأساس وانتهى أمرهم الى امارة صغيرة طردوا منها الشعوب المسيحية . ومن المعلوم عند كل من يعرف الاسلام أنه دين وتشريع سياسى قضائى ونظام اجتماعى وانه حكم عربى كما نطق به كتابه المنزل فان كان من مثار العجب أن يحاربه ملاحدة الترك ايثارا للعصبية اللغوية ، وقد جاء هذا ردا على مقال تحت عنوان العالم الغربى والعرب والاسلام وعن حرب أوروبا للاسلام وسياستها معه ، وجهد أوروبا فى تنصير المسلمين ومقاومة أوروبا للاسلام فى بلاده وعطف أوروبا على الأرض دون المسلمين (م ٢٦) وأشار من بعد عن مسألة تعليم أولاد المسلمين بواسطة معلمين غير مسلمين وما عساه ينشأ من غير المسلمين أمور تنافى دين الاسلام بسواء بالمقال ، أو بالمال فى بذر الفساد فى النفوس لكونهم ضعاف ونوى نفوس ساذجة ، فقد يجوز الانتفاع بهم فى الحساب والاقتصاد فيما لا يخشى على الأولاد ضرر منه فى دينهم و لتربيتهم القومية والمالية . (م ٣١) وقد وسع هذا البحث من بعد فقال : ان تعليم الأولاد ما يجب عليهم من عقائد الاسلام وأحكامه عندما يلبفون سن التكليف ومبادئ اللغة العربية التى هى لغة الاسلام فرض على والديهم وأولياء أمورهم فاذا كانت مدارس الدولة لا تمنع والديهم من تعليم ما يذكر من الأمور الدينية ولغتها ومن تربيتهم على هدى الاسلام وأخلاقه ومن أهمها عزة النفس فلا مانع من ادخالهم فيها اذا كانت تمنعهم فلا يجوز ادخالهم فيها ، وأشار الى مدارس النصرانية (مدارس التبشير والارسالية) فقد ثبت بالاختبار العام أن هذه المدارس انما تنشئها لنشر دينها وتربية التلاميذ والتلميذات فيها على عقائدهم وعباداتهم وآدابهم وانها تتوخى بذلك ابعاد المسلمين والمسلمات منهم عن دين الاسلام بأساليب شيطانية تختلف باختلاف حال المسلمين من العلم والجهل . ان المدارس اللادينية التى تنشئها الجمعيات السياسية والاحادية تتوخى بث الالحاد بل الكفر المطلق بالرسول وما جاعوا به من الهدى والرشد وقد ثبت

بالاختبار ان الالحاد فى الدين قد نشأ فى المتعلمين فى تلك المدارس كلها على درجات منهم المعطلة ومنهم الشاكون أو اللادريون ومنهم الذين يلتزمون الجنسية الدينية والسياسية والاجتماعية فى الزواج والأرث والأعياد والمراسم .

ومن آثار ذلك ما نراه من الفوضى فى الأمور الاسلامية والجهل ببعض الأمور المعلومة من الاسلام بالضرورة التى أجمع علماء المسلمين سلفا وخلفا على ككر جاحدها وعدم عذر جاهلها والدعوة الى مخالفتها . ومن آثار ذلك ترجيح المترنجين وإلى العصبية الجنسية للفسات الأجنبية على لغة الإسلام العربية بل يجهلون أن الاسلام قد جعل لغة العرب لغة كل المسلمين لتكون عبادتهم واحدة وشريعتهم واحدة وآدابهم واحدة ويصدق عليهم قوله تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة) من كل وجه .

فتعليم أولاد المسلمين فى المدارس التبشيرية والمدارس الدينية (الايك) قد جنى عليهم فى دينهم ودنياهم وسياستهم وأوطانهم وسلبهم أكثر ما كانوا نالوه بهداية دينهم . انهم أسلموا أولادهم وأفلاذ أكبادهم لأعدائهم لأجل أن يجعلوهم مثلهم فيما كانت به دولتهم عزيزة قوية فقطعوا عليهم الطريق المستقيم الذى يوجههم الى ذلك وهم لا يشعرون ولا يعقلون .

وأكبر المصائب على المسلمين أنه ليس لهم دولة اسلامية تقيم الاسلام فى علومه وسياسته وهدايته وتشريعه وتعليمه وتربيته فيرجعون اليها فيما يختلفون فيه من أمورهم فى بلادها وغير بلادها وليس لهم جمعيات علمية دينية حكيمة غنية كجمعيات النصارى واليهود فيجب أن تنشئ لهم المدارس والملاجئ والمستشفيات فتغنيهم عن الالتجاء الى أعداء دينهم (م ٣٢) .

وعاود البحث مرة أخرى حول التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى
نعال :

الذى أعلمه أنه لا توجد فى بيوت المسلمين ولا فى المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا فى المعاهد الدينية (تربية اسلامية) مدونة او متبعة بالعمل فى تنشئة أطفالهم فى البيوت ثم تلاميذهم فى المدارس والمعاهد على أخلاق الاسلام وآدابه وعبادته كالصدق والحب والحياء والأمانة وهزة

النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والاقتصاد والتراحم واجتناب
البذاء والفحش في القول حتى يترعرع ويشب معتقد أن المسلم بإسلامه
أعز الناس نفسا ، وأجدرهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب
الخير للناس كافة ، وإن يحب لذلك أن يكون قدوة لهم في كل مرحلة وعادة
وعمل ولا يليق به أن يكون تابعا أو مقلدا لقوم آخرين فيما بعد تفضيلا لهم
على قومه مع اعترافه لكل ذي حق بحقه وكل ذي فضل بفضله وبراءته من
كل ما فشا في قومه من البدع والخرافات والعادات الضالة والسليمة
لأزالتها ، أما تربية المدارس فروحها تفرنج تقتل الإسلام قتلا بتفضيل كل
ما هو أجنبي على ما يخالفه من عقائد الإسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه
وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التي هي عمود الإسلام وعنوانه
ومغذية الإيمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها .
هذه المدارس قد وضع الانجليز نظمها وعينوا لها وجهتها وغايتها كما
شاعوا ومن مقاصدهم فيها ألا يكون لمن يتعلم فيها أدنى شعور بأن لقومه ملة
إسلامية لها من المزايا في دينها وتشريعها وحضارتها وتاريخها ما تعلو به
على جميع الملوك وما لا تشاركها فيه ملة أخرى وقد عزلت الناظرة الإنجليزية
التي كانت تتولى المدرسة السننية على عهد القس دنلوب لأنها قالت لا بد
من تعليم البنات الدين ودين الأكثرية هو الإسلام ومزق تقريرها ، ومدارس
التبشير وراهبات الكاثوليك يحتقرون الإسلام وكل ما ينتمى إليه ويحتقرون
لفته أيضا .

الفصل الرابع

قضايا المجتمع والمرأة

كانت قضايا المجتمع والمرأة في مقدمة الموضوعات التي شغل بها المنار وعمل على تقديم رأى الاسلام ومفهوم الاسلام في مختلف المواقف فتحدث المنار عن وجهة نظر اسلام لا في الاشتراكية التي تدع اليها بعض الجمعيات في أوروبا (م ١٨٩٨/١) وقال الترف مهلكة الأمم ، وأشار الى أسواء المجتمع كالقمار والخمر والزنا وتحدث عن الاقتصاد وحرب الغرب لاقتصاد المسلمين وعن انشاء البنك الاهلى في مصر ، وقال: الأوربيون علموهم أن حرب الدراهم والحناتير انجح من حرب المدافع والبواريد وقد امتلكوا بهذه الحروب الذهبية والفضية اكبر بلاد الشرق فلاتجلىز استولوا على ممالك الهند عن طريق جمعية تجارية وطأت المسالك ومهدت السبل لطلبها السلطة ويؤيدها النفوذ وكذلك شركة البجر في أحشاء افريقيا ، وعقد عدة فصول عن البنوك ومعاملاتها من وجهة نظر الاسلام (م ٣٦١/١٠) وعن حوالات البنوك كما تناولت المنار علوم الاجتماع والأحوال الاجتماعية في مصر وما يتصل بالانحراف والقمار (م ٥٧٢/١) وتناولت الرقص الامرنجى (م ٩١٧/٤) ومضار تربية النساء الاستقلالية عند الامرنج (م ٥) وتحدث عما أسماه البغاء أو خطر العهسارة في القطر المصرى (م ١٠) وقال الفاك الدكتور ثورثفالييس بك كتابا باللغة الفرنسية قال فيه : لعل الذين تركوا الدين فوقعوا في الأدواء التي تنشأ من الزنا يعرفون الاخطار التي تساورهم في أجسادهم وفي دينهم فيقل تهافتهم على هذه الفواحش المحرمة في كل دين ، واعتقد أنه لا علاج لهذه المعائب المبرانية والاجتماعية الا التربية الدينية وان من يزعم أن الامتناع بضرر المعاصى وحده يعمل ما يعمل الدين من النزوع اليها فهو من الجاهلين .

وقد واصل المنار الحديث عن قضية المرأة وترشيدها نهضة المرأة ، ودأب على نشر ما يؤيد وجهة النظر الإسلامية في هذا الشأن ، ونشر

محاضرة باحثة البادية التي ألقتها في الجامعة المصرية على النساء (٥ ربيع
الأخير ١٣٢٨) عن دور الطفولة والمراهقة والملابس والأزياء والخطبة
والزواج والاقتصاد المالى والمنزلى والعمل البيتي والأخلاق والعبادات ودور
الأمومة .

وعرض السيد رشيد لقضية المرأة في (المجلد ٣٣) فيقول : كان من
موضى الأقلام وحرية الإباحة والاحاد أن تصدى للتحريض في الصحف وتصنيف
الكتب والقصص أفراد من المترنجين الإباحيين ، انتحلوا لأنفسهم دعوى
التجديد وزعامة الحضارة فوجهوا دعوتهم الى النساء والشباب لانهما أسرع
انخداعا وأسلس قيادا وما زالوا يشوهون لهم كل قديم كانوا عليه ويزينون
لهم كل جديد ضار بعروبتهم ولا سيما حجاب النساء وعفافهم ولزوم بيوتهن
وطاعة رجالهن حتى هتكن الحجاب والقين جلابيب الحياء ونشر الأبراج
على بعولتهن وتمرد العذارى على آبائهن وخروجهن في الشوارع والإسواق
كاسيات عاريات مائلات ميالات كما ورد في الحديث الصحيح وصفا لنساء
سوف يأتين ممن سيدخلن النار ثم صارت الجمعيات النسائية تتجمع بين
النساء والرجال في مخافلهن الخاصة بهذه الصنعة للرقص الشرقي وتعاطي
كؤوس الخمر ثم صار هؤلاء وهؤلاء يخرجون من البيوت الى سواحل البحار
بمازير الحمام يجترن الشوارع فرجات فرجات حتى اذا التقين بالرجال على
الشاطئ خاصرتهن الى حيث يسبحن معهم فنونا من سباحة الإباحة لم يبق
معهما للدين ولا للشرف ولا للعفاف ولا الصيانة قيمة ، هذا الفساد وخطره
على الأسرة فالوطن فالأمة . .

وتحدث في موضع آخر عن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل (م ٢٠)
فقال ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل يشمل على منكرات محرمة منها
ظهورها في أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها
كالرأس والنحر وأعلى الصدر والزراعين والعضدين وتحريم هذا مجمع
عليه معلوم من الدين بالضرورة ، ومنها الاشتراك مع الرجال الممثلين في
أعمال تكثر في التمثيل ان لم يكن من لوازمه في كل قصة كالمعانقة والمخاصرة
والملامسة بغير حائل ، وفيها غير ذلك من المنكرات التي تشمل عليها بعض
القصص طون بعض كالتشبه بالرجال وتمثيل وفائع العشق والغرام المحرم

بما فيه من الاعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته (وعاود السيد رشيد الحديث عن موقف المرأة في التمثيل والتياترو في المجلد (٣٨/٤١) :

وتحدث عن التمثيل والتياترو فقال : المجموع الذي يتضمن المحذور يكون محذورا وان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وقد نهى القرآن عن ابداء النساء زينتهن لغير بعولتهن أو آبائهن ، فما بالك بما هو شر منها وهو الرقص مع الاجانب أو مطارحتهم الغرام وتمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والاخوان أخرى ، وقال ان من عصيان المرأة أن تبدى ما خفى من زينتها في التمثيل ورقصها مع الرجال وان اتباع التقليد يقطع الرابطة الاسلامية ويهدم الجنسية فليس ضررها محصورا في عصيان بعض النساء لأمر الله وجراتهن على انتهاك محارمه ..

ولقد ألف السيد رشيد رضا كتابا تاما في قضية المرأة تحت عنوان (نداء الجنس اللطيف) نشر مقدمته وفصولا منه في النار وقدم فيه مفهوم الاسلام لكل قضايا المرأة .

أما ما يتعلق بقضية تحرير المرأة التي أثارها قاسم أمين باصدار كتابه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) فقد وقف منها السيد رشيد رضا موقف جماعة صالون نازلي فاضل ، وان كان قدّم ما كتب في معارضه مثل كتابي فريد وجدى وطلعت حرب وقال ان كتاب فصل الخطاب في المرأة والحجاب وضعه طلعت حرب للرد على كتاب المرأة الجديدة كما ألفا (تربية المرأة والحجاب) للرد على تحرير المرأة وقال ان قاسم أمين غالى في بيان مضار التشديد والمبالغة في الحجاب وبالعكس جدا في جعل نجاح المسلمين متوقف على ازالة الحجاب المعهود في الازدهار والموجود أثره في العيان واعتذر منه بأنه افراط في مقابلة التفریط في التشدد بالحجاب حتى جعل مانعا من العلم (وأشار الى ما أورده قاسم أمين في فضائل الحجاب

ومحاسنه وضرر القبرج والتهتك فى رده على الدوق داركور اولا (وأشار الى أن فريد وجدى فى كتابه المرأة المسلمة اورد جملة حقائق أهمها :

١ — ان المرأة أضعف من الرجل جسما وأقل منه قبولا للعلم لأن وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك لا لأن يكون خاضعة للرجل .

٢ — كمال المرأة موهبة روحانية هذا الكمال لا تناله المرأة الا اذا كانت زوجة لرجل واما لأطفال .

٣ — ان اشتغال المرأة بأشغال الرجال قتل لمواهبها .

٤ — ان الحجاب ضرورى للنساء لصالح النوع الانسانى .

٥ — ان تعاليم الاسلام للمرأة موافقة لفطرتها تمام الموافقة .

٦ — لاينقص المرأة المسلمة لكى تبلغ اكمل نقطة يمكن أن ينال جنسها الا تعلم مبادئ العلوم العصرية .

الفصل الخامس

أحياء التراث

كان أحياء التراث وعرض المجدد منه من أبرز أعمال المنار فقد كان هذا العمل جزء من خطة الإصلاح ركز عليها الشيخ محمد عبده حين أحيى كتابى أسرار البلاغة ونهج البلاغة رغبة منه في رفع مستوى الأسلوب العربى وردة الى عصور الأزدهار ففى المجلد الثالث يشير « الى اهتمام الشيخ عبده بكتاب أسرار البلاغة وإعادة طبعه وذلك فى نطاق الدعوة الى الرجوع فى العلوم الإسلامية الى الوراء بضعة قرون والأخذ بكتب الأئمة الذين دونوا العلوم ووضعوا الفنون وقد خالفه علماء الأزهر الأزهر فى ذلك ومن ذلك أن كتاب عبد القادر الجرجانى أسرار البلاغة لم توجد نسخة منه فى مصر فاستحضرت من الشام وروجعت مع نسخة فى الأستانة ،

. قال السيد رشيد : ان هدف الشيخ محمد عبده مواجهة الضعف فى أسلوب الكتابة والبيان ، وقد خالفه فى ذلك علماء الأزهر من يعجز منهم عن فهم كتب القدماء فضلا عن تدريسها ويثقل عليه أن يقرن العلم بالعمل لأن ما عنده من العلم خيالات لا تهدي الى عمل فبعد أن سعى لطبع (البصائر النصيرية) فى المنطق وأتم قراءته درسا فى الأزهر وجه نظره الثاقب لطبع كتاب امام البلغاء بل واضع فنون البلاغة ومؤسسها الشيخ عبد القاهر الجرجانى (سقى الله ثراه) ولعبد القاهر كتابان فى البلاغة مشهوران ينقل عنهما العلماء ، أحدهما أسرار البلاغة والثانى دلائل الإعجاز ولا يوجد فى القطر المصرى نسخة من الكتاب الأول ولكن كانت توجد منه نسخة فى طرابلس بالشام فاستحضرتها بأمر الأستاذ وبعدما نظر فيها رأى فيها غلطا نسخيا وعلمنا أن فى بعض مكاتب الأستانة العلية نسخة أخرى فأمر الأستاذ بعض طلاب العلم النبهاء مذهب الى الأستانة مخصوصا وقابلها عليها فخرج من النسختين نسخة صحيحة تولى الأستاذ تصحيحها وضبطها بنفسه وأمرنا بطبعها فبأشرنا الطبع وبأشر هو تدريس الكتاب فى الجامع

الأزهر فاقبل على حضور دروسه مع المجاورين كثير من العلماء وكبار الموظفين والكتاب والشعراء وأساتذة المدارس الأميرية ، أما عبارة الكتاب فهي في الطبقة الأولى من السلامة والمتانة وأسلوبها عريى صريح لا عرقى معقد » .

وتحدث المنار على مدى سنواته الطويلة عن المؤلفات التى حققت وبعثت من التراث وهى كثيرة منها نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وعيون الأخبار والأغانى وكتاب أساس البلاغة للزمخشري والذي عنى بتصحيحه الشيخ محمد محمود الشنيقلى (والكتاب وضع لبيان الاستعمال الفصيح والأسلوب البليغ منها وتصريف القول فى أساليبها ومضامينها ومنه الحقيقة والمجاز والكنية) وقد كتب للخواص من أهل العلم والأدب ، وأشار الى عشرات الكتب منها الحسبة فى الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية لابن تيمية والاشارة الى محاسن التجارة لأبى الفضل جعفر بن على الدمشقى ، والسياسة الشرعية لابن تيمية ، وفيصل التفرقة بين الايمان والزندقة للغزالى ومسند الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهى . واحياء علوم الدين للغزالى والاعتصام والموافقات للشاطبى ، ومقدمة ابن خلدون واحياء كتاب التبر المسبوك فى نصيحة الملوك لأبى حامد الغزالى كتبه للملك العادل السلطان محمد بن ملك شاه (ولاحظ السيد رشيد على الكتاب الغلو فى الرهبنة والنهى عن العناية بعمارة الدنيا) وكتاب عيون المسائل فى اعيان الرسائل لعبد القاهر بن محمد الحسنى . (وهو دليل على أن رجال الأزهر حتى القرن العاشر كانوا يترؤون العلوم الطبية والفلكية والطبيعية التى يعادىها علماء الأزهر اليوم . (م ٣) .

وتحدث عن مغارى الواقدى فى فتوح الشام وقال : انتقده الشيخ محمد عبده وقال أنه كان من عمال الدولة العثمانية ولاه المأمون القضاء فى عسكر المهدي وقال ابن خلكان : ضعفوه فى الحديث وعدوه ضعيف الرواية ليس من أهل الثقة لهذا نفى الامام الرملى من علماء الشائعة على أن لا يؤخذ بروايته فى المغازى فان كان هذا الكتاب المطبوع الموجود فى أيدي الناس من تصنيفه فهذه منزلة من الضعف عند علماء المسلمين على أنى لو حكمت بأنه مذكوب عليه مخترع النسبة اليه لم أكن مخطئاً (م ٧٥٩/٣) .

وقال ان كثير من عباراته يظهر منها وجه المخالفة بينها وبين مناهج أبناء القرون الأولى في التعبير وهذا لا يحتاج الى بيان والعارفين بأطوار اللغة العربية يعلمون ذلك فهذا الكتاب لا تصلح الثقة به اما لانه مكذوب النسبة على الواقدي وهو الاظهر واما لضعف الواقدي نفسه في رواية المغازي ١٠

— ٢ —

وكما أولت المنار اهتمامها الواسع للتراث الاسلامي المجدد وكان لها دور في احيائه وطبعه كذلك فقد اهتمت بالمؤلفات الاسلامية الجديدة التي كانت من ثمار حركة الاصلاح في الاغلب وقد مرضت لكثير منها :

تطبيق الديانة الاسلامية على نوااميس المدنية	فريد وجدى
تاريخ دول العرب والاسلام	طلعت حرب
نور اليقين في سيرة سيد المرسلين	محمد الخضرى
الفقه والتصوف	الزهرراوى
طبائع الاستبداد	الكواكبي
الدنيا في باريس	أحمد زكى
اشهر مشاهير الاسلام	رفيق العظم
الشوقيات	أحمد شوقي

كذلك فقد اهتم بالمؤلفات التي كتبها غربيون عن الاسلام وترجمها بعض الباحثين :

الاسلام : كونت هنرى دى كاسترى ترجمة أحمد فتحي زغلول .

العصبية الاسلامية : عبد الله كوليام رئيس المسلمين في ليفربول بانجلترا عربيه محمد ضيا المصرى يحتوى على شهادات علماء أوربا واشتهر كتابها بفضل الدين الاسلامي في نشر المدنية وارتقاء العمران .

سر تقدم الانجليز : أحمد فتحي زغلول .

هذا وقد نشر السيد رشيد رضا مؤلفات هامة فصولا في المنار :

أم القرى : عبد الرحمن الكواكبي ، المستقبل للإسلام : محمد توفيق البكري ، الإسلام والنصرانية في العلم والمدنية : محمد عبده .

وقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب على أبو الفتوح « خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع » وبها مقال عن الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية (م ١٨) قال المؤلف : يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الإنسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط التي في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الأصول الإسلامية ولكن الباحث في الفقه الإسلامي ولو قليلا لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا من الرفاهية وتقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد إلا أن صعوبة كتب المتأخرين وطريقة تأليفها والتواء أساليبها وتعقيد عباراتها قد أوصد الباب . وقال : أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد المؤلفات القديمة لأنها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعميد وتنزهها عن المشاغبات اللفظية ويترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها دون ملل ، وأشار إلى كتاب الخراج لأبي يوسف فقال : عثرت في هذا الكتاب على درر كثيرة عمدت إلى نظمها في هذه المقالة ... الخ .

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب تطبيق الديانة الإسلامية على النواميس المدنية لفريد وجدي وقال أن فريد وجدي على طريقة الأستاذ الإمام وقال : من الأسف أن أكثر التصانيف الإسلامية في القرون الأخيرة أو كلها مأخوذة من كتب المتقدمين نسخا يشبه المسسخ وأنه لم يكن يوجد عندنا كتاب في الدين إذا عرض على متبذني هذا العصر يأخذ من قلوبهم مأخذا يستلقتهم إلى النظر إلى الدين يتملذه سائقا لهم إلى سعادة الروح والجسد على الوجه الذي يناسب زمنهم وعمرانهم حتى قام حكيم المسلمين في هذا العصر العلامة الشيخ محمد عبده وألف رسالة التوحيد الشهيرة وأمامنا الآن كتاب تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدنية مؤلفه الشاب الذي فاق الشيوخ أناة وكمالا هملا بعلمه

محمد فريد أفندى وجدى بين أن الدين ناموس عام ضرورى فى الكون كسائر نواميسه وبين أن العلوم الطبيعية خدمت الاسلام وانها كلما ترقى وزاد الناس رسوخا فيها زادوا قربا من الاسلام وكشف عن براءة الاسلام من الحقد الدينى المعبر عنه بالتعصب والاسترقاق وأن الاسلام راعى ناموس الحضارة والدين الوحيد الذى راعى حقوق الروح والجسد معا وكفى الكتاب شرفا أننا جعلناه ثانيا لكتاب رسالة التوحيد الذى لم يؤلف مثلها فى الاسلام وقد جرى المؤلف على آثار الاستاذ فى الرسالة أسلوبا وبحثا .

وأشار الى ديوان الشوقيات الذى أصدره أحمد شوقى أمير الشعراء فقال : ان للشوقيات أبواب يدخل فيها أنواع القول وفنونه وضروبه وشجونه من آداب وأخلاق وحكم وأمثال وغزل ونسيب ومديح ورثاء ، وحاشاها من الذم فقد ضربت آداب شوقى بينه وبين الهجو بسور لا باب له فيفتح ولا يخرق ولا يتسلق أما حكمه ومواعظه فصوادع ، وأما أسلوبه فخلوب رائع ، وأما قديمه فقد أحله محله وارتقى به الى مكانة تليق به ، فجعله مقصور على أمراء مصر . (اسماعيل وتوفيق وعباس) وأما الرثاء فلم يتجاوز الأمراء الا الى بعض العلماء والخبراء ولا تسئل عن سائر الشجون وما فيها من الفنون والفتون . (م ٥٦٦/٢) .

الفصل السادس

وفيات الأعيان وكتاب المنار

كان للمنار موقف واضح من الشخصيات البارزة في العالم الاسلامى كله سواء أكانوا من أنصار حركة الاصلاح أم من أعدائها ولم يفتها أن تذكرهم في مناسبات الأحداث وأن تمنعهم في حال الوفاة وكان موقفها معتدلا كريما الا مع قلة قليلة من خصوم الاستاذ الامام في الأزهر أمثال الشيخ محمد بخيت والشيخ عفيقى وكان لها معارك ومساجلات وخلافات واضحة مع عبد العزيز جاويش وفريد وجدى وقد عرضنا أسماء من رثتهم المنار على مدار السنوات أمثال نعمان الالوسى وحسن الطويل ومحمد بريم والسنوسى ، كما أولت المنار تقديرها لكتايبها أمثال رفيق العظم ومحمد توفيق صدقى وجمال القاسمى والكواكبي .

وكان المنار حفيا بتلاميذ الاستاذ الامام حتى ولو اختلف منهجهم كما فعل مع سعد زغلول حيث قال عنه (م ٢٢) : الا أنه ينقصه من صفات الزعماء السياسيين — كما يقولون — ما يسمونه المرونة السياسية وهى تشمل سعة الصدر والحلم والمواراة والتمويه والخداع وان شئنا قلنا والبراعة والكذب الذى يحتل التأويلات الكثيرة والتلق والبراعة فى الاستمالة والتزلف عند الحاجة ، وقد زادوا فى هذه الأيام نعته أنه مستبد لا يخضع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الاكثريين وهذا خلاف ما يعرف فيه ويعهد فيه ..

كذلك فهو يتحدث عن حسن الطويل (م ٢) أنه أحد أركان النهضة العلمية الادبية فى مصر وتلاميذه هم تلاميذ السيد جمال الدين الأمفانى كان يصرح بانتقاد الحكام فى السياسة وانتقاد شأن الناس فى عاداتهم التى أضرت بدينهم ودنياهم لاسيما الغلو بتعظيم القبور وطلب الحوائج من الأموات .

وأشار الى ان الكواكبى فى كتابه « أم القرى » قد أشار لاسمه برمز « الرحالة ك » ليحكم الناس على القول بذاته ولذاته فاذا الذين يعرفون شخص الأستاذ الهمام السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبى الطبلى وفضله فيقولون أجدر بهذا الكتاب أن يكون له ، أما الذين لا يعرفونه فليحفظوا هذا الاسم الذى يطابق الرمز الى أن يجيء يوم يستدل فيه هذا الرحالة بتصريح بالتلميح ، وأشار فى (مجلد ٤) الى بعض كلام فى كتاب أم القرى من الدولة العلية فقال انه يؤلم أكثر الناس ولا ينبغي أن يعرفه الا خواص .

ولا ريب أن معظم اعلام المنار على امتداد حياته كلها هو الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، وقد أشار فى غير موضعه الى أسلوبه فى التعليم ودعوته الى ايقاظ أهل الأزهر الشريف وارشادهم بطريقة التعليم المثلّى فلقى فى ذلك من العناء ما كان يلقيه المصلحون من قبله ، وعلم أن الارشاد بالقول قليل الجدوى فصار يقرأ الدروس بنفسه وفى ليلة الأربعاء أتم كتاب البصائر النصيرية فى علم المنطق وقد احتفل بتمامه فى الرواق العباسى وأشار الى اهتمامه باختبار الكتب وأنه لضعف العلم فى القرون الأخيرة صار العلماء لا يقرعون الا كتب المتأخرين والى كتبت على الشروح والحواشى المملأى بالمنازعات والمحاورات ولا يكاد يتجرا عالم على قراءة كتاب من كتب الجهابذة المتقدمين التى لم تشرح ولم يعلق عليها الحواشى فعملنا الأستاذ كيف نختر الكتب النافعة وعلق عليها شرحا يبين غوامضها وأصلح ما عساه يوجد من الخطأ ، علمنا كيف نمحص الحقائق للوصول الى اليقين بالعلم ليخرجنا من الحيرة الى طريقة التعليم المألوفة لهذا العهد : طريقة الاحتمال وسرد الأقوال وقد فند كلام افلاطون وأصلح رأى أرسطو فى الماهيات وكان من آيات شجاعته هى رفع القيد الذى هو التقليد الأعمى ووضع الميزان الصحيح الذى لا ينبغي أن يقر رأى ولا فكر الا بعد ما يوزن به ويظهر رجاحته وبهذا يكون الانسان حرا خالصا من رقى الاغيار عبدا للحق وحده ، وهذه هى طريقة معرفة الشيء بدليله وبرهانه ما جئنا من علم المنطق ، وانما هى طريقة القرآن الكريم الذى ما قرر شيئا الا واستدل عليه وأرشد متبعه الى الاستدلال انما المنطق

ان يضبط الاستدلال كما أن النحو له لضبط الالفاظ في الاعراب والبناء .
ويتحدث السيد رشيد رضا عن مدرسة الشام السلفية بمناسبة وفاة العلامة محمد جمال الدين القاسمي (م ١٩١٣/١٧) ويشير الى أن مدرسة الشام السلفية قوامها عبد الرازق البيطار ، مجدد مذهب السلف في الشام ، وطاهر الجزائري ، وسليم النجار ، ورفيق العظم ، وكرد علي ، وقد جاء مصر مع البيطار في عهد الامام وقد مضى القاسمي في الدعوة الى الاصلاح المدني لحاجتها الى الاصلاح الديني وتصدى له التقليديون وأخذوا يكيدون له .

وممن أولى المنار اهتمامه بهم زعماء الاصلاح في الهند الاسلامية :
وفي مقدمتهم شبلى نعماني وشوكت علي : يقول في رثاء شوكت علي (م ٥٥٧/٣١) انه تربي وتعلم في البلاد الانجليزية وتخرج في مدرسة آكسفورد الجامعة وعاد الى الهند متفرنجا في زيهِ وهيئته واكله وشربه واثاث داره ولقاء زواره وكان يظن أن هذا يقربه الى الانجليز الحاكمين في بلاده زلفى ويزيده عندهم ودا ولكنه لم يزد الا امتهانا منهم فاستيقظ من رقدته وتنبه من غفلته وعاد الى شارات قومه وشعائر ملته فاضطروا الى احترامه ومراعاة كرامته ، ودعا الى الاعتصام بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا الى التربية الدينية الاسلامية وتحذيره النابتة الجديدة من تقليد الافرنج في أزيائهم وعاداتهم وتقاليدهم واقتناع الشبان المفتونين بهذه المظاهر لضررها القومي والسياسي .

كذلك فقد أولت المنار اهتماما لتراجم عدد من اعلام الاسلام :
الشافعي ، المعري ، الغزالي ، شاه العجم ، ونشرت شعرا لمصطفى صادق الرافعي ، وعبد المحسن الكاظمي ، ومحمود سامي البارودي ، وشوقي ، وحافظ ابراهيم ، وأحمد محرم .

الفصل السابع

المجلات والصحف

- ١ -

منذ أن ظهرت المنار (وبالرغم من أنها مجلة شهرية) فقد كان لها شخصيتها وموقفها من مختلف الصحف اليومية الكبرى لرسالتها ذات الطابع الاسلامى المتميز ، وكان لها مع ذلك موقفها القائم على التقدير البالغ لجريدة المؤيد فهي دائما تتابع موضوعاتها وتعدها أصدق الصحف وتعتبرها من أسلحة الاسلام ، وكانت المؤيد قد صدرت قبل المنار بسنوات وتحمل طابع الصحافة الاسلامية اليومية وان كانت على ولاء كامل لخديو مصر والمعروف أن جريدة المؤيد أنشئت بعد أن ظهرت جريدة المقطم مؤيدة للنفوذ البريطانى بينما كانت جريدة الاهرام مؤيدة للنفوذ الفرنسى ، وقد اشار المنار الى الصحف الاسلامية القائمة وخاصة الى مجلة ثمرات الفنون التى كان يصدرها عبد القادر القبانى فى دمشق (وكان ذلك بمناسبة مرور ٢٥ عاما على تأسيسها) المجلد الاول من المنار .

كما أشارت لصدور مجلة الحياة (فريد وجدى) عام ١٨٩٩ بعد المنار بعام واحد وقد أشارت الى المؤيد (م ٢) فقالت انها كبرى الجرائد العربية دخلت فى السنة الحادية عشرة وهى ثائية على منهاجها فى خدمة الدولة العليا فى مصر على ما تحب وترضى والمدافعة عن حقوق مصر والمصريين التى هضمتها الدولة المحتلة على وجه نالت به ثقة السواد الأعظم من الامة ، ولقى صاحبها فى بداية ما يندر أن يثبت معه شرقى على عمل فكانت له العاقبة فصدق عن قول صاحب الحكم (من لا يكون له بداية محرقة لا تكون له نهاية مشرقة) وقد سمي العشر الاول من عمر جريدته طور الطفولة وفى هذا من الهضم لنفسه ولعمله الناجح ما كان ينبغى . أن يكون اسوة للذين يوموا جرائدهم وهى اجنبية مقاعد الشيخوخة .

ولما ظهرت جريدة اللواء ظهر خلاف كبير بينها وبين المنار نتيجة لاختلاف الوجهة بين حزب الإصلاح الاسلامى وبين الحزب الوطنى الذى كان بزعامة مصطفى كامل مواليا للخديو معاديا للاحتلال البريطانى بينما كان حزب الإصلاح بزعامة الشيخ المفتى معاديا للخديو مواليا للاحتلال يقول رشيد رضا :

صاحبها سعادتلو مصطفى كامل بك ظهرت فى غرة رمضان المبارك أصغر والطف من سائر الجرائد اليومية حجما وأقل ثمنا ، ولا تعلم ماذا يكون من أمر هذه الجريدة ولكن نظن أنها إما أن تتلو تلو غيرها إما أن لا تروج أما مواضيعها فهى فائقة عن ذلك الرجل الكبير اللهج بالوطن وحب الوطن وخدمة الوطن ، وقد ضم الى هذه الكلمات أخيرا ذكر الاسلام والدين أما الاسلام والدين فلا ينتظر من هذه الجريدة كلام مهما يغيد الأمة الا بتتبّع ما يذكر منها من الجرائد الامرنجية .

وقال : انتقدنا عليها أمرا ذا بال هو الارجاف بأن بعض الناس فى مصر يسعون فى اقامة خلافة عربية كان الخلافة من الهنات الهيئات تنال بسعى جماعة أو جماعات ولا يمكن احتقار مقام الخلافة الأعلى بأكثر من هذا الارجاف فان مقام الخلافة أسمى من أن يتناول اليه أحد وقد سلم السواد الأعظم من المسلمين زمامه لبنى عثمان سلميا والرابطة بين الترك والعرب هى كما قال كمال بك الكاتب الشهير موثقة بالأخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله تعالى وان كان أحد يفتكر فى ذلك فهو الشيطان ويعلم كل خبير بحال هذا الزمن أنه لا يرجف بالخلافة فيه الا رجلان : رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش واكل السحت او التحلى بالوسامات والالقباب الضخمة ورجل اتخذ الاجانب لخداع بسطاء المسلمين بايهاهم ان منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لاي أمير أن يناله ولاية جمعية أن تزحزحه عن مكانه ليزيلوا هيبتة من القلوب ويقتنعوا نفوس العامة الاغرار بإمكان تحويله فى وقت من الاوقات وبأن المسلمين ليسوا راضين عن الخلافة العثمانية جميعا . وكان مصطفى كامل أفندي يوم ألف كتاب المسألة الشرقية ينسب هذا الطبع الأشعبي

للانجليز واليوم ترى مصطفى كامل بك يلقي القول فيه على عواهنه في خطبه وجريدته ويدع نفوس البسطاء تذهب اليه كل مذهب (م ٢) .

وفي موضع آخر يتحدث عن المنار الاسلامي واللواء الوطني فيقول :
بينهما تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامي ويثبت ان المسلمين لا يلقونه الا بترك البدع ورجوعهم في الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية في أمر الدنيا .

وجريدة اللواء لا رأى لها في الدين والاسلام . ولكن لها وطنية عمياء من معناها أنه يجب على كل مصرى أن يتعصب على كل من يقيم في مصر من غير أهلها وان كان مسلما وعلى كل مصرى مسلم أن يتعصب على كل مصرى ليس بمسلم وهذا ما ينقضه المنار .

ويقول في موضع آخر : كان صاحب جريدتى اللواء والعالم الاسلامي (يقصد مصطفى كامل) على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لا قيمة لها فهو يخترع الرسائل ويدعى أنها جاءت من الهند وجاوة الآستانة وغيرها من البلاد ثم يتبجح ويفتخر بذلك ويدعى أن جريدته موضع ثقة الأمم والشعوب الاسلامية في العالم الاسلامي ولعلك لا تجد شيئا من هذا التبجح في جريدة أخرى الا ما يسمونه بالجرائد الساقطة (م ٨) .

ويواجه المنار حملة جريدة الوطن القبطية التي هاجمت مشروع احياء الآداب العربية فيقول : عزمت الحكومة المصرية على طبع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية وكان لديها في الميزانية ألف جنيه لتنشيط الآداب العربية ولا ريب أن المال الذي خصصته قليل فهي تنفق أكثر منه في ضيافة أحد ضيوف الأمير يوما واحدا وتنفق أكثر منه في مساعدة التمثيل الافرنجي الذي يرى جمهور الأمة أن اثمه أكبر من نفعه . ولم يكن يخطر في البال أن يلقي هذا المشروع اعتراضا حتى سمعنا نعايب صاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعى على الحكومة المصرية عملها ويندب الشعب المصري مدعيا أن الحكومة تريد بهذا العمل افساد آدابه ومنعه من العلوم والمعارف

الصحيحة التى ترتبه وتجعله من الشعوب العزيزة الراقية وزجه فى ظلمات
الخرافات والسفاهات والسخافات والجهالات العربية ويزعم أنه لا يوجد
فى الكتب الغربية غير تلك المضار التى استفرغ كل ما فى جوفه وجعله
وصفا لها وكل اناء ينضح بما فيه لم يكتب الكاتب بتحقيق جميع العرب
والقدح فى كل ما كتبوا ووضعوا حتى خرج يذم دينهم وليست علة صاحب
الوطن هى الجهل فنداويها بما ذكرنا من العلم الصحيح فان الجهل وحده
لا يستطيع أن يهبط به الى هذه الدركة من الخذلان وانما علة هى الغلو
فى التعصب القبطى وكراهة كل شئ ينفع الاسلام والمسلمين وان نفع غيرهم
ولم يضرهم (م ١٣/٩٠٨) .

ولا يتوقف المنار عند هذا الحد فهو منافع عن مفهوم الاسلام
ازاء اى صحيفة او كاتب ومن ذلك موقفه من لطفى السيد (م ٧/٣٩٩)
يقول : يكتب صاحب الجريدة بحسب هواه ويضحك على الناس غاشيا
انهم بانه يخدمهم ولا عجب اذا راجت على الغافلين دعواه . من اطراء
الامراء الحاكمين من الخدمة الوطنية ولكن العجب العجيب رواج دعواهم
خدمة للدين الذى هم به جاهلون وعن صراطه ناكبون . وقد ملا الاناق هذه
الايام صسيح بعض الجرائد التى تسمى نفسها اسلامية من الشكوى
من صاحب المؤيد والنيل من عرضه والظعن به والتحريض على ترك جريدته
لانه عقد عقدا شرعيا قابلا للفسخ بطلب الولى على عدم اثبات كفاءته ،
اذا كانوا يغارون على الدين كما يزعموا فلماذا لا يتعلمون عقائده واحكامه .
ولماذا يمدحون الاعمال المجمع على تحريمها وكفر مستحطها كالمرقص الذى
يكون فى قصر الأمير بين النساء والرجال مع الدعوة الى شرب الخمر جهارا
وما قام به زعيمهم صاحب جريدة اللواء يندد بعمل محافظ مصر السابق
عندما اراد التشديد على النساء المتهتكات فى الشوارع والأسواق وتبعه كثير
من الجرائد » .

ولكن السيد رشيد رضا بالرغم من حملته على اللواء ومصطفى كامل
فانه عندما توفى رئاه فى تقدير شديد (م ١١/٦٠) فقال :

أندى الصحفيين المصريين صوتا وأبعدهم فى عالم السياسة حقيقية
وأشدهم فى دهاء بلده تأثيرا وأكبرهم وليا ونصيرا . تضى عن أربعة وثلاثين

ربيعاً قضى نصفها في السياسة ونصف هذا النصف في الصحافة باذلاً
مما أخذ فيه جميع أوقاته ومفرغاً فيه متهى وجدانه وشعوره . وقد أعجب
في اللواء جمهور القارئ ثم تحزبت له نابتة كبرة من المتعلمين بل عشقه
بعض طلاب الحقوق عشقا وملك قلوبهم ملكا فظهر أثر تحزبها في تثنييع
جنازته بمظهر غريب ما رأى مثله من نسيب أو قريب . كان مصطفى كامل
هو المجلى في هذا الطور من أطوار التجلى ثم صار داعية النابتة الى هذه
الوطنية وهاديا أو ساقيا وجاريا ، رابت الدعوة موجهة الى جعل
الوطنية جنسية للمسلمين فأنكرتها في المنار بالبرهان المتين . واكتسبت
من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن . وانتقدت عليه الأرجاف بمسألة
الخلافة العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسعى لها سعيها وبينت له
وجه الضرر في ذلك الأرجاف فكبر عليه وقطع المبادلة الصحفية ، وانحى
علينا بغد ذلك كثيرا لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خلفه
ولو مهضوما ونصر من وافته ظلما كان أو مظلوما وكان الأولى من أسباب
انتشار اللواء كالمبالغة في ثم المحطين وانتقاد الحكومة ومدح الأمة وتحامى
الانتقاد عليها والنثويه بالاستقلال والتعجل بطلب محو الاحتلال .
(م ٦٠/١١) ومن مواقفه خطبة مصطفى كامل في تمجيد محمد بنى
بعد انتقد المنار أعماله (م ٢٣٢/٥) .

وكان خلاف المنار مع جريدة السياسة قائما على الخلاف في وجهة
النظر الاجتماعية وفي موقف السياسة من التغريب وتأبيدها أفكار الغزو
وضمها مجموعة المعارضين للفكرة الإسلامية امثال طه حسين وعلى
فريد الرازق ومحمود عزمى وحريهم الشديدة الدائمة للاسلام . يقول صاحب
المنار : « ان بين المنار والسياسة خلافا أهم مما كان بين حزبها وحزب
الوعد المصرى وهو ان المنار داعية الدين الاسلامى والمدافع عنه والسياسة
تقوم بدعاية الحادية تريد ان تنسخ بها هداية الاسلام وتقطع الرابطين
الاسلامية والعربية بما تعبر عنه بالثقافة المصرية والتمهدين وما كتب عن
مسائل شخصية مختلفة كزعمها ان صاحب المنار ليس له دين ولا عقيدة
ولا مذهب فتسارة يكون مسلما سبانيا أو شيعيا أو وهابيا وتارة بوذيا
أو يوهابيا وتارة ملحدا وما أشبه ذلك ، وأعمل جريدة السياسة تريد

أن تستدرجنا بهذا الى منازلها في هذا الميدان الذي تعلم علم اليقين اننا لسنا من فرسانه وان جميع فرسانه المهزومين ينهزمون امامها فيه ، ان الجرائد البذيئة في هذا العصر ، قد بذت الشعراء الهجائيين في العصور الخالية فيجب الاعراض عنها ، لابد للأحزاب من جرائد تنشر دعوتها وتحمل حماها ، ولو بالطعن الشخصي في خصومها كما كانت القبائل تختار لها شامرا هجاء يدافع عنها اذا هجيت يلعب بسفيه القوم وكان خصوم القبيلة يهجونها في حملتها دون سفيهاها ولو كانت السياسة ترد على ما نشره من تنفيد بعض نشراتها الاحادية عملا بحرية الرأي والنشر التي تدافع به عن الكتب الاحادية ككتب على عبد الرازق وطه حسين وتعترف لنا بمثل هذه الحرية ... » .

ويشير السيد رشيد رضا في عنوان : « لابد من قتل صاحب المنار » الى ما بلغه من الدكتور عيكل (لسان حال الحزب الحر الدستوري وحزب الملاحدة) قد قرر لمروسيه محرري جريدة السياسة لأنه لابد من قتل صاحب المنار وقد وافقوه وهم يعنون بهذا القتل ان يكون بأسنة أقلامهم الطماعة ، القتل المعنوي أو الأدبي ، اتهمته جريدة السياسة من قبل أنه يعمل مع جمعية سرية دينية سياسية باغراء الأمير عباس حلمي الخديو السابق ، وكذبت الحكومة هذه التهمة ، وكان ذنب صاحب المنار لدى جريدة السياسة انكاره علامتها المحقق على عبد الرازق الذي أنكر التشريع الاسلامي من أساسه يضاعف ذنوب صاحب المنار من هذا النوع فهو بالمرصاد لجميع انواع الادعائية الاحادية التي تبثها جريدة السياسة باسم التجديد والثقافة العصرية التي تزعم أن محتر بدعايتها وبعناية مدرسة الجامعة المصرية ستنسخ بها ثقافة الاسلام التي مصدرها الأزهر وغيره وتحل محلها وتتبعها في ذلك سائر العرب بزعمها ، يقولون اننا قتلناه تصف قتلة بما كتبناه في مسألة مؤتمر الخلافة كما قتلنا الأزهر نفسه وهو الآن مثخن جراحا وسنقضى عليه ببضع مقالات أخرى ، وما قتلوا ولن يقتلوا إلا هزيبهم وانفسهم وسنقضى بحول الله وقوته على أباطيلهم (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) . (أبريل ١٩٢٧) .

وكان للمنار موقفه أيضا مع مجلة الحديث الحلبية وصاحبها سامي الكيالي في مواقفه التغريبية (م ٢٨) يسوؤنا أن هذه المجلات أضرب على

الأمة من بعض الجرائد السياسية التي تخدم الأجانب الغزاة باستعبادها واستعمار بلادها وتمهد لهم السبيل لذلك ، وانها تعمل على تقطيع الروابط التي توحد جمعها وتجمع كلمتها من دين ولغة وأدب وتشريع وهو ما نعبر عنه بمقوماتها ومن عادات وأزياء وهو ما نعبر عنه بمشخصاتها ، ذلك مثل بعض محرري جريدة السياسة أو مجلة الهلال بمصر (كسلامة موسى وطه حسين ومحمود عزمي) المنتحلين لأنفسهم صفة تجسيد الثقافة ، واننا نرى مجلة الحديث السورية معجبة بهؤلاء منوهة بأرائهم مننية عليهم . فان كان محررها غير مقلد لهؤلاء فلماذا لا يفتا ينوه بهم بما يغري قراء مجلته باتباع خطتهم وهو ما يسمونه الثقافة الجديدة التي يحكمونها في كل ما أشرنا اليه من مقومات الأمة ومشخصاتها وبذلك كانوا دعاة هدم وافساد فيها ، هم عاقون لأمتهم هادمون لهدايتهم وتشريعها وأدابها بل ساعون لابتلاع الأفرنج لها ومنهم المستخدمون لذلك وهم يوهمون الناس في هذه الأيام أنهم مبدعو هذه الدعوة في بلادهم وليس كذلك بل ابتدعها في مصر الخديو اسماعيل اغترارا بزينتها وشهواتها فهو أول من اراد ان يجعل مصر أوربية وله في ذلك كلمة مشهورة فكان أول عثرة منها خباها فقد ملكه ، اما جده محمد علي فانما أخذ عن أوربا أسباب الثروة في صناعة وزراعة وأسباب القوة ، وهو الواجب على كل شعب شرقي يهلك امريقيصة دون تقليد القردة في الآراء والزينة والعادات وحرية الفسق والفجور والكفر التي يدعو اليها منتحلو الثقافة الجديدة » .

— ٣١ —

وكان للسيد رشيد رضا موقفه من جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها (م ٦١٩/٢٩) فقد أخذ عليها وجهتها التفرييضية من أول عدد منها حيث صدرت بإشراف على عبد الرازق وتنويعها بكتابات طه حسين وسلامة موسى قال : صدر العدد الأول فاذا هي مجلة لا دينية تؤيد ما يسميه ملاحدة العصر بالتجديد اللاديني وتحرير المرأة المسلمة وتدافع عن الترك والفرس والأفغان فيما يحاولونه من تجديد بهدم الاسلام على احتراس قليل في التعبير ، هو أقرب الى الدفاع عن مصطفى كمال وأمان الله خان منه الى الهجوم عليهما . وأشار الى بحث طه حسين « انذى اشتهر بالطعن في الاسلام وتكذيب القرآن » وخلاصة بحثه الجهلى السخيف في ضمير الغائب واستعمال اسم الاشارة في القرآن الكريم وأشار الى بحث سلامة

موسى « عدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية وداعية الكفر والوقاحة والتهتك اللذين يعبر عنهما بالأدب المكشوف » وكذلك الدكتور هيكل داعية الثقافة الأوربية وتنويه مجلة الرابطة بالحاد الكهاليين وخداع طه حسين للأزهريين بترك الدنيا للملحدين ودعاية سلامة موسى الى الاحاد وهمد الاسلام .

— ٤ —

ومن اخطر معاركه في هذا المجال معركته مع مجلة الأزهر التي أصدرها الأزهر ١٩٣٠ ومن أبرز ما أخذه عليها معارضته لكتابات الشيخ يوسف الدجوى « ففى مكتوباته ما يدعو الى العجب فى مخالفة اجماع السلف الصالح فى الاتباع وتأييد الحلف الطامح فى الابتداع وأقرار ما أفسد على الخرافيين دينهم وآدابهم من عبادة القبور بالدعاء والاستعانة والتضرع والنذور لها واللواف بها كالكمبة واستقلال ركنها وتقبيلها كالحجر الأسود » .

وأخذ على مجلة الأزهر سكوتها عن أمور المسلمين فى بعض البلاد الإسلامية ، وقد توقفت عنه المجلة بحجة أنه من أعمال السياسة وهى مجلة دينية رسمية ، واقترح عليها أمرين : أحدهما الدفاع عن الاسلام والمسلمين بصد كل من يهاجمها فى هذا العصر بالحجة والارشاد الى العمل الذى يكشف الغمة ويجمع الكلمة والثانى الدقة فى اختيار كل ما ينشر فى المجلة من الأحاديث والآثار اذ أن أكثر علماء الأزهر ينقلون الأحاديث من كتبهم دون الرجوع فى تخريجها الى دواوين السنة المعتمدة حتى اشتهروا باهمال علم السنة .

وقد دخل السيد رشيد رضا فى مساجلات واسعة مع الأستاذ « الخضر حسين » رئيس تحرير المجلة وكتب فصولا مطولة عن نفسه وعن المنار جمعها بعد فى كتاب تحت عنوان « المنار والأزهر » .

— ٥ —

وقد أشار السيد رشيد رضا الى أنه وضع نموذجا لمجلة الأزهر قبل صدورها على هذا النحو : (هذا النموذج ما زال يحتذى ويمكن الانتفاع به الى اليوم) .

الباب الأول : مقالات دينية وعلمية وتاريخية وخطابية ، الغرض منها

بيان حقيقة الاسلام وأحكامه واصلاح لثنون البشر الشخصية والقومية ،
والوطنية والسياسية ورفع مستوى الانسان وتوحيد مقومات الأمم وبيان
حاجة البشر الى اصلاحه في كل زمان ومكان ولأسيما في هذا الزمان الذي
طنفت فيه الأخطار المادية على الأمم فافسدت آدابها وعلى الدول فحصرت
كل منها هما في الاستعداد للوثوب على التي تأنس فيها الضعف .

الباب الثاني : الفتاوى العامة : فيما يتعلق بالاسلام وآدابه واحكامه
وتشريعه وسياسته .

الباب الثالث : كشف الشبهات وحل عقسد المشكلات التي تعرض
بطلاب العلوم وغيرهم بالاطلاع على كتب العلوم والفلسفة والأديان المختلفة
وما يورده الملاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن في الاسلام ،
ومقاومة تيار الانحاد الذي انتشر .

الباب الرابع : باب البدع والخرافات وانتقاد الضار من العبادات
ويسمى باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعتمد فيه على كتاب المثل
والنحل والاعتصام .

الباب الخامس : باب التربية والتعلم : التربية الدينية والجسمية
والعقلية والنفسية :

العقلية : تربية ملكة الاستقلال في الفهم وجريته البحث .

النفسية : تهذيب الاخلاق وتربية ملكات الفضائل وتربية الارادة
التي عليها المذار الأعظم في النهوض بالأعمال وتربية الخيال بالأساليب
المصورة للمعاني الخطابية والشعرية ومواضع التربية فأولها النبوت
ثم المدارس فالجمعيات .

الباب السادس : آداب اللغة العربية وتاريخها .

الباب السابع : الاقتباس والانتقاد وتقريب الصحف والكتب والمجلات
(وما ينشر في الصحف الغربية من مباحث هامة والرد على المباحث الباطلة)

والقاعدة هي الاجتهاد فيها ليس فيه نص قطعي من وحي ربهم
ولا سنة ماضية من سنن نبيهم بشروطه المعروفة في مجلها فان الاجتهاد
مع وجود النص مبنوع في الشرع وفي القوانين الوضعية جميعا .

الفصل الثامن

الجمعيات الإسلامية

كان متعدد انشاء الجمعيات الإسلامية من اكبر أهداف حركة الإصلاح باعتبارها المندلق الحقيقي لتوجيه النفوس الى فهم الاسلام فهما صحيحا ، ولذلك دعت المنار منذ اليوم الاول الى انشاء الجمعيات الإسلامية وعقدت فصولا مدلولة عن الجمعيات الدينية في الشرق وأشار الى الجمعية الخلدونية في تونس وإلى جمعية شمس الاسلام والجمعية الخيرية الإسلامية في مصر ، وإلى ندوة العلماء في الهند بوصفها منطلقات جديدة في مواجهة جمعيات الشباب المسوحة التي نشمها التبشير في أغلب بلاد الشرق ، وقد استنار المنار في تقديره البالغ الى نشوء ثلاث جمعيات في القاهرة هي جمعية مكارم الاسلام وجمعية التعليم الاسلامي وجمعية النهضة الادبية ، وقال ان بعضها انشأ مدارس جعل التربية والتعليم فيها على منهج الدين وسننه التوفيم كما انشأت مدرسة أخرى لتعليم البنات .

وقال : انه يسر كل مسلم وكل انسان يحب الفضائل ويرقى ابناء نوعه ما تقوم به جمعية شمس الاسلام وجمعية مكارم الاخلاق من النهوض والانتشار وبرزت أسماء محمد نور مؤسس المدرسة التحضيرية وتلاميذها ثلاثمائة ونيف وقد جعل التربية والتعليم على منهاج الدين وسننه القويمة مع عدم الاخلال بمناهج المدارس الاميرية ، وقد ساء هذا النجاح الباهر اعداء الاسلام من المارقين والحكام فحاولوا اطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . واشاع اصحاب الجرائد الضالة أن الجمعية لا ترضى الحضرة السلطانية وما قيل كذب ، أما جمعية مكارم الاخلاق فقد كان راعيها الأستاذ زكي سند مشعلا متوقدا وكذلك أشاروا الى على ابو النور الحربى وخطابه المؤثر في تهذيب الانسان وتربية الأبناء .

انتهى القسم الأول عن (مجلة المنار)

القسم الثاني عن (مجلة الفتح) يصدر قريبا

آفاق البحث

صفحة	
٣	موسوعة تاريخ الصحافة الإسلامية
١٧	الباب الأول : العروة الوثقى
٢٩	الباب الثاني : مجلة المنار - محمد رشيد رضا
	الباب الثالث : النهضة الإسلامية (حركة الإصلاح)
١٠٩	كما صورها المنار
٢١٣	الباب الرابع : أحوال العالم الإسلامي
٣٤٩	الباب الخامس : ميادين العمل الصحفي الإسلامي

رقم الايداع ٨٣/٣١٩٢

دار عظموه للطباعة

تاريخ الصحافة الإسلامية

بقلم أنور الجندي

كان للصحافة الإسلامية دورها الكبير في بقاء النهضة الفكرية المعاصرة ، فقد حملت منذ وقت بعيد لواء الدفاع عن مفهوم الإسلام الأصيل والدعوة في العودة الى منابع والتماس مفهوم القرآن والسنة ، بداها جمال الدين ومحمد عبده بمجلة العروة الوثقى ، ثم جاء السيد رشيد رضا في خلال خمس وثلاثين سنة من حياته وحياة المنار مقدم منها أصيلا جاثما للعامل الصحفي الإسلامي وهو ما نقديه في هذا السفر .

وسيقدم المجلد القادم عن مجلة الفتح للسيد محب الدين الخطيب التي امتدت عشرين عاما وسنواصل باذن الله دراسة المجالات الإسلامية الكبرى .

الناشر

Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com